

سلسلة عزيزي الملحد

(٢)

عزيزي الإنسان

- حوار العقل مع الملحد
- شواهد الحق وبراهين الإيمان

الدكتور

محمد محمد داود

٢٠١٨م

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين،
وعلى آله وأصحابه أجمعين.

وبعد؛

فهذا الكتاب امتداد لكتاب «عزیزی الملحد»، فهو بمثابة الجزء الثاني له،
لكني أترت أن يكون عنوانه: «عزیزی الإنسان»؛ لتوسيع دائرة النقاش
والحوار الذي يعتمد الدليل العقلي والدليل العلمي.

• لقد اشتمل القرآن على (١٢٦٠) سؤالاً للعقل البشري، والقرآن نفسه
معجزة عقلية، معنى هذا أن القرآن خطاب للعقل، وأن القرآن اعتمد الدليل
العقلي في الحوار مع المخالف، كذلك اعتمد القرآن الدليل العلمي، فأول آية
نزلت هي (اقرأ)، جاءت مطلقة دون تحديد لمجال القراءة، وجعل القرآن
الرفعة في العلم ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾
[المجادلة: ١١].

ومما أمر به نبينا الهادي ﷺ أن يسأل ربه الزيادة في العلم ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي
عِلْمًا﴾ [طه]، والدعوة إلى البحث والاكتشاف يؤكدتها القرآن بقوله: ﴿قُلْ

سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ﴿[العنكبوت: ٢٠]﴾.

- القرآن لا يَضيق بالمخالف ولا يخشى النقد، فليس لأحدٍ كلام بعد أن سأل الخالق ﴿أَلَمْ يَخْلُقْنَا﴾؟! وكرر السؤال ﴿أَلَمْ يَخْلُقْنَا﴾؟! لكن القرآن يؤكد أن الحوار ينبغي أن يكون فى إطار فكرى يملك الحجة والبرهان، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل].

- واشتمل الكتاب على (٨٢) سؤالاً، جاءت موزعة على ثمانية أبواب، وهى:

(١) الإيمان والعلم.

(٢) صفات الخالق وأفعاله.

(٣) الطعن فى الدين والإسلام.

(٤) الطعن فى القرآن.

(٥) الطعن فى الأنبياء.

(٦) الطعن فى السنة والرواة.

(٧) الطعن فى الصحابة.

(٨) الطعن فى التراث.

ولا يزال الحديث موصولاً مع شبابنا، خاصة فيما يعرض لهم من أسئلة أو شبهات وافتراءات، ولا يخفى على عاقل بصير أن الشباب الآن هو المستهدف من هذه الحروب الفكرية الموجهة: (الإلحاد، التحول الدينى، الإرهاب، التكفير).

• رسالة مستحقة:

هذه السطور أتوجّه بها إلى الأساتذة فى الجامعات والمدارس، والآباء والأمهات، وبخاصة الذين تقتضى أعمالهم قضاء كل الوقت بعيداً عن الأولاد.. فى حين هذا اللهو الخفى فى العالم الافتراضى يُسيطر على الأولاد.. يلزمهم حتى فى حجرة نومهم.. ويعبث بأفكارهم.

وأنا.. وأنت.. وهو.. وهى.. كلنا لا يدرى.. وحب الاستطلاع يقودهم أحياناً.. ودعوات خبيثة مأكرة لكنها برّاقة تجذبهم أحياناً أخرى.. ولا تعجب.. فصناعة الزيف أصبحت فناً احترافياً عالمياً.. وفى إطار الحروب الحديثة (حروب الأفكار) تشتد الخطورة على أولادنا.

لقد دخلت هذا العالم.. وأحسب أن مهمتى سهلة.. حتى أدركت أننا فى حرب خطيرة تدار من وراء ستار.

لتكن صبوراً.. طويل البال معى.. لأحكى لك القصة.. بعضهم يأتى عندى فى مكان هادئ بجمعية المعرفة.. تحت ضغط الأهل.. الأم.. والأب قد لا يعلم شيئاً.

لكنى لاحظت أنه دائماً يأتى مع الولد أو البنت زميل أو زميلة فى الإلحاد.. ويكون أقوى من الولد فى الحوار والردود.. ويستأذن أكثر من مرة.. للتليفون.. ثم يعود فىغير أسلوب الحوار.. وعند نقطة يحس فيها بضعف موقفه فى الحوار..

يفتعل مشكلة.. ويعتذرون عن عدم المواصلة في جلسة الحوار التى أتعلّم فيها كل مرة صبر أيوب.. مع المحافظة على الابتسامة والهدوء وكرم الضيافة ولطائف الكلام... إلخ.

ثم تحت ضغط الأهل يتكرر اللقاء.. لكن انتبهوا معى يا سادة يا كرام.. يأتى مع البنت أو الولد زميلة أو زميل جديد أكثر قدرة على الجدل معى.. حتى إننى أحس.. بل أكاد أجزم أن أحدًا أطلعه على آرائى فى هذه الأمور ولقنّه إجابات جديدة.. وهذا يعنى أن هناك قيادة تُوجّه وتُخطط وتُدير من على بُعد.

والمسألة أبعد من آراء شخصية، وممارسة حرية الفكر.

فإذا انتقلنا إلى شبكة الإنترنت وجدنا المسألة أوسع بكثير.. من حيث تنظيم صفوفهم فى مجموعات موزعة الأدوار بتكامل ودقة يظهر فيها سبق التدريب.

• وأحكى لك واقعة وأنت تحكم بنفسك سيدى..

إنهم فى الأعم الأغلب يفضلون الحوار عبر مواقع التواصل الاجتماعى؛ ليكون الأمر تحت السيطرة لصالحهم أكثر.. كما حدثتكم.

بدأ السؤال والحوار.. من بنت صوتها يعطى أنها فى بداية العشرينيات.

امتدّ الحوار أكثر من ثلاث ساعات متواصلة.. لم أشعر بالوقت.. تدخل معها فى الحديث آخرون.. قلت: لا بأس.. كانت هناك مسائل تتعلق بعلم

الفيزياء.. ولستُ من أهل هذا العلم.. فوعدها بفرصة عظيمة أن من سيتولى الإجابة عن مسائل الفيزياء.. عالم فيزياء من أمريكا.. جامعة كاليفورنيا.. أ.د/ جمال الدين إبراهيم.. وهو مصرى الأصل.. وننعم أيضًا بلقاء عالم فقيه.. رئيس لجنة الفتوى الأسبق بالأزهر.. العلامة الشيخ جمال قطب.

حيث سأسرف بضيافة العالمين.. وحن الموعد وحضر الضيوف.. وبدأ الحوار.. وتدخل مع عزيزتى التى تحاورنى مجموعة.. أشبه بكتيبة مدربة وموزعة أدوارهم.. وكان فارس الحوار.. أ.د/ جمال الدين عالم الفيزياء.. بسعة علمه، ورحابة صدره، وطول باااااااله، وقوة حجته.. وأسلمت له البنت قيادها.. واعترفت بأدلتها.. وهنا.. مباشرة.. توجهت لها الأوامر (وظهرت عندنا فى الحوار) بأن تنسحب ليحل محلها آخر؛ لأنها قد تجاوزت رتبها فى مجموعتها.. نعم.. ركز معى سيدى.. لقد تجاوزت رتبها فى مجموعتها!!

أحسست أننا أمام تنظيم ماسونى محكم.. أو أننا أمام عصابة أشبه بعصابات المخدرات.. وأن الخروج عنهم ليس أمرًا سهلاً!!

• أما من جاؤوا عندى من الشباب وكانوا فى البدايات.. وأحببت أن أسمع منهم.. فقد تبين لى أن الإلحاح المستمر من أصحابهم على الإنترنت يقودهم فى النهاية إلى الوقوع فى الهاوية.. أيضًا مواجهة الشاب بأسئلة يعجز

عن الإجابة عنها وتُعرف هذه الأسئلة في علم المنطق بالأسئلة المستحيلة..
يضاف إلى ذلك حملات التشكيك في دينه ومع ضعف الحصيلة العلمية لدى
الشباب يعجز عن الرد ويسقط في الهاوية.. أيضًا التشكيك في رموز
المجتمع.. رؤساء.. قيادات وطنية.. علماء.. إلخ.. حتى لا يبقى أمام
الشباب أية قيمة.. فيقع الشباب.. هذا في هوة الإلحاد.. وآخر في هوة
الإدمان.. وآخر في هوة التحول الدينى.

- إنها حرب قذرة ضد شبابنا.. تذكرنا بحرب الأفيون التى مارستها
إنجلترا ضد الصين من سنة ١٨٣٩م إلى عام ١٩٤٩م تقريبًا.. وكان من
نتائج حروب الأفيون أن سيطرت بريطانيا على هونج كونج، بينما أضعفت
الهزيمة العسكرية الساحقة للقوات الصينية من قوة الإمبراطور الصينى
وأسرته، وارتفع عدد المدمنين في الصين من مليونى مدمن عام ١٨٥٠م
ليصل إلى ١٢٠ مليونًا عام ١٨٧٨م، وسمّيت هذه الفترة من التاريخ بـ
«قرن من الإذلال»، التى لم تنتهِ إلا بعد سيطرة الحزب الشيوعى على الصين
في عام ١٩٤٩م.

- والآن سيدى.. هل ستكتفى بتوفير مصروفات المدرسة الدولية
والجامعة الخاصة.. والمصيف الراقى مع عِلْيَةِ القوم.. وأرقى المواضع من
الملابس وأفخم الأطعمة.. وولدك يضيع.. مع تيارات سياسية تتاجر

بالوطن... وتبيعه بثمان بخس.. أو يقع فريسة الإدمان.. أو الإلحاد.. أو التحول الدينى.

لذلك ينبغى لك سيدى :

- أن تجعل لك صحبة ناعمة جدًا مع أولادك .. على الواتس .. والفيس .. وتويتر ... إلخ.

- استمع جيدًا لحوار أصدقائهم بعناية ووعى واستشر أهل الخبرة والعلم.
- اجتمعوا مع أولادكم على الطعام.. وتحاوروا عليه.. لا تجعل كل ولد يأخذ طعامه مستقلًا عن الأسرة.. فى حجرته أو مع جهازه.

- استأذنه أنك تحتاج أن تأخذ رأيه فى مسألة ما.. ولو فيما يجب فى الفيس.
- اجعله معلمًا لك.. خذ رأيه فى مشاكل الشباب والحلول من وجهة نظره
كى يحس بذاته.. اجعل له قدرًا وقيمة.

عودوا إلى روح الأسرة الكبيرة والصحة الطيبة لتكون مجتمعا صغيرا آمنا..
اجعل أولادك يتكلمون أكثر .. وأنت تسمع لهم أكثر.. ومن سماعك له ستلاحظ التغير فى أفكاره.. حين يواجهك بالأسئلة المستحيلة أو بما لا علم لك به.. قل له نسأل أهل التخصص.. ﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ ﴿٤٣﴾

[النحل].

ينبغى أن نعترف بالفجوة التى تزداد يوماً بعد يوم بيننا وبين أولادنا..
تواصل مع أولادك.. وحاور.. وشارك.. ستكتشف مبكراً بدايات السقوط..
فتنقذ أولادك فى الخطوات الأولى نحو الهاوية.

• سادتى وأحبتى:

أنقذوا أولادكم.. أبناؤكم فى خطر!!

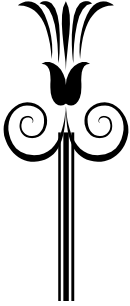
فالسقوط لا يحدث فجأة!!

مكتبة العلماء

قبل الفجر

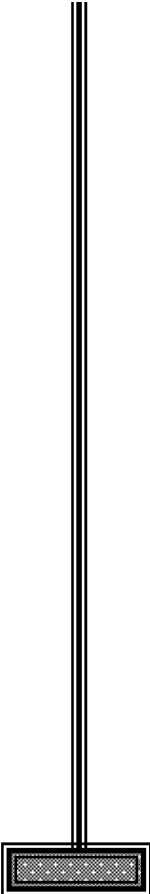
١ يناير ٢٠١٨م

محمد محمد داود



(١)

الإيمان والعلم



○ لماذا أنت مؤمن؟ وكيف أتحول إلى الإيمان مثلك؟

عزیزی...

• إن سبب إيماني هو إجلالي للخالق العظيم، فأنا أرى في عظمة كل مخلوق دليلاً على عظمة الخالق.

• وسبب إيماني هو حبي لصفات الإله، فهو رحمن رحيم، وهو ودود.. وهذه الصفة تأسرني جداً جداً؛ إن الإله العظيم يتودد إلى عباده الضعفاء.. يتودد إليهم بالعفو.. بالمغفرة.. بالرحمة.. بمضاعفة الثواب.. بالتوفيق..

سبحانه.. ما أعظمه!!!

• وسبب إيماني ما أراه من طلاقة قدرة الخالق.. في كل يوم يكشف العلم جديداً من المخلوقات، وهم أمم أمثالنا.. ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ﴾ [الأنعام: ٣٨]، والذي لا نعرفه كثير.. كثير كثير.. سبحانه ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (٨) [النحل].

• وسبب إيماني أن الإله الخالق العظيم كرّمني، فأنا الخليفة المكرّم.. الخليفة الذي يقوم بتنفيذ منهج الله في الأرض، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، والمكرّم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَبَرِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) [الإسراء].

حيث سخر لي ما في السماوات وما في الأرض.. وأسبغ عليّ نعمه ظاهرة وباطنة.

• وسبب إيماني أن حياتى بيده وموتى بيده.. ﴿يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الحديد].

• وسبب إيماني أن سعادتى فى اتباع هديه.. ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل].

• وسبب إيماني أنه يخاطب عقلى بأسلوب مقنع.. ﴿أَفَلَا يَعْلَمُونَ﴾ [يس].. ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ أَلَمْ يَكُنْ لَهُمُ الْآيَاتُ﴾ [النساء: ٨٢]، ﴿لَا أُوتِي الْآلَتِيبِ﴾ [آل عمران]..

• وسبب إيماني أنه يأمرنى بالتسامح والرحمة مع الآخر.. ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف].

• وسبب إيماني أنه جعل حمايتى فى الالتزام بالعمل الصالح، وأن أقابل الشرَّ بالخير.. ﴿ادْفَعْ بِالَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

• وسبب إيماني.. أنه يأمرنى بالعدل وألا أتخلى عنه حتى مع الخصوم.. ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

• وسبب إيماني هذه اللغة الخالدة الخفية بينى وبين الخالق.. الإله الحق.. حين أقع فى مكروه أو ضيق.. أُلجأ إليه، أستشعر العظمة من حبيبى الأعظم.. ﴿أَمِنْ يُحِبُّ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدًا﴾ [النمل].

حتى صرخت فى مرة من كثرة نعمه وتفضله مع تقصيرى.. فقلت:

يا رب.. أنا أنا وأنت أنت...!!!

أنا المقصر.. وأنت الكريم..

أنا المذنب.. وأنت الغفور..

أنا العبد الضعيف.. وأنت الرب القوى الحكيم..

أنا أنا.. وأنت أنت.. سبحانك.. ما أعظمك...!!!

• أما سؤالك: كيف تؤمن مثلى؟!

الجواب: تَذَكَّرْ نعم الله عليك.. فضله.. رحمته.. ستره.. ستجبه لعظيم

إنعامه ولصفات الكمال التى اتَّصف بها..

تذكر أنه الذى خلقك من عدم، قال تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ

الدَّهْرِ لَمْ شَيْئًا مَّذْكُورًا ۝١﴾ [الإنسان].

تذكر أن الدنيا فانية.. وأنا لا محالة سنموت.. وأن المرجع والمآل إلى الله

سبحانه..

تذكر رفقه بك وبالبشر جميعاً.. حين نُخطئ لا يعاجلنا بالعقوبة وإنما

ينادينا.. فى حنان عظيم: ﴿قُلْ يٰٓعِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ

اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝٥٢﴾ [الزمر].

سبحانه.. يستر فلا يفضح.. ويعفو فلا يعاقب.. ويبدل السيئات حسنات.

فالحمد لله على حلمه بعد علمه، وعلى عفوه بعد قدرته..

عزیزی..

تدبر ما ذكرته لك من أسباب إيماني وكوني على يقين أنه سبحانه يحبك..

يريد بك الخير واليسر.. والنعيم والهداية.. ما أكرمه..!!

فالإيمان عندي يقين علمي.. ويقين عقلي..

• ماذا تقصد بأن الإيمان يقين علمي وعقلي؟

عزیزی..

إن الإيمان بالله تعالى من أعظم الحقائق في هذا الكون على كافة المستويات:

أ- فالإيمان حقيقة ربانية:

قال الله تعالى: ﴿فَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

يعنى ينبغى أن يُبنى الإيمان على علم، فالمدخل علمي.. هكذا الخالق يذكر

هذه الحقيقة بصيغة الفعل الأمر؛ لأن الإيمان الحق الصادق لا يكون على

افتراضات ذهنية ولا على نظريات لم تثبت كحقيقة علمية بعد.

ب- الإيمان حقيقة علمية:

١ - القرآن اعتمد الدليل العلمى: ﴿سُرِّيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ

حَقٌّ يَبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣].

المدخل هنا علمي.. لماذا المدخل العلمى للإيمان؟

لأن العلم محايد لا يجامل أحداً (التحليل - الأشعة) لا يفرق بين مؤمن وغير مؤمن، بين غنى وفقير.. إظهار النتائج يكشف عن حقيقة الجسد بصرف النظر عن دينه أو جنسيته أو ماله.. إلخ.

فالعلم هو الشاهد الثقة الذي لا يُتهم أبداً، والمعتمد لدى كل العقول على الكوكب الأرضي كله.

لقد اشتمل القرآن الكريم على أكثر من (١٢٠٠) حقيقة علمية لتكون بمثابة شواهد الحق وبراهين الإيمان، حتى إذا مر الزمان بعد الزمان ولم يعد مقبولا لدى العقل البشري إلا الدليل العلمي، واكتشفت وكالة ناسا والمؤسسات العلمية الكبرى بعض حقائق العلم التي ذكرها القرآن قبل أكثر من أربعة عشر قرناً من الزمان، حين لم يكن للبشرية أدنى معرفة بهذه الحقائق العلمية التي اكتشفت حديثاً.. علموا يقيناً أن الذي خلق الكون هو الذي أنزل هذا الكتاب (القرآن الكريم).

ج- الإيمان حقيقة عقلية:

لقد اشتمل القرآن على (١٢٦٠) سؤالاً للعقل البشري، ومعنى هذا أن القرآن الكريم خطاب للعقل البشري..

لقد اعتمد القرآن الكريم الدليل العقلي، قال تعالى: ﴿وَمَا يَعْقُلُهَا إِلَّا

الْعَالِمُونَ﴾ (٤٣) [العنكبوت: ٤٣].

والقرآن نفسه معجزة عقلية، ليس عصا موسى، ولا ناقة صالح، ليس معجزة حسية..

ومن أهم أسئلة القرآن العقلية:

- ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَالِقُونَ﴾ [٣٥] [الطور].
- ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [١٧] [النحل].
- ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَشَيْئًا مَّذْكُورًا﴾ [١] [الإنسان].
- ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾ [النمل: ٦٢].

وما يعقلها إلا العالمون..

وما يذكر إلا أولو الأبواب..

فاعتبروا يا أولى الأبصار..

○ حديثكم عن الفطرة ألا يتناقض مع العلم الحديث؟

- عزیزی... لما شاعت المادية في الحضارة الغربية اختلَّ التوازن؛ لأن الإنسان جسد وروح، فلا يعيش الإنسان بالأمور المادية فقط، ولكن هنالك بُعد نفسى وبُعد روحى إيمانى يتصل بالخالق ﷻ، وهذا البعد الأخير قد بينه العلم الحديث، وذلك في مجلة العلوم الأمريكية، التى تترجمها منظمة الكويت للعلوم، والتى تُصدر سلسلة عالم المعرفة وغيرها من السلاسل القيمة النافعة.
- وأنا أدعو العلمانيين والمثقفين والمشايع وطلبة العلم أن يحصلوا على هذه النسخة المترجمة عبر الإنترنت..

تحت عنوان: «عبرى بالمصادفة»، ماذا يقولون؟

خلاصة البحث: إن هناك مصحات يوجد فيها رجال كبار السن، فحدث أن ارتطم أحدهم بجبهته في حائط، وتكررت هذه المسألة مع آخرين، وذلك بحكم السن، وعدم السيطرة على الحركة، والذي حدث من جرّاء هذه الصدمة أنها أيقظت خلايا كانت جامدة نائمة في الفص الأمامى الجبهى من المخ الذى فى موضع الناصية، فهذه الخلية كانت نائمة، فحدث عند هؤلاء الأشخاص إبداع جديد لم يكن لهم به سابق عهد، وذكر فى المجلة أن بعضهم أبدع لحناً وقطعة موسيقية غاية فى الروعة، ولم يكن له صلة بالموسيقى ولا علمها ولا بسماعها ولا بشيء منها، فلم يكن لهذا الإبداع أساس تعلمه أو مارسه قبل أثناء حياته، لا فى الطفولة ولا فى الشباب ولا فى الشيخوخة، وألّف

بعضهم قصيدة شعرية غاية في الحسن والروعة، ولم تكن له سابقة بقول الشعر ولا عذوبة الكلام، وأنجز بعضهم عمليات حسابية دقيقة وما كان له في علم الرياضيات ولا الحسابات شيء في ماضى حياته.

ولكن هذه الصدمة أيقظت خلايا في المخ لم تكن تعمل قبل ذلك، وأيقظت عبقرية بالمصادفة، فبدؤوا يبحثون حتى يصلوا بالعلم إلى كيفية إيقاظ هذه المناطق.. وقالوا بعد ذلك: نحن لا نولد صفحة بيضاء، فما الذي يوجد في المخ؟

وهذا يتصل اتصالاً وثيقاً بحديث سيدنا رسول الله ﷺ: «ما من مولود إلا ويولد على الفطرة» (متفق عليه)، كما يتصل بقوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ [الأعراف].

فهذه هي الفطرة التي أُكْتُشِفَتْ بالمصادفة، وأيقظت هذه العبقرية، فأنت لا تولد صفحة بيضاء بأي حال من الأحوال، ولكن الخالق استودع هنا رصيذاً للفطرة، فيشهد العلم والمعمل لهذا الهدى الخالد.

ففي قرآن الله كل حرف، بل كل كلمة، بل كل آية، إنما فيها من ألوان العلم والهدى والإعجاز ما يعجز الناس كلهم عن إحصاء هذا الفضل وهذا الإعجاز وهذا العلم وهذا الهدى الرباني..

راجع الرابط:

<https://www.youtube.com/watch?v=oBna3CXmxgc>

○ ما الحاجة إلى الدين فى عصر العلم؟ .. لماذا لا نكتفى بالعلم الذى قدّم

لنا الحضارة والتقدم، ونترك الدين الذى يتسبب فى الصراعات والإرهاب؟!

عزیزى...

أُقدم وأُهد للإجابة بأساس مهم فى التفكير العلمى، الدين له وظيفة والعلم له وظيفة، والخلط بين وظائف الأشياء المختلفة ليس عقلاً وليس علماً.

فمثلاً قد تأتى امرأة وتقول: عندى ثلاثة وأنت عندك فرن، فهل يستطيع فُرُنُّك أن يثلج الأشياء مثل الثلاثة؟ فهذا لا يُعقل، فكلُّ له وظيفة ودور يختص به، ولا يمكن الخلط بين هذه الوظائف.

- فالدين له وظيفة.. فهو يبحث فى الإجابة عن السؤال: لماذا؟

- والعلم وظيفته البحث فى الإجابة عن السؤال: كيف؟

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠].

• والسؤال المستحق هنا: هل العلم يصلح أن يكون بديلاً عن الدين؟

والجواب: لا يصلح؛ لأن ضابط الاستخدام الآمن للعلم والحياة الطيبة هو الإيمان.. هو الدين، وبدون إيمان فإننا نسيء استخدام العلم فى القتل والتشريد ونحو ذلك، وبالتالي تنقلب الحياة إلى مصائب وكوارث، ففرق بين الاستخدام السلمى للطاقة النووية واستخدامها فى القنابل المدمرة.

وهذه الحقيقة توصل إليها وأقرّها أنبغ العلماء على مر العصور..

• فهاهو ألبرت أينشتاين عالم الفيزياء الشهير يقول: «طبقاً لهذا التجانس والانسجام الموجود في الكون، والذي يمكنني إدراكه بعقلي المحدود، لا زال يوجد أناس يقولون: (لا يوجد إله) لكن ما يغضبني حقيقة أنهم يقتبسون من كلامي ليدعموا آراءهم هذه».

• وكذلك فيرنر هايزينبرغ عالم الفيزياء الشهير أيضاً والحائز على نوبل ١٩٣٢م: «الجرعة الأولى من كأس العلوم تؤدي إلى الإلحاد، لكن في قاع الكأس الله ينتظر».

فالعالم يقدم الحضارة المادية، أما الدين.. فهو منهج حياة، هذا المنهج الذي وضعه الخالق العليم ﷻ، فبين في القرآن أسس علاقة الإنسان بربه ومولاه، وهو أن يعبد ولا يشرك به شيئاً، هذا حق الخالق، ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ ۚ﴾ [الزمر: ١١]، ويبين القرآن علاقة الإنسان بنفسه فيقول: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ۖ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا ۗ قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۝١٠ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ۝١١﴾ [الشمس].

• ويوضح الله تعالى في القرآن الكريم علاقة الإنسان بالكون... أن يتأمله وأن ينظر ليهتدى إلى الخالق، ويرى في عظمة المخلوق دليلاً على عظمة الخالق، ويستفيد بهذا الكون حين يتعلم الكيفيات في كل كائن حي، يعني عندما يدرس الطيور وكيف تطير يصنع طائرة، وعندما يدرس الأسماك وكيف تغوص يصنع غواصة... إلخ.

والقرآن أمرنا بذلك، قال الله تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وقال: ﴿قُلْ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [يونس: ١٠١].

• وكلمة (انظروا) في القرآن تساوى في التعبير المعاصر: البحث العلمى، والتفكير العلمى، هذا هدى قرآنى وجهنا الله إليه، بل إن الدين.. الإيمان جعل صنع الحضارة تكليفاً قرآنياً ﴿هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ [هود: ٦١]، (استعمركم) أى: طلب الإعمار، وليس بالمعنى السلبي الذى شُوِّه بسبب الاحتلال والاستخرا ب من الدول المعتدية، ووضح الله للإنسان علاقته بالحياة الدنيا أن يتخذها مزرعة للدار الآخرة ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [البقرة: ٢٠١].

• ووضح الله في القرآن علاقة الإنسان بأسرته ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

في حين أننا نجد المجتمع الغربى الآن يعانى من التفكك الأسرى، وهذه إحدى الأزمات النفسية التى يعانى منها الغرب.

لقد كتب عن جوانب هذه الأزمة (أزمة الأسرة في الغرب) الدكتور المرحوم عبد الوهاب المسيرى في بحث دقيق يتصل بالواقع الأمريكى اتصالاً وثيقاً؛ حيث كان د.المسيرى - رحمه الله - يعيش هناك جزءاً كبيراً من حياته، وهذا الكتاب بعنوان «التمركز حول الأنثى».

وفي القرآن الكريم جعل الله إكرام الوالدين عبادة، انظر إلى العناية بالأسرة ﴿وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾، ووضح القرآن علاقة الإنسان بجيرانه وإخوانه، والناس عامة ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ [الفرقان]، ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾ [البقرة: ٨٣].

فلا مكان للتعالي، ولا مكان للتكبر، ولا مكان للغرور.

• وفي إطار الإيمان نلاحظ أن القرآن يوضح علاقة المسلم بأمته الكبرى..
أمة الإسلام، يغار عليها وينميها بالدعوة إلى الخير، ﴿وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [آل عمران: ١٠٤]. هذا هو طريق الفلاح، ﴿وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران].

• كما حدد القرآن علاقة الإنسان المسلم بغير المسلمين، ولم يجعلها علاقة صراع فقال: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣]، ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَاءِ اتِّكُمُ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [المائدة: ٤٨].

والتعارف - يا عزيزي - إنما هو بوابة للتعامل والتنافس في الخيرات، من الذي يُعطى أفضل وينفع أكثر ويقدم الأحسن، وليس منطق صراع الحضارات الذي فرضوه تمهيداً للحروب الفكرية وللحروب العسكرية على مجتمعات العرب ومجتمعات المسلمين.

• منهج القرآن منهج خالق الإنسان العليم بالنفس الإنسانية، الخبير بما يصلحها، فهل آن الأوان أن تُفسح المجال لمنهج الله فى كتابه الكريم؛ ليصلح ما فسد منا بدلاً من التغريب والانسلاخ والتراجع واستلاب الهوية، هذا هو القرآن، فأين منه العقلاء؟

وما يعقلها إلا العالمون..

وما يذكر إلا أولو الأبواب..

فاعتبروا يا أولى الأبصار..

○ لماذا لا يتم إقصاء الدين بعيداً عن العلم، حتى نتقدم؟

عزیزی... بین الحین والحین تقوم معارك فکریة بسبب محاولة بعضهم إقصاء العلم عن الدين (الإسلام)، ويحتدُّ النقاش دون محاولة جادة لأن يفهم بعضنا بعضاً، وتتباعد المسافات، وقد يصل الأمر إلى العناد وتبادل الاتهامات، ونحن الآن نريد أن نعود بالمسألة إلى ساحة الفكر والعلم في مناقشة فکریة علمية لا تنال من الأشخاص بل تكون حريصة عليهم، وفي ظلالها حب الخير لهم، ونسأل الله تعالى العون في الوصول إلى بر الأمان، حيث الإقناع وليس الإكراه.

فالقرآن الكريم هو الذي أدان كل اتباع أعمى يُلقى بزمامه إلى سلطة لا تستند إلى العقل وإلى العلم ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْقَيْنَا عَلَيْهِ آبَاءُنَا أَوْ لَوْ كُنَّا آبَاءَهُمْ لَا يَتَّقِلُونَ شَيْئاً وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾ [البقرة].

إننا هنا لا ندافع ولا نهاجم وإنما نبين الحق والصواب، وسبيلنا في هذا البيان أن نقارع حُجَّة بِحُجَّة ورأيًا برأي، فالآراء يقدح بعضها بعضاً، ملتزمين في كل ذلك بهدى القرآن الكريم في أدب الحوار مع المخالف بالجدال بالتي هي أحسن.

وما أروع هذه العظمة وهذا التسامي، بإتاحة الفرصة كاملة للعقل كي يتأمل ويتدبّر، دون نية مُبَيَّنة بافتعال المواقف أو تشويه الصورة أو إلصاق العيب بالمخالف.

وإنما هي الرغبة في الحق، والحق وحده، فماذا بعد الحق إلا الضلال؟! ذلك الذى دعا إليه القرآن الكريم في حوار المخالفين وجداهم، قال الله تعالى:

﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْلِيَاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ].

أسأل الله تبارك وتعالى أن يهدينا جميعاً إلى الحق والصواب.

ولنبداً الرحلة:

ومن المهم بداية بيان فكرة الذين ينادون بفصل الدين عن العلم، وتحديد حجتهم في ذلك، فهذا من الإنصاف ومن ثوابت المنهج العلمى وأمانته.

• الفكرة العلمانية:

إن فكرتهم في فصل الدين عن العلم تقوم على حجة عقلية هي:

(أن الدين ثابت والعلم متغير، والربط بين الثابت الدينى والمتغير العلمى ليس فى صالح الدين، بل يقودنا إلى صدام بينهما).

ونحن بحاجة إلى ضبط مصطلحات مهمة فى المسألة:

أولاً: ضبط مصطلح العلم (المتغير) الوارد فى حجتهم:

المتغير هو النظريات العلمية التى لا تزال فى طور البحث والاختبار العلمى والتصحيح والتصويب، هنا يكون علمياً لا يتدخل فيه رجل الدين ولا الدين فى هذه المرحلة؛ لأن القرآن الكريم هو الذى اعتمد الدليل العلمى، وسيأتى بيان ذلك.

أما بشأن الحقائق العلمية التى استقرت وأقام البشر على نتائجها صناعات فى المجال التطبيقى كطيران الطائرة وطفو السفينة... إلخ ذلك، فهذه الحقائق العلمية تأكدت.

إذن علمياً الإطلاق والعموم فى استعمال عبارة (العلم متغير) دون تمييز بين النظرية والحقيقة غير صحيح، وينبغى أن يراجعوا أنفسهم؛ لأن فيه خلطاً يرفضه العلم والعلماء، فبين النظرية العلمية والحقيقة العلمية فرق واضح.

ثانياً : ما موقف القرآن والدين الإسلامى عامة من العلم؟.. هل بينهما تصادم؟!

الحقيقة أن القرآن الكريم هو الذى استشهد بالعلم من أول آية من آياته:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ (١) خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ (٢)﴾ [العلق].

ومسألة خلق الإنسان من علق حقيقة علمية استشهد بها القرآن، وما كان لأحد من البشر أى معرفة بهذه الحقيقة وقت نزول القرآن الكريم.

أيضاً لقد اعتمد القرآن الدليل العلمى، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (٥٢)﴾ [فصلت].

فعلم الآفاق علم تطبيقى: (فى الفلك، فى البحار، فى الطب، فى الهندسة... إلخ).

ولأن القرآن الكريم اعتمد الدليل العلمى، نجد مئات الآيات التى فيها

استشهاد القرآن الكريم بالأدلة العلمية والحجة العلمية أمام المنكر والمخالف.

إذن فكرة إقصاء العلم عن الدين (الإسلام) تحت زعم وَهْم التعارض، فكرة لا تتوافق مع حقيقة القرآن، بل تسلبه خصيصة من أهم خصائصه التى اختص الله بها هذا الكتاب.

إن الذى ربط بين القرآن والعلم هو الخالق سبحانه وتعالى.. ولقد جمع علماء الهيئة العالمية للإعجاز العلمى فى القرآن والسنة أكثر من (١٢٠٠) آية اشتملت على حقائق علمية، والأمر نفسه قام به موريس بوكاى (Maurice Buacaille).. ومعه أفرقة علمية من تخصصات مختلفة، حين أراد أن يضع الكتب المقدسة (التوراة والإنجيل والقرآن) على ميزان العلم.

فجمع الآيات التى تتحدث عن الكون وحقائقه المختلفة، ثم قارن ما ورد فى كل كتاب من آيات تتحدث عن الكون وما فيه بحقائق العلم الحديث. وبشأن القرآن الكريم أثبت هذا العالم (والأفرقة العلمية التى معه) نتيجتين بشأن القرآن:

الأولى: أن القرآن الكريم أكثر الكتب المقدسة الثلاثة اشتمالاً على حقائق العلم.

الثانية: أن القرآن الكريم لم يصادم فى أى آية من آياته حقيقة من حقائق العلم الحديث، وهكذا يشهد العلم للصلة الحقيقية بينه وبين القرآن. (راجع كتاب: التوراة والإنجيل والقرآن والعلم الحديث موريس بوكاى - الترجمة العربية).

• ما جذور مشكلة (إقصاء الدين عن العلم)؟

ولعلنا هنا بحاجة إلى بيان جذور المشكلة (مشكلة إقصاء الدين عن العلم).. وهذه شهادة من عاش وتعلّم في جامعة السوربون، وكان شاهداً على جدل العلماء من الأديان الثلاثة في المشكلة، إن شيخ الأزهر الأسبق الإمام أ.د/ عبد الحليم محمود، بكل ما كان يحمله الرجل من سباحة وسعة أفق وترفُّق بالمخالف وحب الخير له، يبين لنا في تلمّظ جذور المشكلة؛ فيقول في كتابه: «الحمد لله هذه حياتي»، ص «١٠٧، ١٠٨»، تحت عنوان: «لا تعارض بين الدين والعلم»:

«نشأت مشكلة تعارض الدين والعلم نشأة مزيفة؛ فإن التعارض إنما كان بين آراء أرسطو والعلم: كان بين آراء رجال الكنيسة ورجال العلم، ولم يكن - في حقيقة الأمر - بين الدين والعلم.

ولكن تيار الإلحاد المتتابع، تابع الحملة على الدين، متحدثاً عن وقائع حدثت، لا عن اختلاف الموضوعات الثابتة.

يتحدث الملاحدة عن تعذيب هذا، والتنكيل بذاك، وليس هذا موضوع القضية!! وإنما موضوعها تعارض مبادئ الدين، مع ما أثبتته العلماء من قواعد مبنية على التجربة والملاحظة.

ولم يُثبت الملاحدة ذلك في يوم من الأيام.

على أن الملاحظة حينما يتحدثون عن ذلك يُجانبهم التوفيق من جانب آخر، وذلك أن موضوع العلم: المادة، يُمثل القواعد التى بنيت على التجربة والملاحظة.

وموضوع الدين: العقائد، والأخلاق، والتشريع، ونظام المجتمع، والتقوى، وصلاح الفرد وصلته بالله تعالى، وصلته بأخيه الإنسان فى المجتمع، والرقى بالفرد، وبالمجتمع، والقرب من الله تعالى، ورضاءه.. وكل ذلك عن طريق الوحي المعصوم، الذى أرسل الله به رسله هداية للإنسانية... فأين هذا من المادة، ومن موازينها، ومقاييسها؟.. على أن المشكلة كلها بعيدة تمامًا عن الجوى الإسلامى، إنها قضية غربية بحته، قضية تتصل بـ «أرسطو» والكنيسة، ومحاكم التفتيش، وعلماء أوروبا.

والذين أثاروا المشكلة فى الشرق جماعة من البيغاوات، درسوا فى أوروبا، ولقنهم سادتهم من الملاحظة أن بين الدين والعلم تعارضًا، فتحدثوا بذلك فى الشرق دون دراسة، أو بحث، أو فهم حقيقى للموضوع.

إذن المشكلة قديمة حديثة، وكانت المشكلة عند غيرنا، يحاول هؤلاء الذين يتبنون هذه الأفكار أن يسقطوا المشكلة على الإسلام.. على القرآن... والأمر فى حقيقته مختلف تمامًا... انتهى كلام الإمام الأكبر شيخ الأزهر الأسبق عبد الحلیم محمود.

فهل آن هؤلاء أن يراجعوا أنفسهم فى هذه الأفكار التى تتعارض مع القرآن ومع العلم ومع العقل؟؟؟!

• اليقين الإيمانى ثمرة لليقين العلمى :

إن المؤمن فى رحاب القرآن يتمتع باليقين الإيمانى؛ لإيمانه بطلاقة قدرة الخالق، وما أمر به الخالق يستحيل أن يتعارض مع حقائق العلم.

كما يتمتع المؤمن باليقين العلمى الناتج عن حقائق العلم التى أثبتها الله فى آيات القرآن وشهد لها، بل أسلم بسببها وبسبب بعضها علماء لهم قدرهم، مثل كيث مور (keith moore) عالم الأجنة، حيث أعلن إسلامه بسبب آيات سورة المؤمنون التى تتحدث عن مراحل نمو الجنين، وكذلك شهد له علماء لهم قدرهم فى العلم، مثل:

عالم التشريح التايلندى تاجات تاجسن (Tagat Tags) - عالم الجيولوجيا الألمانى ألفريد كرونير (Alfred Kröner) - المفكر الإنجليزى مارتن لنجز (Martin lings) - الكاتب الأمريكى مايكل وولفى سيكرت (Michael Wolfe) - المؤلف والروائى والشاعر البريطانى ويليام بيكارد (William Pickard) - الرسام والمفكر الفرنسى المعروف أتيان دينيه (Atiean Dinier) - المفكر السويسرى روجيه دوباكبيه (Roger Dobakiye) - الكاتب الأمريكى الكولونيل دونالدس روكويل (Donalds Rockwell) - العالم البريطانى آرثر أليسون (Arthur Allison) - اللورد جلال الدين برانتون (Jalaluddin Branton) - أستاذ الرياضيات الجامعى الأمريكى جفرى لانج (Jeffrey Lang) .. وكثيرون غيرهم.

• وهنا بعد ما سبق من بيان نصل إلى أسئلة مستحقة :

- هل آن هؤلاء أن يراجعوا أفكارهم بعد تأكيد العلماء أن حقائق العلم تتفق مع آيات القرآن، وأنه كما ذكر موريس بوكاي في نتيجة بحثه العلمي، أن القرآن الكريم لم يصادم في أى آية من آياته حقيقة من حقائق العلم الحديث؟؟!!
- هل آن هؤلاء أن يتخلوا عن حملتهم ضد ثوابت الدين، بعد أن تأكد أن الذى ربط بين العلم والقرآن هو الخالق.. فماذا أنتم قائلون؟؟!!
- وماذا بعد أن تبين لهم أن القرآن الكريم قد اعتمد الدليل العلمى فى منهجه؟ فهل لا زالوا مصرّين على أن يحرموا القرآن من أهم خصائصه وهو الاستشهاد بالعلم؟

• ثم لماذا التشكيك فى ثوابت الدين بأسلوب غير علمى؟

مثلاً:

- زَعَمَ أن ماء زمزم يسبب أضرارًا.. وبحث د. فيصل شاهين الذى نشرته صحيفة الشرق الأوسط السعودية، والذى تستشهدون به يخص مريض الكلى، والقياس يكون على العموم.. والاستثناء لا يمكن أن يتحول إلى قاعدة، فالمريض له أحكام خاصة!!

- والزعم أن الصيام وعدم شرب الماء لفترة طويلة يسبب أضرارًا.. وقد ردّ العلماء على ذلك... ومن لا يستطيع لمرض أو ضعف له رخصة.. ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة: ١٨٤].. فحين نَعِنُّ لكم

فكرة تشكك في ثوابت الدين فاعرضوها أولاً على أهل التخصص.. تناقش بينهم مناقشة علمية فكرية، أما أسلوب (الفرقات الإعلامية) فهو أسلوب غير علمي.

• وفي الإطار نفسه توجد مئات البحوث لعلماء متخصصين.. ولكنكم تصرون على التناول والهجوم تحت زعم لا يسلم لكم.. وكأن الحق معكم ولا نصيب لغيركم فيه.. كأنكم وحدكم امتلكت الحقيقة.. يظهر ذلك في عنوان أحد مؤلفاتكم وهو (وهم الإعجاز العلمي).. فماذا بعد أن اتضح بشهادة العلم (والعلم محايد لا يجامل أحداً وهو الشاهد الثقة المقبول لدى كل العقول المنضبطة).. بأن هذا ما يسمى بـ (وهم الإزعاج) هو: وهم الوهم!!

- لماذا تسوقون أحكاماً دون أدلة علمية حقيقية عليها؟ وتحسبون أخطاء البشر في الاجتهاد على القرآن؟

- ثم لماذا الزعم بأن المعارضين لك والمشتغلين بالإعجاز العلمي في القرآن والسنة أنهم لا يحبون العلم؟ والحق أنهم يحبون العلم بدليل أنهم لجؤوا إلى العلم ليبين لهم الآيات التي تحدثت عن الكون!!! إنهم يحبون العلم ويشهدون له!!!

لأن القرآن هو الذي أمرنا بحب العلم والدعاء بأن يزيدنا الله من العلم، قال تعالى: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه].

والقرآن هو الذي جعل العلم سبباً للرفعة والتمكين، قال تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

والقرآن هو الذى أمرنا بالبحث والاكتشاف: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [العنكبوت].. والذى عليه مسؤولية الاكتشاف والاختراع هو حضرتك.. فأنت من أهل العلوم الطبيعية، فلماذا تقاعست واختفيت؟! حتى فقدنا أى موقع على الخريطة العلمية العالمية بسبب تراجعكم العلمى، ثم كان منك الهزيمة النفسية وجئت تلقى باللائمة على علماء الدين وأهل الإعجاز العلمى لتتبرأ من مسؤوليتك!!؟

• إن كل أصابع الاتهام تشير إليك يا سيدى!!! حين تركتم معاملكم وعياداتكم وتفرغتم للمعارك الكلامية واتهام الآخرين دون وعى بحقائق الإسلام والقرآن!!!

ولا ننسى أن نشكرك؛ لأن هجومك الدائم على ثوابت الدين يزيدنا تمسكًا بالحقائق الخالدة فى هذا الكتاب الخالد....

يقينًا منا بأن الذى خلق هذا الكتاب المنشور (الكون)، هو الذى أنزل هذا الكتاب المسطور (المقروء)... وهو القرآن.. العلم يشهد بذلك والعقل يقر به.

• إن الرجوع إلى الحق والصواب من أخلاق العلماء وشيم العقلاء، فهل تعود؟!!!!

ولا ننسى أن نؤكد ألف مرة ومرة أن المقدس عندنا يا سادة هو القرآن والسنة الصحيحة، أما اجتهد العلماء، فجهد مشكور لكن غير مقدس، فالبشر يخطئون ويصيبون.

○ إن معظم العلماء ملحدون ، فهل العلم يؤدي إلى الإلحاد؟

عزیزى ...

يظنُّ بعض الناس الذين لم يدركوا من العلم إلا قليلاً أن الكفر من ضروريات العلم، وأن أكثر الناس علماً هم أشدهم إلحاداً.

والحقيقة أن العلم لا يؤدي بصاحبه إلى الإلحاد، وإنما يؤدي بصاحبه إلى الإيمان الحق؛ حيث يجد نفسه في هذا الوجود في عالم فسيح لا حدَّ له، ينتظم في نظام محكم لا تشوبه شائبة من الفوضى، ولا يملك بعد تأمله إلا أن يخترَّ ساجداً للقدرة الإلهية التي أوجدت هذا الكون العظيم.

• العلم يشهد أن العلم يؤدي إلى الإيمان:

- فقد نشر الدكتور الألماني «دينرت» بحثاً حلَّل فيه الآراء الفلسفية لأكابر العلماء الذين أناروا العقول في القرون الأربعة الأخيرة، وتوخى أن يدقق في تعرُّف عقائدهم، فتبين له بعد الدراسة أن قلة منهم ظلوا ملاحدة، أو لم يصلوا إلى عقيدة ما، بينما شهد معظمهم بالإيمان وبصحة الدين الإسلامى وبُعده عن التحريف والتزييف، واتفاقه مع العلم الحديث.

وهذا يدل دلالة صريحة على أن التناقض بين الإيمان والعلم، الذى يزعم الماديون أنه وصف مميز للعلماء ليس له أصل، ويشير أيضاً إلى أن الإيمان والعلم يتكاملان ولا يتنافيان.

- يقول الطبيب المشهور «باستور»: إن الإيمان لا يمنع أى ارتقاء كان، ولو كنت علمت أكثر مما أعلم اليوم، لكان إيمانى بالله أشد وأعمق مما هو عليه الآن، ثم عَقَّبَ هذا بقوله: إن العلم الصحيح لا يمكن أن يكون مادياً، ولكنه - على خلاف ذلك - يَؤدِّى إلى زيادة العلم بالله؛ لأنه يدل بواسطة تحليل الكون على مهارة وتبصُّر وكمال عقل الحكمة التى خلقت الناموس المدبَّرة للوجود، كما لا حدَّ له.

- أما الدكتور «وتز» الكيميائى، وعضو أكاديمية العلوم، وعميد كلية الطب فى باريس، يقول: إذا أحسستُ فى حين من الأحيان أن عقيدتى بالله قد تزعزعت، وجهت وجهى إلى أكاديمية العلوم لتثبيتها.

- وقال المؤرخ الطبيعى «فابر»: كل عهد له أهواء جنونية، فإننى أعتبر الكفر بالله من الأهواء الجنونية، وهو مرض العهد الحالى، وأيسر عندى أن ينزعوا جلدى من أن ينزعوا منى العقيدة بالله.

- وقد سُئِلَ الدكتور «أندروكونواى» هذا السؤال: سمعت أن معظم المشتغلين بالعلوم ملحدون، فهل هذا صحيح؟

فأجابه قائلاً: إننى لا أعتقد أن هذا القول صحيح، بل إننى - على نقيض ذلك - وجدت فى قراءتى ومناقشاتى أن معظم من اشتغلوا فى ميدان العلوم من العباقرة لم يكونوا ملحدين، ولكن الناس أساؤوا نقل أحاديثهم، أو أساؤوا فهمهم، ثم استطرد قائلاً: إن الإلحاد، أو الإلحاد المادى، يتعارض مع الطريقة

التي لا يمكن أن توجد آلة دون صانع، وهو يستخدم العقل على أساس الحقائق المعروفة ويدخل إلى معمله يحدوه الأمل ويمتلئ قلبه بالإيمان، ومعظم رجال العلوم يقومون بأعمالهم حباً في المعرفة وفي الناس وفي الله.

- ونُقل عن الدكتور «ألبرت ماكومب ونشستر»، المتخصص في علم الأحياء، قوله: إِنَّ اشتغالي بالعلوم قد دَعَمَ إيماني بالله حتى صار أشد قوة، وأمتن أساساً، مما كان عليه من قبل، ليس من شك أن العلوم تزيد الإنسان تبصراً بقدرة الله وجلاله، وكلما اكتشف الإنسان جديداً في دائرة بحثه ودراسته، ازداد إيماناً بالله.

- وننقل عن اللورد «كلفن» قوله: إذا فكرت تفكيراً عميقاً؛ فإن العلوم سوف تضطرك إلى الاعتقاد في وجود الله.

- ويقول «أينشتين»: إن الإيمان هو أقوى وأنبل نتائج البحوث العلمية.

- ونختم هذه الأقوال بما قاله الفيلسوف الإنجليزى «فرانسيس بيكون»: إن قليلاً من الفلسفة يُقَرِّب الإنسان من الإلحاد، أما التعمق في الفلسفة فيرده إلى الدين..

إن أقوال هؤلاء العلماء تُبرهن على أن العلوم هى سبب إيمانهم بالله تعالى..

• القرآن له السبق العلمى:

ومما يُسَجَّل للقرآن أنه سبق أن قرَّر هذه الحقيقة منذ أربعة عشر قرناً، فقد حصر خشية الله على وجهها الأكمل في العلماء، ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]؛ لأن العلماء بما أُوتوا من صفات النظر العميق والتحقيق

الدقيق، يقفون على أسرار الإبداع الإلهى فى الوجود والنواحي الإعجازية فيه مما لا يظهر لغيرهم.

كما أن القرآن اعتدَّ بشهادة العلماء، قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران]، فالعلم أقام فى كتاب الكون البرهان على وجود الله، والقرآن سبق إلى الأدلة التى جاء بها العلم، فاتحد البرهانان على وجود الله، برهان القرآن الكريم وبرهان كتاب الكون.

• دراسات علمية تؤكد أن أكثر العلماء مؤمنون:

وهناك دراسات حديثة أثبتت هذه الحقائق، وأكدت على أن معظم العلماء حول العالم غير ملحدین، ومنهم نسبة كثيرة مؤمنة، وأخرى لا تقطع برأى بين الإيمان والإلحاد (لا أدريه)، ومجموعة قليلة ملحدون بينهم، ويمكنك الاطلاع على هذه الإحصائيات عبر الرابط الآتى:

<https://www.youtube.com/watch?v=iDb9YO6YeXw>

○ هل يمكن أن تنشأ الأخلاق، وتوجد منظومة أخلاقية داخل مجتمع
إلحادى؟! وهل جوهر الإنسان فى أخلاقه أمر فى ماديته؟

عزیزى...

إن الأخلاق فى اعتقاد الملحد نابعة من منظوره المادى النفعى.

- يقول لينين: «إن الأخلاق خدعة ميتافيزيقية.. خدعة البرجوازية»،
وفى البيان الشيوعى: «العمال يرفضون الأخلاق».

- ولأن الملحد آخر منتهى نظره وأمله وطموحه هذه الحياة المادية؛ حيث
إنه لا يؤمن بإله ولا ببعث ولا جنة ولا نار... إلخ، فهو يطلب المتعة فى هذه
الحياة بكل سبيل دون اعتبار لقيمة أخلاقية دينية، يقول جون لوك: «إذا كان
أمل الإنسان قاصراً على هذا العالم، وإذا كنا نستمتع بالحياة هنا فى هذه الدنيا
فحسب، فليس غريباً ولا مجافياً للمنطق أن نبحث عن السعادة ولو على حساب
الأبناء والآباء»!!!

• وهنا سؤال مستحق:

ما هو موقع الضعفاء (المعاق - المريض... إلخ) فى الميزان المادى للأخلاق
عند الملحد؟

والجواب: لأن الملحد يؤمن بالانتخاب الطبيعى وأن البقاء للأقوى،
وميزانه المادى للأخلاق؛ فهو يتخلص من الضعفاء فى المجتمع (المعاق -

المريض - الفقراء)، ويراهم عبئاً على المجتمع.

بينما نظرة الإيمان تقوم على التعاطف مع الفقراء، فرعايتهم تكليف إيماني، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ [المعارج]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الصَّدَقَتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسْكِينِ وَالْعَمِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَرَمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةٌ مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾﴾ [التوبة]، وقال ﷺ: «هَلْ تُنْصَرُونَ إِلَّا بِضَعْفَائِكُمْ بِدَعْوَتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ» (رواه البيهقي في الكبرى، وأبو نعيم في الحلية).. فالزكاة والصدقة تقوم بالضعفاء.

• وهنا سؤال محوري:

ماذا عن المرأة في مجتمع الملحدين وأخلاقهم؟! وماذا عن الزواج تحديداً؟!
الجواب: من داخل المجتمع والفكر الإلحادي يقول (سيمون دى بوفوار): «إن الزواج وتكوين أسرة خديعة كبرى» وتباح الممارسات الجنسية دون زواج، وبحرية غير منضبطة، وبلا حدود، حتى مع المحارم!!!
إذن ما الذى يقدمه المجتمع الإلحادي إلا: (التفكك الأسرى، هروب الآباء، غلبة النظرة المادية النفعية بين الآباء والأبناء)؟

وما الفرق بين الإنسان والحيوان في المنظور الأخلاقي عند الملحد؟!

والجواب: لا فرق، لقد انتكس الملحد من مستوى التكريم الذى منحه

الخالق للإنسان ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ إلى مستوى الحيوان.

وهكذا نرى بوضوح أن الأخلاق عند الملحد تتناقض مع الانتخاب الطبيعي والبقاء للأصلح والأقوى، ومن هنا بُرّرت الحروب، وحملات التطهير العرقي في المجتمعات الإلحادية.

• أخلاق الملحد... والداروينية الاجتماعية:

الداروينية الاجتماعية تعنى: أن الأقوى يسيطر ثقافياً وفكرياً وبيولوجياً، والضعيف ينسحب بهدوء إلى أن يموت!!! البقاء للأقوى، وصراع البقاء يفرض نفسه في المجتمع الإلحادى، بينما الإسلام فيه التعاطف والتعارف والتراحم.

• أصداء فى حياتنا المعاصرة للداروينية الاجتماعية:

ولما كان الإلحاد فلسفة تتبنى فكرة الصراع من أجل البقاء، فقد ظهرت لها تطبيقات فى إباحة القتل الجماعى فى القرن العشرين فى أوروبا.

ومن أصدائها فى المعاصر أننا نسمع عن: رصاصة الرحمة، القتل الرحيم فى الطب للتخلص من المرضى الذين لا يُرجى شفاؤهم، والتخلص من الفقراء والمساكين والمعاقين، ونظرية الخمس الثرى؛ حيث ترى القوى المتحكمة فى العالم أن خمس العالم هو من يستحق الحياة؛ لأنه الذى يملك الثروة والعلم والسلطة، ويحق لهم التخلص أو التخفف من الأربعة أخماس الباقية من سكان الكوكب الأرضى.

يقول جيمس هل: (jam Hill): «إن الثروات تُحدّد طبقاً لقانون البقاء للأقوى».

إن أصل الصراعات في الحربين العالميتين الأولى والثانية، كان بسبب التنظير الإلحادى، والرؤية المادية للإنسان، وتفضيل جنس على جنس، ولون على لون، وهى رؤية إلحادية ١٠٠٪.

• سقوط نظرية داروين (الإنسان أصله إنسان) وليس قرداً!!!

عزیزى...

لقد سقطت نظرية داروين التى تدعى أن الإنسان أصله قرد، هكذا قرر فريق من العلماء يتألف من أكثر من جامعة أمريكية، فقد كشفوا عن أقدم أثر معروف للبشر وهو هيكل عظمى فى أثيوبيا، وكان أقرب لهيئة الإنسان ويتجول فى الأرض قبل أربعة ملايين وأربعمائة ألف سنة أطلق عليه اسم (أربى)، وعرضوه ليبطلوا به نظريته القائلة بأن أصل الإنسان قرد، وبهذا الهيكل تعرف الباحثون على معلومات تتعارض مع تلك التى استقاها فى السبعينيات من هيكل لوسى الشهير، فهذه أقدم من لوسى بمليون سنة.

إذا سألت أى شخص فى الشارع الآن عن تصوره لشكل أجدادنا فسيقول لك: ربما يشبهون لوسى، وإذا سألت أحداً قبل هذه الأيام سيقول لك: يشبهون الشامبنزى.

إن الهيكل الذى بين أيديكم الآن يثبت علميًا أن التصورات السابقة غير صحيحة بتاتا، ويعتقد العلماء أن هذا الكشف هو أوضح دليل عرفوه حتى الآن يثبت أنه لا صلة بين أصول الإنسان وأصول القرد، حيث كان يمشى هذا الهيكل على قدميه كالإنسان وليس كالقرد، بإمكاننا أن نرى نظرًا لقدم هذا المخلوق أنه تطور بمواصفات خاصة تشير بأنه من شجرة عائلتنا، وأنه ليس من شجرة عائلة الشامبنزى، (أربى) هو أكثر الهياكل العظمية التى عثر عليها اكتمالاً بين العينات التى عُثر عليها حتى الآن، وقد عُثر عليه عام ١٩٩٤ فى صحراء (عثر الأثيوبية) بموقع ليس بعيدًا عن الموقع الذى عُثر فيه على الهيكل لوسى عام ١٩٧٤م، وهذا الكشف كان بمثابة ضربة جديدة لنظرية داروين التى ظلت مثيرة للجدل منذ القرن التاسع عشر.

راجع الرابط الآتى:

https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=1489231927806322&id=678986138830909



○ ماذا يَفْرق الاستنساخ في العلم الحديث عن الخلق من العدم، فماذا ترك العلم للمخالق في زعمكم؟

عزیزی... إن كلمة (الخلق) بمشتقاتها تستعمل في اللغة العربية بمعنى: (الإيجاد من عدم) على غير مثال سابق.

أما (الصنع)؛ فهو التحويل في الصفات والعناصر التركيبية من حال إلى حال، ومن وضع إلى وضع، ومن هيئة إلى هيئة، ومن خصائص إلى خصائص، دون زيادة شيء على المادة الأولى من العدم، وهذا هو الذي في مقدور البشر.

وهذا المعنى هو ما ينطبق على الاستنساخ تمام المطابقة، فإن خلاصة ما قام به العلماء حديثاً، أنهم أجروا تفاعلاً كيميائياً من العناصر الطبيعية التي أوجدها الله، مما نتج عنه أحماض أمينية، لكنها أحماض ميتة ليس لها القدرة على التفاعل.

فهل يُعدُّ هذا خلقاً كخلق من أوجد من العدم، وأبدع على غير مثال سابق؟!

إذن.. يا عزیزی... التوصل إلى سر خلق الكائنات الحية لمضاهاته، لا زال العلم عاجزاً عنه.. فاستنساخ (النعجة دولي) مثلاً أو غيرها، لا يعد خلقاً...

فمكونات هذه النعجة وأصولها التي أنتجت منها هي من صنع الخالق العظيم، ولم يأت العلماء بشيء من عندهم أو من صنع أيديهم أو مختبراتهم؛ فالبويضة من خلق الله، وهو ﷻ الذي أوجد فيها القدرة على الانقسام عندما يتواجد في داخلها ضعف عدد كروموسوماتها...

وهذه البويضة مأخوذة من جسم نعجة من إبداع الله فى خلقه، ونواة الخلية الجسدية التى زرعت فيها وما تحتويه من كروموسومات وجينات، هى أيضاً من صنع الخالق وحده.. وما قام به العلماء ما هو إلا أنهم قد بدّلوا نواة البويضة بنواة خلية أخرى مأخوذة من الجسم.

إذن... الخلق هو الأصل، وما الاستنساخ إلا صورة فوتوغرافية لهذا الأصل، فهل نستطيع الحصول على صورة بدون أصل؟!

فالاستنساخ من اسمه مشتق من النسخ؛ أى أخذ نسخة من أصل... فما بالنّا إن لم يكن الأصل موجوداً؟! هل بمقدور العلماء الإتيان به؟!

إذن فالنعجة دولّى - وغيرها مما تم استنساخه - من خلق الله تعالى، وليست إنتاج علماء، كما أن الأسلوب الذى تم به استنساخها ليس فيه أى تحدٍّ لكبريائه وعظمته وقدرته ﷻ.

ومن ثم فإن غاية ما صنعه علماء الاستنساخ أنهم أخذوا بالأسباب التى وقرّها لهم الله، وكشف لهم عنها، كما يقوم الأزواج من بنى آدم بأسباب الإنجاب؛ ليحافظوا على جنسهم من الفناء والانقراض.

فهل يمكن لقوم أن يدّعوا أنهم هم الذين خلقوا أبناءهم؟! هل يستطيع علماء الأرض جميعاً خلق خلية حيّة، أو بويضة، بل ما هو أصغر من ذلك بكثير، هل يستطيعون ولو خلق ذرّة من عدم؟!

○ هل ماء زمزم الذى نعتقد فيه الشفاء، قد أثبتت الأبحاث العلمية سميته؟!!

عزیزی... إن من عظمة الإسلام أنه يواجه كل تشكيك وكل إساءة بردّ فعل فكرى، بردّ فعل علمى.. ويترفق بالمخالف وبالمسيء رغبة فى أن يعود إلى صوابه وأن يعود إلى الحق.

عزیزی... ماذا عن توثيق ذلك البحث؟ وما ميزانه العلمى؟ ومن أى هيئة وهل هو محكّم أو لا؟ وهل الأمر فى حدود الاستثناء لمرضى الكلى أم عام لجميع الناس؟

فالزعم بأن بعض الأبحاث أثبتت أن ماء زمزم سام - ادّعاء يخالف حقائق العلم الحديث الذى أجرى أبحاثاً وأكّد حقائق لا تقبل الشك عن حقيقة ماء زمزم، فهناك - بلا مبالغة - آلاف البحوث والنتائج العلمية المتاحة على شبكة المعلومات، قد استُخدمت فيها نتائج مؤسسات عالمية مشهود لها، ومؤسسات طبية عريقة فى أمريكا وفى أوروبا.

• العلم يشهد أنه لا تعارض بين الشريعة والعلم:

كما أثبتت البحوث والنتائج العلمية التى أُجريت على العديد من الأحكام والشرائع والحقائق الإسلامية، أنها لا تتعارض مع العلم كالصيام ولحم الخنزير وماء زمزم وغيرها، ومن يدخل على شبكة المعلومات سيجد آلاف من هذه البحوث، وأنا قد رفعت على موقع بيان الإسلام، الذى يعمل

عليه معظم رجال الأزهر وكبار كليات العلوم في مصر، الرد العلمى المفصل على هذه الأمور.

وحتى يزداد الأمر تأكيداً نذكر الدراسة التالية:

• ففى عام ٢٠١٢م كشفت دراسة طبية حديثة أشرف عليها باحثون من معهد علوم الأرض بجامعة هايدلبرغ الألمانية، والتي تُعدُّ من أفضل ٥٠ جامعة على مستوى العالم، أن ماء زمزم يختلف تمامًا عن أنواع المياه المختلفة وله خواص فريدة.

وتوصل الباحثون إلى هذه النتائج بعد تجميع ٣٠ عينة من ماء زمزم، بواقع ١٠ عينات من بعض الحجيج الألمان فى عام ٢٠٠٧م، و ١٠ عينات من بعض المحال فى فرانكفورت وبرلين فى عام ٢٠١١م، و ١٠ عينات أخرى من مدينة مكة، وتم فحص جميع العينات لمدة أسبوعين.

وكشفت الدراسة عن نتائج مثيرة للغاية، حيث أكدت أن جودة وطبيعة مياه زمزم لم تتغير لمدة عامين كاملين، والغريب أن النتائج كانت متطابقة بين جميع العينات.

وفسر الباحثون هذه النتائج المثيرة لمياه زمزم، مشيرين إلى أنها ترجع إلى خواصها القلوية، حيث يبلغ درجة الأس الهيدروجينى لها (8 PH)، كما أنها تتمتع بخواص علاجية رائعة بسبب احتوائها على تركيزات قليلة من عنصر الليثيوم والزنك، وعلى الرغم من أن الأخير توجد أنواع ضارة منه وكانت تركيزاته أعلى من الطبيعى، إلا أن بعض الأنواع الأخرى لها خواص علاجية

رائعة.. وفيما يأتي صورة المجلة العلمية التي نشرت البحث:



- وكشفت دراسة يابانية أشرف عليها باحثون من جامعة طوكيو وبعض الجامعات الأخرى، ونشرت في عام ٢٠١٣م بالمجلة العلمية (International Journal of Food Properties)، أن التجارب التي أجريت على الإنسان والنباتات والحيوان قد أثبتت أن ماء زمزم له فوائد صحية رائعة في محاربة الكثير من الأمراض الضارة، والحد من نمو الخلايا السرطانية، حيث تتمتع بفاعلية قوية على عوامل نخر الورم (TNF) والإنترلوكين (IL1) والمرتبطتين بمحاربة الأورام.
- وأكد الباحثون أن ماء زمزم يحتوي على تركيبة فريدة من المعادن والعناصر المفيدة لصحة الإنسان، تعمل معاً بشكل استثنائي لتساهم في تمتع الإنسان بفوائد صحية رائعة، وتحد من فرص الإصابة بالأمراض، كما أنها تتميز بخواص مضادة للالتهابات.

وأضاف الباحثون أن مياه زمزم تُساهم أيضاً في الوقاية من تسوس الأسنان،

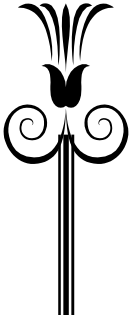
نظرًا لأنها تحتوى على قدر كبير من الفلورايد، مضيفين أن الدراسة أكدت أيضًا أنها تساهم في تعزيز الخصوبة لدى السيدات، وتحفز إفراز هرمون البرولاكتين وهرمون (LH) و (VEGF)، وأرجع الباحثون ذلك إلى احتوائها على قدر كبير من الكالسيوم والمغنسيوم، كما أنها تعزز صحة بطانة الرحم.

كما تحتوى مياه زمزم على نسبة عالية من الكالسيوم، والمغنيسيوم، والصوديوم، كما أنها لا تزال محتفظة بعناصرها الغنيّة بالأملاح والمعادن.

• بئر ماء زمزم لم يجفّ أو ينضب أبدًا، وهو يمدّنا بالماء منذ آلاف السنين، حيث إن الحاج أو المعتمر لبيت الله الحرام، يلاحظ أن هذا الماء كثير ووفير ويكفى لكل الحجاج، كما أنه لا يحدث لبئر زمزم أى نمو نباتى أو بيولوجى داخل البئر، فلا تنمو فيه أية طحالب، مما يحافظ على مياهه صالحة للشرب طوال الوقت، ولا تتم معالجة مياه زمزم كيميائيًا كبقية المياه المستخدمة في الدول الأخرى، فتعد مياه زمزم صالحة للشرب لجميع البشر وفي كل الأوقات، فلم تُذكر أى حادثة عن إصابة شخص بعلّة أو مرض نتيجة شرب هذه المياه.

• تنبيه مهم:

أما العليل المريض بعلّة معينة لا يناسب معها ماء زمزم مثل مريض الكلى، وكما لا يناسب العسل بعض مرضى السكر، فهذا استثناء لا يطعن في القاعدة العامة.



(٢)

صفات الخالق وأفعاله



○ العقل دائماً ينتصر إذا كان الجدال حول مادي ملموس، ولكن كيف نحكم العقل في الغيبيات، ومن ثم كيف ندلل عقلياً على وجود الخالق؟

عزیزی...

العقل يخطئ ويصيب، والله قد ألهمنا كيف نستدل عليه تبارك وتعالى عن طريق عقولنا التي أكرمنا بها، وإليك شرح مبسط لأدلة إثبات وجود الله تعالى وفقاً للنقل والعقل؛ لأن الناس أحوج ما يكونون إلى معرفة ربهم وخالقهم.

إن كل شيء يدل على وجود الله ﷻ؛ إذ ما من شيء إلا وهو أثر من آثار قدرته سبحانه، وما الوجود إلا خالق ومخلوق، وقد نبه القرآن الكريم إلى دلالة كل شيء على الله تعالى، كما في قوله ﷻ: ﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغَىٰ رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٦٤].

وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

• مظاهر دلالة المخلوقات على الخالق:

أولاً - دلالة الخلق والإيجاد بعد العدم:

إن وجود الموجودات بعد العدم، وحدوثها بعد أن لم تكن يدل بداهة على وجود من أوجدها وأحدثها، وليس شرطاً أن يقف كل أحد على حدوث كل شيء حتى يصدق بذلك؛ لسعة خلق الله عبر الزمان والمكان، وإدراك

الإنسان لا يستطيع أن يحيط بكل ذلك، بل إنه شيئاً فشيئاً، ومرة بعد مرة كلما زاد علمه وإدراكه اكتشف شيئاً من مخلوقات الله، فالإحاطة بكل ما خلق غير ممكنة للإنسان؛ لذلك قال ﷺ: ﴿مَا أَشْهَدُهُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الكهف: ٥١].

ومما يدل على أن وجود الخلق دليل على وجود الله ﷻ قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٢) أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ (٣٣) [الطور]، يعنى: أخلقوا من غير خالق خلقهم؟ وهذا ممتنع في بدائه العقول، أم هم خلقوا أنفسهم؟ والإنسان يعلم أنه لم يخلق نفسه، فعلم أن لهم خالقاً خلقهم، وهو الله سبحانه، وإنما ذكر الدليل بصيغة استفهام الإنكار ليتبين أن هذه القضية التي استدل بها فطرية بديهية مستقرة في الفطرة التي خلق الله الناس عليها، ولا يمكن لصحيح الفطرة أن يدعى وجود حادث بدون محدث أحدثه؛ أى لا يمكنه أن يقول: (الإنسان خلق نفسه).

قال ﷺ: ﴿وَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْتُهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكْ شَيْئاً﴾ (١٧) [مريم]، فدللت الآيات على أن المخلوق لا بد له من خالق.

ثانياً - دلالة العناية المقصودة بالمخلوقات :

والمراد ما نشهده ونحس به من الاعتناء المقصود بهذه المخلوقات عموماً، وبالإنسان على وجه الخصوص، قال ﷺ: ﴿أَلَمْ تَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْتَكُمْ أَزْوَاجًا (٨) [النبا]، وقال ﷺ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُنِيرًا﴾ (١١) [الفرقان].

وهذه العناية المقصودة ماثلة فى العالم كله، فإذا نظر الإنسان إلى ما فى الكون من الشمس والقمر، وسائر الكواكب، والليل والنهار، وإذا تأمل فى سبب الأمطار والمياه والرياح، وسبب عمارة أجزاء الأرض، ونظر فى حكمة وجود الناس وسائر الكائنات من الحيوانات البرية، وكذلك الماء موافقاً للحيوانات المائية، والهواء للحيوانات الطائرة، وأنه لو اختلف شىء من هذا النظام لاختل وجود المخلوقات التى هاهنا.. إذا تأمل الإنسان ذلك كله عليم علم اليقين أنه ليس يمكن أن تكون هذه الموافقة التى فى جميع أجزاء العالم للإنسان والحيوان والنبات بالاتفاق، بل ذلك من قاصد قصده، ومريد أرادته، وهو الله سبحانه، وعلم يقيناً أن العالم مصنوع مخلوق، ولا يمكن أن يوجد بهذا النظام والموافقة من غير صانع وخالق مدبر.

ثالثاً- دلالة الإتقان والتقدير:

- قال ﷻ: ﴿وَرَأَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَيْرُ بِمَاتَفْعَلُونَ﴾ [النمل].

- وقال ﷻ: ﴿الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِن تَفَوتٍ فَأَنْزِجُ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِن فُطُورٍ﴾ [الملك].

- وقال ﷻ: ﴿الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ﴾ [الصفا].

[السجدة].

فهذه الآيات وأمثالها تلفت نظر المستدل إلى دلالة المخلوقات على بارئها، من خلال ما يشاهد فيها من الانضباط والالتزام التام بنظام فى غاية الدقة، ما كان له أن يوجد على هذه الحال دون قيم ومدبر، وفى هذا أعظم دليل على بطلان الخرافة القائلة بحدوث العالم عن طريق المصادفة.

رابعاً - دلالة التسخير والتدبير:

إذا نظرنا إلى هذا العالم وجدناه - بجميع أجزائه - ينتظم من خلال سنن كونية لا تتبدل ولا تتغير: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا آتِلُ سَابِقِ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس]، وتتجلى فى هذه السنن الإلهية شواهد القدرة، بما لا يدع مجالاً للشك فى وجود مدبر عظيم قدير حكيم.

- قال ﷻ: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [الزمر].

- وقال ﷻ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوْ السَّمَاءِ مَا يُمَسِّكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [النحل].

خامساً: أن الخالق (الله) تبارك وتعالى أخبر فى القرآن الكريم عن حقائق بشأن بعض مخلوقاته، وهى تطابق حقائق العلم الحديث، وفى هذا شاهد حق ودليل صدق وبرهان على أن الخالق حق، وأن القرآن صدق.

○ هل يستطيع الله أن يخلق صخرة لا يمكنه رفعها؟

عزیزى...

هذا السؤال - وأمثاله - فيه مغالطة منطقية كبيرة، ويحاول كثير من الملحدين أن يستعمله فى حواراته مع المسلمين، وهم يريدون الإلزام للمجيب، فإن قال: لا يستطيع.. قالوا: كيف يكون إلهاً وهو عاجز عن الخلق؟! وإن قال: يستطيع.. قالوا: كيف يكون إلهاً وهو عاجز عن الحمل والرفع لهذه الصخرة؟! والجواب:

أن هذا السؤال غير صحيح وغير منطقى فى الأصل، فكيف يكون إلهاً وهو عاجز عن رفع «صخرتهم»، ومن صفات الله تعالى القدرة؟! وهل سيوجد فى صفات المخلوقات ما هو أعظم من صفات خالقها؟! ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة].

فالله قادر على خلق كل شىء مما خطر ببالك ومما لم يخطر ببالك، وهو سبحانه لا يعجزه شىء على الإطلاق مما خطر ببالك ومما لم يخطر ببالك.. فانتبه!! ولا تفكر فى الخالق كما تفكر فى المخلوق، ولا تقس قدرة الخالق بقدرة المخلوق... الخالق عظيم القدرة لا يعجزه شىء، و﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى].. سبحانه ما أعظمه.

○ هل خروج آدم من الجنة عقوبة أم ابتلاء؟

• إن خروج آدم من الجنة كان على وجه العقوبة، ثم حدث الابتلاء بعد نزوله إلى الأرض؛ فقد أذهب الله عنه العقوبة بتوبته، أما الابتلاء فلم يزل مستمرًا له حتى مماته، ثم لبنيه من بعده.

• فآدم عليه السلام قد عصى ربه بأكله من الشجرة، كما قال تعالى: ﴿وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾ [طه]، فعاقبه الله بإخراجه من الجنة، وكان خروج آدم من الجنة واستخلافه في الأرض مقدّرًا له قبل أن يُخلق، فالله تعالى - علام الغيوب - يعلم أن آدم سيعصيه بأكله من الشجرة، لذا قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، ومعلوم أن ذلك كان قبل أن يخلق الله آدم.

• أما بنو آدم فليسوا معاقبين مع أبيهم؛ لأنهم لم يُخلقوا في ذلك الوقت حتى يعاقبوا، كما أنه (لا تزر وازرة وزر أخرى)، كما أن الله قد تاب على آدم وهده، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَجْنَبْهُ رَبُّهُ فَقَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى﴾ [طه]، وهذا يعنى انتفاء استمرار العقوبة.

• وليس صحيحًا ما يقال: (لو لم يعص آدم ربه لكنّا جميعًا في الجنة)؛ لأن الله لم يرد للناس أن يكونوا في الجنة، وإنما أراد لهم أن يكونوا في الأرض، فيستخلفهم فيها وينظر ماذا يعملون.

فرغم أن الله تاب على آدم وهده، فإنه لم يرجعه إلى الجنة مرة أخرى؛ لأن

الله أراد أن يستخلفه فى الأرض فيعمّرها ويصلحها، قال تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فأدم من بداية خلقه مقدّر له أن يكون فى الأرض.

وما حدث بينه وبين الملائكة إنما كان تهيئة له قبل نزوله إلى الأرض؛ حتى يعلم أنه لن يتسبّد فى الأرض، ويتمكن من القيام بالرسالة إلا بالعلم: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١].

وكلمة (كلها) تشير إلى أهمية هيكله النسق المعرفى حتى يكون فاعلاً.

وأيضاً ما حدث بينه وبين إبليس كان من قبيل هذه التهيئة لأدم قبل نزوله إلى الأرض، حتى يعلم آدم أيضاً أن له فى الأرض عدواً مضلاً مبيناً يقوم على إغرائه وإغوائه.

فلما اكتملت تهيئة آدم بدرس العلم ودرس التوبة من الخطأ كان الأمر الإلهى الذى يحمل فى طياته سر السعادة والأمان والحماية: ﴿قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ [طه].

○ هل الإله يحتاج إلى خلقه؟ وإذا كان الله غنياً عن العالمين فلماذا خلق

الخلق ليعبدوه؟

• عزیزى... الله لا يحتاج إلى خلقه، ولكن يخلق الله من المخلوقات ما يكون دليلاً على طلاقة قدرته، ولإظهار عظمته وجلال قدره، من ذلك خلق العرش، ونحن البشر ليس لنا علم بأمور الغيب، ومصدر المعرفة الحقة الصحيحة الوحي، يعنى من الإله الخالق عن طريق الرسل، والذي جاءنا من أخبار عن العرش يدلنا على العظمة والجلال وطلاقة القدرة من كونه مختلفاً عن عروش المخلوقين؛ فهو على الماء وليس على الأرض، وجعل الخالق ملائكة مخصوصين لحمل العرش، وملائكة أخرى حول العرش يسبحون ويمجدون، والخالق لا يستشير خلقه فى شأنه ومراده، فليس أحد فى علم الله أو فى قدرته أو فى حكمته ليستشير؛ بل أين كنا؟؟!! لم يكن لنا ذكر ولا وجود، ثم أنعم علينا الخالق فخلقنا وجعل لنا ذكراً وجعل لنا وجوداً.

• عزیزى... إن الله ﷻ ليس مفتقراً إلى شىء، والدليل على أنه ليس مفتقراً إلى غيره - سواء فى وجوده أو صفاته أو قدرته على منح الوجود والصفات للمخلوقات - أنَّ من كان قادراً على منح الوجود لا يكون مفتقراً فى وجوده إلى غيره؛ لأنه لو كان مفتقراً لما كان قادراً على المنح، ولو كان مخلوقاً لما كان قادراً على الخلق.. انظر إلى الإنسان مثلاً هو مخلوق؛ لذا هو لا يقدر على أن يخلق شيئاً غيره من العدم، لماذا؟ لأنه مفتقر فى وجوده إلى خالقه، فكيف يمنح

الوجود لغيره؟ أما الله ﷻ فهو القادر دون غيره على منح الوجود وإيجاد المخلوقات، لذلك فهو غير مفتقر إلى غيره؛ لأنه لو كان مفتقرًا في وجوده أو صفاته أو أفعاله إلى غيره، لم يكن قادرًا على منح الوجود لغيره أصلًا.

• عزیزی.. أسئلة تطرح نفسها على الإنسان أمام العبادات التي افترضها الله على عباده:

لماذا العبادة؟ ولماذا الصلاة؟ ولماذا الزكاة؟

وتأتى آيات القرآن الكريم لتبين لنا - في وضوح تام - المقاصد الشرعية من وراء هذه العبادات، من ذلك:

- الصلاة: ﴿أَتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ بِمِثْلِ الصَّلَاةِ الَّتِي تَنهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [العنكبوت].

- الصيام: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا كُنتُم تَنفِقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ [البقرة].

- الحج: ﴿ذَلِكَ وَمَن يُعْظَمْ شَعْبَرِ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾﴾ [الحج].
﴿لَن يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِن يَنَالُهُ النَّفَقَى مِنكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾﴾ [الحج].

﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ

فِي الْحَيِّهِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَكْرَدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ وَاتَّقُونِ
يَتَأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١١٧﴾ [البقرة].

﴿فَإِذَا قُضِيَتْكُمْ مَنَاسِكُكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ
ذِكْرًا فَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ
خَلْقٍ﴾ ﴿٢٠٠﴾ [البقرة].

ولقد جاءت سورة الحج - في مقاصدها العامة - لإتمام تكوين العبد
تكويناً إيمانياً يؤهله لإقامة منهج الله تعالى؛ حيث جاء نصف السورة الأول بياناً
لأحكام المناسك، وجاءت السورة في نصفها الثاني تهيئة للقلب، وإصلاحاً
للسلوك البشري في رحاب الإيمان، وإعداداً للمسلم للقيام بمهمته في الحياة،
لإقامة دين الله تعالى، كما تأتي عبادة الحج لتخلص الإنسان من الأوزار
والخطايا؛ ليرجع كيوم ولدته أمه...

الله حكيم، وتشريع الحكيم كله حكمة، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا
خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ ﴿١١٥﴾ [المؤمنون].

○ إذا كان إلهكم هو الحنان المنان البر الرحيم، فلماذا انصرفتم مشيئته إلى ألا يهدي بعض الناس، وهو القائل: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٧]؟

عزیزی...

• فرق بين هديتين:

لقد هدى الله الناس جميعاً هداية السبب - وسأبين لك معانى الهداية في القرآن - بأن أرسل الرسل وبعث الأنبياء وأنزل الكتب، وجعل للإنسان عقلاً يدرك ويفهم ويعلم، ويبحث في كون الله ليرى فيه من شواهد الحق وبراهين الإيمان.. ليرى في عظمة المخلوق دليلاً على عظمة الخالق سبحانه.

فمن استجاب وأخذ بهداية السبب من الله عليه بنوع آخر من الهداية، وهى هداية التوفيق، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ أَهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾ [محمد: ١٧].

والآية تبين أن العصاة لم يخرجوا عن قدرة الله عليهم، وأن الله لو شاء لهدى كل نفس، بل الخلق جميعاً، كالكائنات المسخرة: الشمس والقمر.. وغيرها من الموجودات.

وهنا لا وجود للحرية، ولا إرادة للإنسان، ولا ثواب ولا عقاب، والله خلق الإنسان مكرماً حراً مختاراً، يختار الإيمان بالخالق دون إكراه، ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وفى فوز بالثواب العظيم فى الدنيا والآخرة؛ لأنه آمن ..

فلى رحم الإنسان نفسه ويختار سبيل الطاعة لى فوز بالجنة، ولى رحم الإنسان نفسه بترك الكفر والمعاصى التى نهى الخالق عنها.

مثلاً: الإنسان حين لا يلتزم باللائنات التحذيرية .. احذر (خطر الموت) .. احذر (منطقة ألغام) .. احذر (هذه منطقة غرق) ... إلخ، ولا يستجيب، ثم يصيبه الأذى ويقع فى المحذور .. فهو من أساء إلى نفسه، ولا يجدى أن يتلكأ ويتململ ويُلقى بالملامة على الآخرين، وسبحان من خلق النفس ويعلم طبعها الجدل، قال تعالى: ﴿وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف].

• عزيرى .. وهذا بيان معانى الهداية فى القرآن الذى وعدتك به:

كلمة الهداية فى القرآن الكريم لها وجوه من المعنى، من أهمها أن الهداية حين تُسند إلى المخلوق يكون لها معنى، وحين تُسند إلى الخالق يكون لها معنى مختلف، ويتضح ذلك بضرب المثال، فكلمة السؤال حين تُسند إلى الأستاذ ينصرف الذهن إلى الاختبار والتقييم والتعليم، ولكن حين تُسند إلى التلميذ فالمراد طلب المعرفة من علم الأستاذ، فالسياق يحدد المعنى.

• معنى الهداية حين تسند إلى مخلوق:

حين تسند الهداية إلى المخلوق فإنها تعنى الإرشاد والبيان، والدليل فى مثل قوله تعالى: ﴿وَيَا لَتَجْمِمْ هُمْ يَسْتَدُونَ﴾ [النحل]؛ أى يسترشدون، فالناس

فى عرض المحيط ليلاً عندما يريدون تحديد المسار والاتجاه الصحيح
يسترشدون بالنجم؛ أى يهتدون به، وكذلك يسترشدون ويستدلون بالنجم
فى الصحراء المترامية ليلاً.

وفى مثل قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾ [السجدة: ٢٤]،
فالعلماء والأئمة يرشدون الناس، ويبينون لهم الصواب والحق.

وقال تعالى فى حق سيدنا محمد ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى]؛ أى تبين وتوضح وترشد الناس إلى ذلك.

إذاً حين تسند الهداية إلى الناس - إماماً أكان أم نجماً - فهى بمعنى
الإرشاد والبيان.

• معنى الهداية حين تُسند إلى الخالق:

وحين تسند الهداية إلى الخالق يكون لها معنى آخر يتناسب مع جلال
الخالق ﷻ، ومع كمال علمه وإحاطته، ومع عظيم حكمته.

فالهداية التى فى قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ [السجدة: ١٣]،
بمعنى التوفيق والإعانة من الله ﷻ، كما فى: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة]،
يعنى: وفقنا وأعنا، فهذا هو المعنى الذى يحدده السياق.

إذاً هناك هداية السبب، وهناك هداية التوفيق، هداية السبب: حين تسند
إلى المخلوق، وهداية التوفيق: حين تسند إلى الخالق.

وحين يبين الله ﷻ ذلك في القرآن فإنه يؤكد للخلائق أنه هدى الناس جميعاً هداية السبب، بمعنى أنه أرسل الرسل، وبعث الأنبياء، وأنزل الكتب السماوية، وجعل هذه الآيات الكونية الدالة على قدرة الخالق، فهدى الله الناس جميعاً هداية السبب، فمن الذى ينال هداية التوفيق؟

الذى ينال هداية التوفيق هو من أخذ هداية السبب، وتؤكد الآيات هذه الحقيقة، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ۖ﴾ [محمد]، ونلاحظ هنا أن (اهتدوا) بواو الجماعة؛ أى أسندت الهداية إلى الناس، فالهداية هنا هداية السبب، (زادهم) الضمير يعود على الله ﷻ، فأُسندت الهداية هنا إلى الخالق، فهى بمعنى التوفيق، فمن أخذ بهداية السبب وُفّق من الله وفاز بهداية التوفيق.

• معنى المشيئة فى الآية: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾:

أما عن المشيئة فى الآية فتدل على أن الله جعلها لاختيار الناس؛ حيث قضت حكمة الله أن جعل الإنسان كائنًا حرًا مختارًا ليس مجبرًا، أو مسخرًا كباقي الكائنات؛ فالإنسان له حرية الاختيار، بمعنى أن الإنسان هو الذى يحدد مصيره باختياره، فمن رحمة الله أنه بيّن سبل الفوز والنجاة فى هذا النظام الاختيارى المقفل بالنسبة للإنسان، فى حين أن الكائنات الأخرى مسخرة، وتتجلى رحمة الله وتظهر فى إتاحة سبل الهداية للإنسان، وتيسيرها له، ويظهر هذا

فى عفوه الدائم ومغفرته التى لا تنقطع، بل من عظيم الكرم أن من استجاب لهديه وتاب وأناب بدّل الله سيئاته حسنات.

فقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى﴾ بيان لطلاقة القدرة (قدرة الله)، وأنه لو شاء لجعلكم مسخرين كالكائنات الأخرى، ثم بيّن أن الحرية المنضبطة هى المسؤولة (أنت حر إذا أنت مسؤول)، فليرحم الإنسان نفسه، ويختار سبيل الطاعة كى يفوز بالجنة، وليرحم الإنسان نفسه بترك المعاصى والمنكرات التى حذر الله منها حتى لا يستحق العقاب عليها.

○ لماذا يحاسبنا الله وقد كتب كل شيء؟

عزیزى...

سؤالك: أين حريتى فى الاختيار إن كان الله قد كتب على الإنسان وهو فى بطن أمه كل شيء... كتب أجله ورزقه، شقى أم سعيد... إلخ؟!

والجواب: لقد صرّحت آيات القرآن الكريم بأن الإنسان مخير، قال الله تعالى: ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۖ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، وقوله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦]... إلخ.

وأما بشأن كتابة الله تعالى على العبد فهى كتابة علم مسبق من الإله بطلاقة علمه وإحاطته بما يحدث فى المستقبل، يعنى هى كتابة علم وليست كتابة جبر وإلزام.

• سنن إلهية:

وهناك أمور لم يصدر فيها أمر (افعل) أو (لا تفعل)، وهذه من عند الله، مثل ما فى الإنسان من حيوانية أو نباتية أو جمادية، يعنى الإنسان إذا ما ألقى به من مكان عالٍ من فوق برج مثلاً سيسقط، لن يأتى عند الدور العاشر مثلاً ويقول: إلى هنا ولن أسقط... لن يتوقف وسيسقط.

فهناك سنن وقوانين إلهية تحكم الجمادات كالجاذبية ونحو ذلك، وهذه القوانين ستحكم فيه دون إرادة منه، وأيضاً خاصية النمو التى فيها هذه الصفة التى تكون فى النبات.

هل الإنسان عند العشرين مثلاً يقول: أنا سأظل عند هذه السن؟! لن يحدث وسيظل ينمو؛ لأن سُنَّة النمو ستجرى عليه، فهذه الأمور ليس فيها أمر وليس فيها نهى، وليس لك اختيار فيها.

فمنطقة الاختيار فيما فيه تكليف، (افعل ولا تفعل)، أمر ونهى.

هذه المنطقة كتبها الله على الإنسان كتابة علم؛ لإحاطة علم الله تعالى، وليست من قبيل الجبر أو الإلزام.

• مثال للتقريب:

ونضرب على ذلك مثلاً كان يضربه كثيراً - سحائب الرحمة والرضوان عليه - فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى، فيقول: كما يحدث فى توقع المدرس، عندما يقال له: كم عندك من الطلبة والتلاميذ؟ ماذا تتوقع لهم فى الامتحان هذا العام؟ فيقول: عندى الطالب فلان هو ممتاز، وفلان وفلان جيّد جداً، وفلان جيد، وتأتى النتيجة وفق توقع الأستاذ.

هل الأستاذ قال لمن رسب أن يرسب وأجبره على الرسوب؟

إذن التوقع علم وليس جبراً وإلزاماً.

ومثل هذا أيضاً علم التنبؤات والتوقعات فى أمور المستقبل، مثل علم الأرصاد الجوية، فالطائرات تسير على إرشادات هذا العلم، والطائرة قبل أن تطير تستطلع وتساءل: هل هذه المنطقة آمنة؟ والأرصاد تجيب.

فإذا كان فى مقدور البشر توقع المستقبل الذى ليس منا ببعيد بهذه الدقة، فما بالناس بالخالق العليم بكل شىء: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٤] [المُلْك].

يا عزيزى، من صنع آلة فهو يتنبأ بمستقبلها وعمرها الافتراضى، وبسلوكها حين تضغط على هذا المفتاح، وحين يحدث كذا يحدث كذا... .

إذن على العاقل أن يعطى الإله حقه من الصفات التى تليق به، ولا يتعامل - وهذه نقطة جوهرية - مع الإله على أنه من بين البشر.

إنه إله له طلاقة القدرة، وله إحاطة العلم، وله شمول العلم، وليس الخالق كالمخلوق أبداً بحال من الأحوال: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٤] [المُلْك]، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [١١] [الشورى].

إذن هى كتابة علم، وليست كتابة جبر وإلزام.

• وقد يقول قائل: إن الرزق فى هذه الحالة مقدّر، وهذا قد يدعونى إلى التواكل وإلى عدم الأخذ بالأسباب؛ لأنه إذا كان رزقى مقدوراً فسيظل مقدوراً، أعملت أم لم أعمل.

والجواب: لك حساب على ما تعمل، ولقد شاءت إرادة الخالق أن تكون هذه الدنيا كلها قائمة على الأسباب، فمن اتبع الأسباب وأحسنها وأجادها، فقد أحسن التوكل على الله ﷻ، وسوف يفيد هذا التوكل عوناً من الله ﷻ، وتوفيقاً من لدنه.

وقد نسمع بعضهم يقول: إذا كان ربنا كتب علىّ أن أعصى فأنا عاصٍ.
والجواب: لماذا لا تقول: ربنا كتب عليك الطاعة؟ ما الذى أعلمك أنه كتب عليك
المعصية؟ ولماذا قدرت الشرّ على نفسك؟ إن كنت تقدّر فقدر الخير يا عزيزى، وفى
الحديث القدسى يقول الله تعالى: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي» (متفق عليه).

يعنى كن إيجابياً حتى فى ظنك، كن إيجابياً فى تفكيرك، لترى الخير يا
عزيزى، والله يعلمك هذا، إذن الكتابة هى كتابة علم بمعرفته سلوك هذا
المخلوق؛ لأن الله هو الذى خلق ويعلم كل شىء... ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ
الْلَطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٤] [المُلْك].

إذن حرّيتك موجودة ومكفولة، وما دمت حرّاً فعليك أن تتحمل
المسؤولية، أنت حر فأنت مسؤول عن اختيارك.

○ الإله أمر بالشورى، فلماذا لا يكون الإله قدوة ويشاورنا، لماذا يفرض علينا الأمور، ولا رأى لنا، ثم يحاسبنا؟!

عزیزى...

• أمر الإله الناس بالشورى لعدم كمال علمهم ولنقص حكمتهم.. وبالشورى يكتمل علمنا بالأمر من جميع جوانبه.. وحتى يستفيد كل قائد أو مسؤول من ذكاء مَنْ حوله وَمِنْ خبراتهم ومن أهل التخصص فى كل مجال، ونحن نفعل هذا فى أمورنا الدنيوية.. حين نقوم بعملية العصف الذهنى للوصول إلى الأفضل، وحين نقوم بدراسة الجدوى لمشروع ما بواسطة مكاتب متخصصة.

كما أن الشورى تجعل القرار جماعياً، فيحس كل فرد بالانتماء لهذا القرار، فيجتهد فى إنجاحه.. وكل هذا لائق بشأن المخلوقين..

• أما الخالق فمختلف فى كل شأنه عن المخلوقين ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ [الشورى]..

ومن صفات الخالق الكمال.. الكمال فى علمه: ﴿يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾ ﴿٧﴾ [طه]، والكمال فى حكمته: ﴿عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ ﴿٦١﴾ [النساء].. فليس هناك أحد من خلقه فى حكمته حتى يشاوره، وليس هناك أحد فى علمه حتى يشاوره، ولا فى قدرته وسلطانه، فهو على كل شىء قدير.. له طلاقة القدرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ ﴿٢٠﴾ [البقرة].

• وأما أنه يحاسبنا، فلأنه خلق الإنسان حرًا مختارًا، والعدالة تقتضى أن يتحمل كل إنسان مسؤولية اختياره.. والقاعدة العقلية تقول: أنت حر، إذن أنت مسؤول..

وما يعقلها إلا العالمون..

وما يذكر إلا أولو الأبواب..

فاعتبروا يا أولى الأبصار..

○ إذا كان إلهكم عادلاً وحكيماً، فلماذا يبتلى عباده بالأمراض.. ولماذا يخلق طفلاً مشوهاً.. ولماذا هذا عقيم.. وهذه ولود.. وهذا أعمى.. وهذا بصير.. وهذا مريض.. وهذا سليم.. إلخ؟؟؟

عزیزی...

• مثل تربوی:

يضرب علماء التربية مثلاً مفيداً في أثر الشدائد والابتلاءات في بناء قدرة الإنسان على التحمل والمواجهة.. إنها نوع من التربية.

فالفحم حين تعرّض لضغوط عالية بين الصخور لملايين السنين تحوّل إلى المعدن النفيس (معدن الماس)، أما الفحم الذي لم يتعرض لضغوط عالية بين الصخور لملايين السنين فقد ظلّ فحمًا كما هو، وهكذا تفعل فينا الشدائد، نُحوّلنا إلى الأفضل ببناء القدرة على المواجهة والتحمل وزيادة رصيد الخبرة في الحياة.

• حكمة الخالق من ابتلاء الإنسان:

الخالق حكيم في كل شأنه، ومن حكمته أنه يبتلى الإنسان لمقاصد عالية أخبر عنها، منها:

- تكفير السيئات وغفران الذنوب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ

مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى].

- رفع لدرجة العبد ومنزلته عند الله تعالى، إذن ينبغي أن ينظر للابتلاء (مرض / فقر... إلخ) باعتبار العاقبة والنتيجة، فهو خير للإنسان؛ لأنه يكفر عنه السيئات، ويرفع له الدرجات..

- ويضاف إلى ذلك أثر الابتلاء في تهذيب النفس المتمردة المتكبرة الطاغية، فإنَّ من أهم ثمار الابتلاء أنه يقرب الإنسان من خالقه، ويكسر حدة الغرور والكبر فيه ويدفعه إلى التواضع.

- والمتأمل لآيات الذكر الحكيم عن هذه السُّنة الإلهية - سنة الابتلاء - يجد أن هناك أمورًا ثلاثة ارتبطت ببعضها في محيط الفتنة والابتلاء:

الأول: أمر الفتنة والابتلاء.

الثاني: الصبر على الابتلاء.

الثالث: البشارة والفرج.

وحين نتدبر الآيات القرآنية نجد أن هذه الثلاثة كلها من الله ﷻ.

• فالابتلاء من الله الحكيم، وفعل الحكيم كله حكمة: ﴿أَحْسَبَ النَّاسُ أَنْ

يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا أَمْكَأَ هُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ [العنكبوت].

• والصبر هبة من الله، ولا يفلح العبد في الصبر على البلاء إلا بتوفيق الله

وعونه وتأييده، لقوله تعالى مخاطبًا نبيه ﷺ: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾

[النحل: ١٢٧].

• والبشارة إنما هي فضل ونعمة من الله.. فماذا بقى للعبد؟!

وهذا يؤدى بالعبد - إذا فقه هذه الحقيقة الإيمانية - إلى التسليم والرضا.

• ومن الحقائق التى تتعلق بهذه الأمور أن البشارة لا تتأتى إلا إذا امتثل العبد أمر ربه، وأيقن أن الأمر كله لله، وأن الخلق كله لله، وأن الله يفعل ما يشاء:

﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٦١) [يوسف].

كيف لا؟! وربنا قد بيّن ذلك فى قرآنه، قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) [البقرة].

وإذا ما انتبهنا إلى أن اللام فى (الله) للملكية، بمعنى أننا ملك لله، فالعبد وما ملكت يده ملك لسيده ومولاه، وللمالك أن يتصرف فى ملكه كيف يشاء.

من هنا ندرك أن الابتلاءات فى الأفراد والجماعات والأمم لا تُرفع إلا بالامتثال لأمر الله، والصبر على المكاره، وعدم السخط على قدر الله.

• ومن حقائق الابتلاء فى القرآن الكريم: أن الابتلاء لا يكون بالشر وحده، وإنما يكون بالخير أيضًا، لقول ربنا تبارك وتعالى: ﴿وَنَبْلُوَكُمْ بِالْشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ (الأنبياء)، بل إن نعمة الحياة كلها اختبار وابتلاء ليميز من يُحسن ومن يُسيء، من يشكر ومن يكفر: ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّيَ عَنِّي كَرِيمٌ﴾ (النمل).

- ومن حقائق الابتلاء فى السنة النبوية: أن الابتلاء لا يكون فقط عقوبة بسبب الذنوب والآثام، بل هو سبب رحمة، به تُغفر الخطايا وتُرفع الدرجات، وفى الحديث:

- عن الحارث بن سُوَيْدٍ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ قَالَ: «دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّكَ لَتُوعَكُ وَعَكًا شَدِيدًا! قَالَ: أَجَلُ إِنِّى أُوْعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلَانِ مِنْكُمْ. قُلْتُ: ذَلِكَ أَنَّ لَكَ أَجْرَيْنِ؟ قَالَ: أَجَلُ، ذَلِكَ كَذَلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذَى شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا» (متفق عليه).

- عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا هَمٍّ وَلَا حُزْنٍ وَلَا أَذَى وَلَا غَمٍّ حَتَّى الشَّوْكَةِ يُشَاكُّهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ» (متفق عليه).

فليس الابتلاء شرًّا وإن بدا فى ظاهره كذلك، بل هو بالنظر إلى نتيجته وعاقبته خير عظيم ونفع كبير يناله الإنسان المؤمن.

○ لماذا لا ينصرُ الله المظلومين؟

عزیزى...

فى ساعات الشدائد والكوارث تصبح قضية الإيمان ذاتها محل تساؤل..
وقد يضعف البعض ويتساءل لقلة وعيه: لماذا لا ينصر الله المظلوم؟ وهل نحن
على حق؟ ولو كنا على حق لنصرنا!!

يُصَوِّرُ اللهُ مشهَدَ القذائف المتساقطة على رؤوس المظلومين وحال
أولئك المتسائلين قائلاً: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ
وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا
زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾﴾ [الأحزاب].

• ما معنى وجود الإنسان فى الحياة؟

إن تلك التساؤلات ناتجة عن تصوُّر خاطئٍ لمعنى وجود الإنسان فى
الحياة، فالله تعالى لم يخلق الإنسان ليكون سعيدًا دائمًا فى الدنيا، بل ليبتليه، فإذا
نجح فى امتحان الدنيا سيكون سعيدًا دائمًا فى الآخرة: ﴿الَّذِى خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ
لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢].

لأن الحياة الدنيا دار عمل وابتلاء، والآخرة دار جزاء وحساب وردّ
اعتبار ونعيم مقيم للمظلومين.

• حرية الإنسان شرط في ابتلائه :

إن حرية الإنسان في اختيار أفعاله شرط أساسى ليكون محاسباً أمام الله تعالى، فلا ابتلاء دون حرية، لذلك فإن الله وضع قوانين وأمر الناس بتطبيقها، فإن التزم الناس بتلك القوانين عاشوا فى سعادة، أما إن أعرضوا عنها فقد اختاروا نشر الفساد فى الأرض، وعن هؤلاء يقول الله: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٤١) [الروم].

• لماذا لا يتدخل الإله لمعاقبة الظالم؟

لو تدخل الله لمعاقبة كل من يقوم بظلم لما كان للابتلاء من معنى، ولما تجرأ أحد على أن يظلم الآخرين خوفاً من العقاب الفورى الذى سيُنزله الله به، وحين يغيب الابتلاء تفقد الحياة معناها: ﴿وَلَوْ يُوَاحِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِمْ مَا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَحْضِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ (١١) [النحل].

ويستطيع الله أن يمنع كل ظالم عن ظلمه، لكن هذا المنع يتعارض مع سنة الابتلاء التى خلِق البشر من أجلها. ﴿إِنْ نَشَأْ نُنزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾ (٤) [الشعراء].

• الحياة الدنيا فى ميزان الآخرة :

إن الحياة الدنيا ليست سوى لحظة عابرة لا يمكن أن تُقارَن بالحياة الأبدية

التي وعد الله عباده الصالحين بسعادة أبدية فيها، فلا يجب أن نتعجب إذا كان صوت الظالمين أعلى من صوت المظلومين في الدنيا: ﴿أَفَرَأَيْتَ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَنُونَ ﴿٢٠٧﴾﴾ [الشعراء].

فالله تعالى لا يريد لنا لحظات عابرة من سعادة تقوم على ظلم الآخرين، بل يريد لنا حياة أبدية ننعيم فيها بالسعادة.. ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾﴾ [الأنفال].

لذلك فإن القرآن الكريم يُعطي الأولوية للحديث عن كيفية كسب رضا الله قبل الحديث عن الحظوظ الدنيوية: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا هَلْ أَذُكُم عَلَىٰ بُعْثِكُمْ نَجِيكُم مِّنْ عَذَابِ إِلِيمٍ ﴿١٠﴾ تَوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرَ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلَكُم جَنَّاتٍ جَارِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسْكَنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ يُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ﴿١٣﴾ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾﴾ [الصف].

إن الله تعالى ليس غافلاً عما تفعله الصواريخ والقذائف في كل مظلوم، وليس غافلاً عن صرخات الأطفال والنساء والمظلومين هنا وهناك، لكن سنة الله اقتضت أن يكون الإنسان حُرّاً في فعل ما يريد ليكون محاسباً على أفعاله أمام الله يوم القيامة: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ ﴿٤٢﴾﴾ [إبراهيم].

• إيقاف الظلم مسؤولية من؟

إن العمل على إيقاف الصواريخ التى تقتل الأبرياء هو واجب الإنسان أينما كان وأياً كان انتهاؤه، حتى لا يتمدد الظلم الذى يصيب المظلومين، وإذا لم يُسارع عقلاء العالم إلى إطفاء النار التى أشعلها الظالمون ستأكل مَنْ يسكت عن معاناتهم غداً.

وليعلموا جميعاً أن الدنيا دار عمل، والآخرة للحساب وللعدالة المطلقة ورد الاعتبار للمظلومين.

وما يعقلها إلا العالمون..

وما يذكر إلا أولو الأبواب..

فاعتبروا يا أولى الأبصار..

○ لماذا خلق الله الشر؟ ألا يتناقض ذلك مع أنه لا يأمر بالفحشاء (الشر)؟

وكيف تزعمون أن إلهكم كامل ورحمن ورحيم وكريم ورؤوف وهو قد خلق كل هذه الشرور في العالم؟؟

عزیزی...

لقد جاء في القرآن أن الله تعالى لا يأمر بالفحشاء (الشر)، قال الله تعالى:
﴿وَإِذَا قُلُوا فَحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَأْمُرُ
بِالْفَحِشَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾ قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ
عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف].

عزیزی... هناك فرق بين الإرادة الكونية في خلق الأشياء، والإرادة
التشريعية، وسأبينها لك.

• بداية: ما الحكمة من خلق الشر؟

الجواب: وجود الشر له حكم بالغة، منها:

١- أن الله أرادنا أحراراً، ولم يجعلنا مسخرين، والفرق واضح بين
التسخير وحرية الاختيار والتكليف، فحرية الاختيار تكريم إلهي للإنسان، بأن
يجعل لك إرادة وحرية اختيار، ولست مكرهاً على الإيمان به، وما دمت حراً تختار
فأنت مسؤول عن الذي تختاره، والاختيار يقتضي وجود صواب وخطأ تختار بينهما، ولو
كانت جميع الاختيارات في الامتحان صواباً لم يعد للاختيار قيمة تذكر.

تمامًا كما يجعل المدرس فى امتحان الصواب والخطأ.. إجابات خاطئة مقابل الصحيحة حتى يختار الطالب..

وهذا من حكمة وجود الخير والشر.. الحق والباطل.. الظلم والعدل فى الدنيا:

أ- لأنها دار عمل.

ب- وحتى يتحقق الاختيار.

ج- ويكون الاختيار للإنسان.

٢- والخير فى الوجود هو الأصل والقاعدة.. أما الشر فهو الاستثناء، فالصحة هى الأصل.. والمرض استثناء.. استقرار الأرض هو الأصل.. والزلازل هى الاستثناء.. وهكذا.

٣- لولا الشر ما عرفنا قيمة الخير.. فتقديرك للصحة يزداد عند وجود المرض، وتقديرك للأخلاق يزداد حين ترى أصحاب الأخلاق المذمومة، وهكذا فالضد يميز الأشياء ويظهر قيمتها.

٤- الشر ليس محضًا.. بل يخرج منه خير.. ألا ترى أن سمَّ الثعبان يكون منه ترياق فيه الشفاء، والشدائد تبني فينا قوة التحمل فى الإنسان.

• مثل تربوى:

ضربوا مثلًا فى التربية من قديم: أن الفحم ومعدن الماس من عنصر واحد، فعندما تعرض الفحم لضغوط عالية بين الصخور للملايين السنين تحول

إلى ماس، والفحم الذى لم يتعرض إلى هذه الضغوط ظلّ فحمًا كما هو، فالشدائد والمصائب هى التى تجعل الإنسان قطعة ماس عنده خبرة أكثر، وعنده قدرة على التحمل أكثر..

٥- وأما الحياة الخالية من الشر، وهى الخير المحض، فهى فى الجنة جزاء العمل الصالح والإيمان الصادق.

٦- الفرق بين الإرادة الكونية (خلق الأشياء).. والإرادة الشرعية (التشريعية) الأمر بالأشياء.. هو الذى يزيل اللبس من عقول الناس، فالإرادة التشريعية هى المنهج الربانى للحياة.. افعل ولا تفعل.. لتنعم وتغنم وتسعد وتسلم.

○ هل الله يغوى خلقه لفعل الشر؟! ﴿قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ (٣٦)

قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٤٠﴾ [الحجر].. فقد جاء في الآية ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي﴾.. فهل الله هو من أغوى الشيطان؟! ..

عزیزی...

إن ضعف الناس في معرفة قواعد اللغة العربية هو الذي أوقعهم في مثل هذه الأسئلة، والتعبير في الآية يتصل بباب في قواعد البلاغة العربية اسمه: فن المُشَاكَلَة.

• فما معنى فن المشاكلة:

المشاكلة تعني: ذكر الشيء أو المعنى بلفظ غيره لوقوعه في صحبته؛ لإيقاظ العقل ولفت الانتباه وبيان أن الجزاء من جنس العمل. لقد شاءت حكمة الحكيم أن خَلَقَ الإنسان حرًّا مختارًا، فالإنسان حيث يضع نفسه، فإن اختار الطاعة والذكر نال الجزاء المناسب لذلك: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾، ومعنى (أذكركم) هنا ليست بمعنى (فاذكروني).

فاذكروني: أي بالذكر القولي: سبحان الله... الحمد لله... القرآن... إلخ. وبالذكر العملي، وهو فعل الطاعات والصالحات. أما معنى أذكركم: أي

أذكركم بالتوفيق والقبول والتأييد والحفظ والمنازل العالية والدرجات الرفيعة يوم القيامة، وهكذا.. وهذا الأسلوب مألوف لدى العرب، كما فى قول الشاعر:

مَنْ مَبْلَغُ أَفْنَاءٍ يَعْرُبُ كُلَّهَا إِنِّى ابْتَنَيْتُ الْجَارَ قَبْلَ الْمَنْزِلِ

فالذى سَوَّغَ بناء الجار هو بناء المنزل، ومنه قول الشاعر:

قَالُوا اقْتَرِحْ شَيْئًا نُجِدْ لَكَ طَبْخَهُ قُلْتُ اطْبُخُوا لِي جُبَّةً وَقَمِيصًا

فالذى سَوَّغَ (اطبخوا لى جبة وقميصًا) وهما لا يطبخان هو وقوعهما فى صحبة كلمة (نجد لك طبخه).

بعد هذا التمهيد، نصل إلى الآية موضوع السؤال: ﴿قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَغْوَيْتَنِي

لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣١﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿٣٢﴾﴾ [الحجر].

• القرآن يفسر بعضه بعضاً:

والقرآن كتاب محكم يفسر بعضه بعضاً.. وتندبر الآيات التى قبلها فى

سورة الحجر يظهر الحق.. تدبر معى هذه الآيات: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَلٍ

مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣١﴾ وَلَجَّانَ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ ﴿٣٢﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى

خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٣٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ، وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِى فَقَعُوا

لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٣٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٤٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ

السَّاجِدِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ يَتَّبِعْ إِبْلِيسَ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدَ

لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَلٍ مِنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴿٤٣﴾ قَالَ فَخُذْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٤٤﴾ وَإِنَّ

عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ [الحجر].

• ماذا نفهم من الآيات؟

أقول بتوفيق الله: بتدبر الآيات ترى أن الخالق بعد أن بيّن أنه من طلاقة قدرته أنه خلق نوعين مختلفين، كل نوع له نظامه الخاص في الخلق، وكما أن صانع الصنعة هو الأعلم بأفضلية صنعة على أخرى، فهكذا - والله المثل الأعلى - الله أعلم بما خلق وبما خلقه له.

وهكذا شاءت حكمة البارئ أنه خلق الجان من نار السّموم، ثم الإنسان من صلصال من حمأ مسنون، وحين خلق الإنسان أمر الملائكة بالسجود لهذا المخلوق الجديد (الإنسان)، واستجابت الملائكة كلهم أجمعون لأمر الخالق الحكيم، لم يتخلف عاصياً متمرداً على الخالق إلا إبليس؛ حيث أبى أن يكون من الطائعين.. تكبراً أو غروراً لأنه رأى أنه خُلق من أصلٍ (النار) أفضل من أصل خلقه آدم (التراب)، ولم ينظر إبليس إلى عظمة الأمر وحكمته.

فاستحق الطرد بمعصيته، واستوجب اللعنة لعناده وكِبَره، ثم سأل الله بعد ذلك أن يمد له في البقاء إلى يوم الدين؛ فاستجاب الله له، وهكذا إبليس هو الذى اختار، يحكى القرآن قول إبليس: ﴿قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ ﴿٣٩﴾ [الحجر].

• فما معنى (أغويتنى) فى سياق الآية؟

(أغويتنى) هنا فى هذا السياق يفسرها كل ما ذكر قبلها: أن إبليس اختار المعصية وسأل الله البقاء والإمهال إلى يوم القيامة، فاستجاب الله له، فاعتبرها إبليس فرصة للانتقام من عدوه الذى تسبب - بحسب ظن إبليس - فى طرده ولعنته فقال: ﴿لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَاغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [الحجر].

(لَأُغْوِيَنَّهُمْ) هنا بمعنى: الإضلال وغواية الآخرين وإغرائهم بالشرور والفساد والفحشاء والمنكر والبغى.

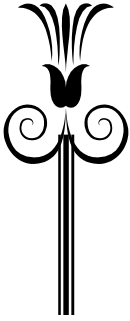
وبحسب القاعدة البلاغية فى اللغة العربية: يكون الذى سَوَّغَ ذكر ﴿يَمَّا أَغْوَيْنَنِي﴾ يعنى سبب وصف الجزاء على المعصية بالغواية هو وقوع هذا المعنى فى صحبة كلمة (لأغوينهم)، وفى هذا لفت للانتباه من جانب، ومن جانب آخر فيه بيان لتدليس إبليس وتخبطه حتى فى حوارهِ مع الخالق؛ لأن الآية جاءت حكاية عن قول إبليس فى حوارهِ مع الخالق.

وبهذا يتضح المعنى وتظهر المزية فى أسلوب القرآن الكريم.

وما يعقلها إلا العالمون..

وما يذكر إلا أولو الأبواب..

فاعتبروا يا أولى الأبصار..



(٣)

الطعن فى الدين والإسلام



○ إذا كان الدين مصدره واحد، هو الخالق كما تزعمون، فلماذا تختلف الشرائع وتتعدد الأحكام بين الأديان؟

عزیزى...

• إن القدر المشترك المتفق عليه في التشريع بين الأديان تراه في اتساع كبير جداً، فمثلاً تحريم الأخلاق السيئة؛ مثل: «الغش - الزنا - الكذب - الخيانة» وتحريم الأشياء والأفعال الضارة؛ مثل: «أكل الميتة - القتل - السرقة»... إلخ، هنالك قدر متفق عليه في التشريع بين الأديان؛ وهذا القدر ليس قليلاً، بل هو الأكثر، بل هو الأعم، وهناك قدرٌ مختلف فيه بين الأديان، لماذا؟

لحكمة الخالق في رعاية مصالح العباد واختلاف الأماكن والأزمنة على مر التاريخ البعيد؛ لذلك جعل لكل أمة شريعة تميزها.

• أيضاً اختلاف المناهج في التشريعات السماوية يُراعى الطبيعة الإنسانية في مراحل نموها النمو البشرى ودرجات الوعى البشرى، وهذا من مرونة التشريع الربانى؛ بل من أهم المهم؛ نعم أقول إن هذا من أهم المهم، وهو أن التشريع داخل الدين الواحد لا يلزم حالة واحدة، فالمضطر له حُكم وتباح له أمور لا تحل لغيره، والمريض له حُكم وتباح له رخص لا تحل لغيره، والفقير له حُكم في إعفائه من بعض الواجبات والفرائض المالية، والغنى له حُكم في إلزامه ببعض الواجبات التى لا تجب على غيره، وهكذا وهكذا..

يعنى مرونة التشريع الربانى.

• وكذلك التدرج في الأحكام بين تشريع وتشريع، وداخل التشريع الواحد هذا موجود أيضًا، وهو من حكمة البارئ الخالق ﷻ: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك].

• مثال واقعي علمي:

يا عزیزی..

إن كنا في دنيا الناس نقول: الذي يكتب تذكرة الدواء (الروشتة) هو الطبيب، والذي يضع الامتحان ويضع المنهج ويضع الخطة هو الأستاذ، ومن ثم فليس غريباً أن الذي يضع التشريع هو الله الحاكم الخالق: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك].. وإن كنا نُسَلِّم للأعلم في دنيا الناس.. نُسَلِّم للطبيب ونأخذ الدواء.. ونُسَلِّم له لفارق العلم والخبرة؟! نُسَلِّم للمهندس في البناء.. نُسَلِّم للمستشار القانوني في القضايا لفرق العلم.. أَلَا نُسَلِّم للخالق؟! أأنتم أعلم أم الله؟

• سنة التدرج:

إن هذا الاختلاف بين الأديان في التشريع يعبر عن حكمة الحكيم في مراعاة أحوال الناس؛ لاختلاف ظروف كل أمة واختلاف طباعها وتنوع العادات وتباين المصالح، كما أنه يراعى طبيعة الإنسانية في مراحل نموها المختلفة ودرجات وعيها المتفاوتة، سبحانه من هذا شرعه!

وكذلك يوجد النسخ لبعض الأحكام، وهو من باب التدرج في التشريع؛ ومن عظمة التشريع الإسلامي أنه يُرينا تاريخ التشريع لتعلم كيف نعالج النفوس، وأن التدرج في معاملة النفس البشرية أمر مهم في التربية، فالنفوس البشرية ليست كالألات، بل ماسة مفتاح تغييرها، لا.. لا..، وإنما تحتاج إلى وعى، وإلى فهم، وإلى تهيئة، وإلى بصيرة، وإلى تدرج... إلخ.

الطبيب يا عزیزی حين يضع تذكرة الدواء ثم بعد أسبوع يغيرها، هل كان ذلك عن جهل، أم كان ذلك مقصوداً؟ بكل تأكيد كان مقصوداً لحكمة هي التدرج في خطة العلاج، وهذه سنة فطرية، وهذه سنة من سنن الله في الكون، انظر إلى الليل والنهار، إلى الفصول الأربعة، إلى النمو الإنساني؛ لا يأتي إنسان مثلاً يملك المال والسلطان يقول: أنا سأنجب شاباً بشكل مباشر لا يمر بمراحل الطفولة ولا الصبا ولا نحو ذلك؛ فذلك مستحيل لأنه أمام سنة كونية، وهي سنة التدرج في النمو.

وحتى في التعليم يا عزیزی.. نحن نلجأ إلى التدرج، فليس دفعة واحدة يكون الإنسان عالماً، حتى في التدريب الرياضي أنت تلجأ إلى التدرج؛ اللاعب قبل أن ينزل إلى الملعب يقوم بالتسخين ويعمل عملية إحماء ونحو ذلك، هذه سنن فطرية وسنن كونية يجب ألا يتنكر العاقل لها؛ لأن العقل يقر بها والعلم يعمل بها.. فهذا الإسلام يعلمنا التدرج شيئاً فشيئاً.. حتى يصل بنا إلى هذه القمة الإيمانية وإلى قمة الفضائل.

○ إنَّ عقائد الأديان السماوية وأفكارها وتشريعاتها قد سُرقت من ديانات وثقافات وثنية سبقتها؛ مثل ملحمة جلجامش، فقد كانت المصدر لكثير من الأفكار التي قال بها الإسلام، فهل الدين صناعة بشرية؟

• عزیزی... أصحاب الديانات السماوية - والتي كان آخرها الإسلام - يؤمنون بأنه تَعَاقَبَ على الأرض مَنْ لا حصر لهم من الأنبياء والرسل، فما من قوم أو أمة إلا وأرسل الله لها نبياً أو أكثر، بداية من آدم عليه السلام وحتى خاتم الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، واجتمعت الرسالات السماوية على عبادة الله وحده، فكان قوله تعالى: ﴿اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ﴾ [الأعراف].. هو دعوة كل نبي لقومه.

ومنها قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا مِنْ رَبِّهِمْ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة]، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْبِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [٢٤] وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ﴾ [فاطر].

نعم.. لقد كان هؤلاء الأنبياء والرسل - بمختلف البلدان والعصور -

يحملون الرسالة نفسها، وهى الدعوة إلى توحيد الله وعبادته، مع اختلاف بعض التفاصيل المتعلقة بالأحكام الشرعية، التى كانت تتغير حسب الزمان والمكان، وحسب تطور المجتمعات.

• لذلك فإن الكثير من القصص والأفكار التى تردت فى العصور القديمة، مثل ملحمة جلجامش مثلاً، أو قصة الطوفان، وغيرها... مما ترد فى ثقافات معظم أمم الأرض، سبق ذكرها فى بعض الرسائل والكتب السماوية حتماً...

فالثقافات القديمة وما جاء فيها من قصص وأحداث وأفكار وتشريعات، هى المأخوذة عن رسائل سماوية أقدم، ولو بشكل محرف، وليس العكس.

ومما يدعم صحة هذا القول.. أنك لا تكاد تجد مجتمعاً إنسانياً، مهما كان بدائياً أو معزولاً... حتى فى أدغال الأمازون المجهولة، إلا ويؤمن بالكثير من الأفكار التى نجدها فى الأديان السماوية، حتى وإن كانت قد حرّفت بفعل تقادم الزمن...

الأمر الذى يؤكد وحدة أصل البشر: «أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ» (رواه أبو داود والترمذى)، وأنهم جميعاً قد تلقوا رسائل سماوية تحمل مضامين متشابهة.

○ لماذا لم يكن الإسلام أول الرسالات من بداية الخلق إلى نهايته؟

عزیزی...

الله حكيم خبير.. له في خلقه شؤون يجريها وفق نواميس وسنن توافق مراده، فهو ﷺ ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [٢٣] [الأنبياء]، فليس أحد في حكمته ولا في علمه ولا في قدرته.. واقتضت حكمة الله تعالى أن يرسل في كل أهل زمان ومكان من يصلح من اعوجاجهم ويردهم إلى طريقه القويم، ومع توالي الأزمان واختلاف الأماكن وتراكم العلل الإنسانية، تَفَضَّلَ الله على العالم أجمع بأن أرسل إليهم رسولاً لا إلى قومه خاصة، وإنما إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً، كِتَابُهُ ناسخ لكل الكتب قبله ومهيمن على ما سواه، ودعوته باقية على مر العصور منذ بعثته وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها.

وأما لماذا تأخرت البعثة النبوية حتى خُتِمَتْ بها الرسالات؛ فهذا هو مُقْتَضَى عموم الرسالة المحمدية، وخُصُوص ما سبقها من الرسالات، كما قال رسول الله ﷺ: «أُعْطِيتُ حَمْسًا لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ قَبْلِي»، فذكر منها: «وَكَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ عَامَّةً» (متفق عليه).

ولا يخفى أن الرسالة الشاملة لعموم البشرية، بل للثقلين جميعاً، إذا ابتدئ بها فلن يكون لما بعدها معنى، بل سيكون تقديمها بمثابة تقديم الناسخ على المنسوخ، وقد سبق أن أشرنا إلى أن البشرية مرَّت بمراحل وكانت الشرائع تناسب أحوالها، ثم ختم الله الشرائع بشريعة محمد ﷺ لمناسبتها لهذا الختم من

وجوه.. لكمالها ووفائها بحاجات البشر إلى يوم القيامة.

وقال المراهى فى تفسير قوله تعالى: ﴿وَالَّذِى أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ [فاطر].. أى: إن الله خير بأحوال عباده، بصير بما يصلح لهم، فيشرع لهم من الأحكام ما يناسب أحوال الناس فى كل زمان ومكان، ويرسل من الرسل من هو حقيق بتبليغ ذلك للناس: ﴿اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ﴾ [الأنعام: ١٢٤].

• دعوة الرسل تقوم على التوحيد:

ودعوة الرسل جميعاً تقوم على التوحيد الخالص لله تعالى، إلا أن كل رسول يختص بتقويم الانحراف الحادث فى عصره وموطنه، ذلك أن الانحراف على الصراط المستقيم يختلف باختلاف ظروف الزمان والمكان، ولما كان النبىُّ محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، فقد جاءت رسالته عامة شاملة لكل أسس التقويم والهداية التى جاءت فى الكتب السماوية وزائدة عليها حتى تكون صالحة لكل زمان ومكان.

وسبب آخر لختم الرسالات بالإسلام هو أن الأمم على عهد الرسل الأولين كانت تعيش فى عزلة لا تقارب بينهما ولا اتصال إلا على الوسائل البدائية، لكن الوضع تغير كثيراً بعد رسالة محمد ﷺ، فأصبحت المسافات مطوية والاتصال الأسمى واقعاً - لا سيما فى العهود المتأخرة - مما جعل حمل الرسالة إلى جميع من فى الأرض متاحاً؛ فاقتضت حكمة الله تعالى ختم

الرسالات بالإسلام، قال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

ولذلك حينما نُسأل نحن المسلمين: لماذا أنتم مسلمون؟! نقول: لأننا
نؤمن بالأديان كلها.. ونحن مأمورون بذلك.. ولكن لما كان الدين الإسلامي
هو آخر هذه الأديان، كان هو واجب الاتباع دون غيره..
وما يعقلها إلا العالمون..
وما يذكر إلا أولو الألباب..
فاعتبروا يا أولى الأبصار..

○ ما ذنب من لم تصله الدعوة والقرآن؟

- الإسلام يُعَرِّضُ في الإعلام العالمى الآن على أنه جهل وتخلف وإرهاب!! صورة أفرزت الناس وأسهمت في تكوين «الفوبيا» من الإسلام!
- وخلال عمر البشرية الطويل لم يترك الله البشر دون هداية، لقد أرسل الرسل وأنزل الكتب وخلق العقل وَيَسِّرَ العلم... إلخ، قال الله تعالى: ﴿وَلِإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا﴾ [النحل: ٣٦].

كما أن الرسائل الإلهية للبشر.. قد تكون تأملًا بالعقل.. أو خشوعًا في القلب.. إلخ، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ [المدثر: ٣١].

- أما من لم تبلغه الدعوة الصحيحة التى خلت من التشويه.. ولم يصله القرآن صافيًا.. فله حكم خاص من الخالق لأنه العدل، فلا يحاسب ولا يعاقب إلا بعد إعلام وبيان، قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥]، فهؤلاء (أهل الفترة).

وأهل الفترة: هم من عاشوا في زمن لم يأتهم فيه رسول ولا نبي، أو كانوا في مكان لم تصلهم فيه الدعوة، وَمَنْ كَانَ في حكمهم كالأطفال من المشركين ونحوهم.. فهؤلاء لا حساب عليهم، وأمرهم إلى الله تعالى، والله يعامل عباده بالرحمة والعفو..

والمقصر فى هذا نحن، مَنْ كلفهم الله بدعوة الناس فلم يفعلوا، أى البشر هم المخطئون المقصرون، وليس الدين، وليس البشر حجة على الدين، بل الدين حجة على البشر.

وما يعقلها إلا العالمون..

وما يذكر إلا أولو الأبواب..

فاعتبروا يا أولى الأبصار..

○ هل الإسلام يخشى النقد؟

عزیزی... الإسلام هو الذي علمنا.. أن نسأل وأن لا نقبل الإيمان إلا بالحجة والبرهان، ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٢٤].

ومنع الإكراه في الدين.. لأن الإكراه على الإيمان لا يصنع المجتمع المؤمن الحقيقي، قال الله تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وعلى حد تعبير (جيفرى لانج) أستاذ علم الرياضيات بجامعة واشنطن: إنه في الإسلام السؤال متاح بدون سقف أعلى، حتى الملائكة تسأل، والذي جعله عنواناً لأحد كتبه، وطرح أسئلة تُعدُّ من أهم المهم، تدور في أذهان الأمريكان وبخاصة حديثو العهد بالإسلام: لماذا خلقنا الله؟.. هل أتى بنا إلى الأرض ليعذبنا؟.. لماذا يعاقبنا؟.. إلخ.. وعرض جملة من الإجابات العقلية والعلمية.

وليس بعد أن سأل الخالق العقل البشري: ﴿أَلَمْ يَخْلُقْكُمْ أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّكُمْ عَلَىٰ آلِهَةٍ مُّعْتَدِلَةٍ﴾؟؟؟ وكرر السؤال مرات في سورة النمل.. ثم يدعو الخالق بعد تكرار السؤال: ﴿أَلَمْ يَخْلُقْكُمْ أَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّكُمْ عَلَىٰ آلِهَةٍ مُّعْتَدِلَةٍ﴾؟؟؟ إلى التفكير في ذلك بالمنهج العلمي من خلال البرهان العلمي والحجة العقلية.. قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

ليس بعد ذلك لأحد كلام في ادعاء أن الإسلام يخشى النقد.

○ هل الإسلام دين يلغى العقل ويخضعه للنصوص الدينية فى القرآن

والسنة؟

عزیزی...

العقل هو مناط التكليف فى الإسلام، والقرآن الكريم اشتمل على (١٢٦٠) ألف ومئتين وستين سؤالاً للعقل البشرى، والقرآن ذاته معجزة عقلية، وليس معجزة حسية، كعصا موسى، أو ناقة صالح، أو نار إبراهيم، معنى هذا أن القرآن خطاب للعقل البشرى، كما وضحنا فى مواضع سابقة.

فالإسلام لم يُلغِ العقل، وإنما دعا إلى إعماله من أجل أن يصل الإنسان إلى اليقين عن اقتناع وبرهان، ولا أدل على ذلك من وجود آيات كثيرة فى القرآن الكريم تدعو إلى النظر فى الأنفس وفى السماوات، وما فيها من سحب وبروق ورعود وشمس وقمر وكواكب، وفى الأرض وما فيها من جبال وبحار وأنهار وأشجار..

قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ (١١) [الذاريات]، ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ

وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرَى فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَّاءٍ فَأَخْبَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُسَخَّرِ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ (١٦٤) [البقرة]،

﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ (١١)

[آل عمران]، ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾ (٧) ﴿وَلِلَّاسْمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾ (٨) ﴿وَلِلَّ

لِجِبَالٍ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١١﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿١٢﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿١٣﴾
[الغاشية].

• ما معنى دعوة القرآن الكريم للنظر والتفكر في هذه الأمور؟

أليست هذه الآيات حثاً للإنسان أن يعمل عقله؟ حتى يكون مقتنعاً
وبالدليل، لا مقلداً أو متبعاً للظنون؛ فإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً.

ثم إن كان الإسلام يلغي العقل يا عزیزی، فلم عاب على الذين عطلوا
عقولهم، فلم ينظروا في الأكوان بما يؤدي بهم إلى الإيمان، ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ
نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ ﴿١٠﴾ فَأَعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ [الملك].

إن ذنبهم الذي اقترفوه أنهم لم يُعْمِلُوا عقولهم بما يؤدي بهم إلى الإيمان،
فكان جزاؤهم أن كانوا من أصحاب السعير.

• هل ألغى الإسلام العقل أمام النصوص الدينية؟

إن الإسلام لم يُلغِ العقل أمام النصوص الدينية، وإنما دعا إلى فهمها
ومعرفة المراد منها، دون تقليد أعمى أو تأدية لحركات اعتيادية دون وعى أو
إدراك لما نقول أو تفعل، إننا نقرأ في القرآن الكريم قول الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا نَفَرَ
مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ
لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ﴾ ﴿١٣٢﴾ [التوبة]، وقال ﷺ: «مَنْ يَرِدِ اللَّهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ»
(متفق عليه).

أليست هذه دعوة صريحة للتفقه في الدين؟ .. وهل يكون التفقه إلا بإعمال

العقل؟!

إذا فالإسلام لم يُخضع العقل للنصوص الدينية، وإنما جعل له دورًا كبيرًا في فهمها وتطبيقها ومعرفة المراد منها، إلا أن يكون قصدك جعلَ العقل حاكمًا على الدين، وهذا أمر لا يستقيم!! لأن العقل مخلوق، والدين مصدر المعرفة فيه من الخالق، والعقل لا يتأتى له البحث في الغيبات، فمصدر المعرفة فيها الوحي من الخالق العليم، وللعقل البحث بلا حدود في مجال العلوم الطبيعية فهذا مجاله.

○ ما حقيقة الدين؟!

عزیزی..

الدين ليس صناعة بشرية، ولكنه وحى من الخالق، فهو سبحانه الأعلّم والقدير والحكيم والخير، وهو الذى خلق الإنسان ويعلم ما يصلحه، ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [١٤] [الملك].

هل هناك من هو فى علم الله، أو فى قدرته، أو فى حكمته؟!!!

أليس من العقل أن نتبع الأعلّم والأكثر حكمة وقدرة؟!!

وخطاب الخالق للإنسان خطاب عقلى؛ حيث تأتى الأوامر مصحوبة بالحكمة منها والعلة فيها؛ والمثال على ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزَّيْفَ إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾ [٣٢] [الإسراء].. ومثل ذلك كثير فى القرآن الكريم. لم يُبلغ الإسلام العقل، وإنما أمر بإعماله، فهو مناط التكليف، وقد حث القرآن على النظر والتفكر، ودعا للتدبر والتعقل، وأنكر على الذين لا يُعْمَلُونَ عقولهم قائلاً: ﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [٦٨] [يس].

• وماذا عن الدين عامة؟

بيان الحقائق بالأدلة والحجج المنطقية مهمة سامية، ينهض لها العلماء وأهل الفكر؛ دعماً للحوار الإيجابى بين الأفكار والآراء والعقائد، وتقوية

لمساحة الودّ والتآلف والأخوة بين أهل الإيمان من كل دين، وتجليّة للمشارك الإنسانى العام الذى تلتقى عنده الأديان.

ولقد أكد الباحثون والعلماء حقيقة مهمة، وهى أن الأديان السماوية اجتمعت عند جملة من الحقائق، أهمها:

• الدين هادياً للإنسان:

جاء الدين هادياً للإنسان.. لعقله وقلبه.. وعوناً من الخالق للمخلوق، ليُعرفه بحقيقته وحقيقة ما حوله من مخلوقات، ومنزلته بين هذه المخلوقات، وتحديد دوره فى هذه الحياة، وتبصرة الإنسان بأن من وراء هذه الحياة الدنيا الفانية حياة باقية هى حياة الآخرة، فيها الجزاء والثواب والعقاب، فيها تحقيق العدالة المطلقة بين الخلائق.

ومقاصد الشريعة الخمسة فى الإسلام خير مثال على ذلك، فقد حرص الإسلام كل الحرص على حفظ ما يعرف بالكليات الخمس: حفظ النفس؛ ولأجله حرم القتل.. وحفظ الدين؛ ولأجله حرم الإكراه على الإيمان.. وحفظ العقل؛ ولأجله حرم الخمر والمسكرات.. وحفظ النسل؛ ولأجله حرم الزنا.. وحفظ المال؛ ولأجله حرم السرقة، ولحماية هذه الكليات كلها شرع حد الحرابة لمواجهة الإرهاب والإفساد.

وجاء الدين هادياً للإنسان بإرشاده إلى الأخلاق الكريمة والعلاقات

الودودة، قال الله تعالى فى كتابه العزيز: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَسْخَرُوا مِن قَوْمٍ

عَسَىٰ أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا فِسَاءٌ مِّنْ فِسَاءٍ عَسَىٰ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا تَلْمِزُوا
 أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُولَٰئِكَ
 هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١١﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا
 تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَبَ بََعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا
 فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ [الحجرات].

وفي الكتاب المقدس: «وَتَعَلَّمُوا مِنِّي، لِأَنِّي وَدِيعٌ وَمُتَوَاضِعُ الْقَلْبِ،
 فَتَجِدُوا رَاحَةً لِّنُفُوسِكُمْ» (متى: ١١ - ٢٩).

• الدين قوة إيجابية فى الحياة:

الدين قوة إيجابية تحفز على تحقيق مغزى استخلاف الإنسان فى الأرض،
 وإعمارها لها، وسيره فى مناكبها حتى يحصل رزقه المادى وهو القوت، ورزقه
 المعنوى وهو اكتشاف المجاهل وتجليه الغوامض وتوسيع آفاق الفكر الإنسانى،
 وإشباع نهمه إلى العلم والمعرفة فى كافة الميادين.

والدين قوة إيجابية تحدث فى حياة الإنسان تحولاً فى قلبه وعقله وسلوكه،
 فيتجلى هذا التدين نظاماً ونظافة وحباً وتسامحاً، واحتراماً لحقوق الآخرين،
 وإحساساً بوحدة بنى الإنسان؛ فلقد أحدث الدين اعتدالاً فى حياة البشر، حين
 أخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الموت إلى الحياة، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ
 مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشَىٰ بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ
 بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢].

فالتدين الحق خروج بالإنسان عن كل الصفات السلبية إلى الصفات الإيجابية، خروج من الظلمات إلى النور، قال تعالى: ﴿الرَّكَتَبُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝١﴾ [إبراهيم].

ومن هنا كان ربط الإسلام بين الدين والأخلاق، فليس الإيمان مجرد كلمات تقال أو عبادات تؤدى وحسب، إنما هو السمو الروحى إلى مكارم الأخلاق، قال الله تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ ۝١ فَذَلِكَ الَّذِي يَدْعُ الْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يُخْصُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝٣﴾ [الماعون].

• أثر العبادات فى سلوك الإنسان:

والعبادات فى الإسلام لها أثرها الكبير فى سلوك الإنسان، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وقال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» (رواه البخارى).

وهذا ما أقرته كل الأديان السماوية وأكدته مرارًا وتكرارًا، جاء فى الكتاب المقدس: «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ؛ لَأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.. طُوبَى لِلْحَزَانِ؛ لَأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ.. طُوبَى لِلْوُدْعَاءِ؛ لَأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الْأَرْضَ.. طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعَطَاشِ إِلَى الْبَرِّ؛ لَأَنَّهُمْ يُشْبَعُونَ.. طُوبَى لِلرَّحْمَاءِ؛ لَأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ.. طُوبَى لِلْأَنْقِيَاءِ الْقُلُوبِ؛ لَأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ.. طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ؛ لَأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ

يُدْعُونَ.. طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ؛ لِأَنَّ لَهُمْ مَلَكَوَتَ السَّمَاوَاتِ»
(إنجيل متى، الإصحاح الخامس).

والتدين حب وألفة وأخوة ولين وتسامح يدفع أصحابه إلى مزيد من
الرحمة، وفي القرآن الكريم قال الله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ
فَقْطًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَفْقَضْنَا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

والله تعالى هو الرؤوف الرحيم الودود القريب الحنان المنان، اللطيف
بعباده، العليم بما يصلحهم، فأرسل إليهم رسله صلوات الله وسلامه عليهم،
وكان خاتمهم محمد ﷺ: ﴿رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء].

• الدين دعوة إلى اليسر:

جاء في القرآن وصفًا للحبيب المصطفى سيدنا محمد ﷺ: ﴿لَقَدْ
جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ
بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة]. وهذه دعوة كريمة لليسر والتيسير
والبعد عن العنت والمشقة، وفي السنة النبوية قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الدِّينَ
يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ» (رواه البخارى).

ولما بلغه عن عثمان بن مظعون وبعض الصحابة أنهم يصومون الدهر فلا
يفطرون، ويقومون الليل فلا ينامون، وأنهم أرادوا الترهيب واعتزال النساء،
غضب ﷺ وقال: «أَنْتُمْ الَّذِينَ قُلْتُمْ كَذَا وَكَذَا، أَمَا وَاللَّهِ إِنِّي لَأَخْشَاكُمْ لِلَّهِ

وَأَتَقَاكُمْ لَهُ، لَكِنِّي أَصُومُ وَأُفْطِرُ، وَأُصَلِّي وَأَرْقُدُ، وَأَتَزَوَّجُ النِّسَاءَ، فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنتِي فَلَيْسَ مِنِّي» (متفق عليه).

وجاء رجل إلى النبي ﷺ فشكا إليه أنه لا يحضر صلاة الفجر خلف معاذ بن جبل ؓ؛ لأنه كان يطيل الصلاة، فغضب النبي ﷺ، ونبه معاذًا قائلاً: «أَفَتَأَنَّ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟ اقْرَأْ بِسُورَةِ كَذَا وَسُورَةِ كَذَا» (متفق عليه).

ولقد كان النبي ﷺ الأسوة والقدوة في الرحمة، قال تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء].

والنبي ﷺ يقول: «مَا كَانَ الرَّفْقُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَمَا نَزَعَ الرَّفْقُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ» (رواه الترمذي، وأحمد)، وكان دأبه ﷺ اليسر في كل أموره، تقول السيدة عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «مَا خَيْرَ رَسُولٍ اللَّهُ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلَّا اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا، مَا لَمْ يَكُنْ إِتْمًا» (متفق عليه).

وقال ﷺ مخاطبًا الأمة كلها: «يَسِّرُوا وَلَا تَعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا وَلَا تَنْفُرُوا» (متفق عليه).

وكما دعانا الله تعالى إلى اليسر والتيسير والتبشير والرفق واللين، دعانا إلى التسامح وحسن التعايش والحوار، قال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ۚ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت].

وفي الكتاب المقدس، جاء في إنجيل (لوقا) الإصحاح السادس: «لَكِنِّي

أَقُولُ لَكُمْ أَيُّهَا السَّامِعُونَ: أَحِبُّوا أَعْدَاءَكُمْ، أَحْسِنُوا إِلَى مُبْغِضِكُمْ، بَارِكُوا لِعَدِيَّكُمْ، وَصَلُّوا لِأَجْلِ الَّذِينَ يُسِيئُونَ إِلَيْكُمْ، مَنْ ضَرَبَكَ عَلَى خَدِّكَ فَأَعْرِضْ لَهُ الْآخَرَ أَيْضًا، وَمَنْ أَخَذَ رِدَاءَكَ فَلَا تَمْنَعُهُ ثَوْبَكَ أَيْضًا، وَكُلُّ مَنْ سَأَلَكَ فَأَعْطِهِ، وَمَنْ أَخَذَ الَّذِي لَكَ فَلَا تَطْلُبْ لَهُ.

• الدين دعوة إلى فعل الخيرات:

لا نكاد نجد في القرآن الكريم آية تدعو إلى الإيمان دون أن تقرن بين الإيمان والعمل الصالح، ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّبِيَّانَ مَن ءَامَنَ بِاللّٰهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١٢٧] وجاء الأمر الإلهى بالتسابق والتنافس فى الخير، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوْجِهَةٌ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧].

وفى الكتاب المقدس: «حَدِّ عَنِ الشَّرِّ، وَاصْنَعِ الْخَيْرَ.. اَطْلُبِ السَّلَامَةَ، وَاسْعَ وَرَاءَهَا» (مزمير ٣٤: ١٤).

• الدين دعوة إلى العلم والتفكير والتأمل والتدبر:

كان أول ما نزل من القرآن دعوة إلى العلم والتعلم، وهو قوله تعالى: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ ① خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ② اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ③ الَّذِى عَلَّمَ

بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ [العلق]، وما أكثر الآيات الداعية إلى إعمال العقل والتفكير والتأمل، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة]، ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة]، وقد امتدح القرآن الكريم المؤمنين بأنهم: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُسَبِّحُكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران]، وذم القرآن الكافرين بعدم تدبر آياته، قال الله تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ [محمد].

• الدين دعوة إلى الجمال:

القرآن الكريم حافل بالآيات التي تلفت الأبصار والبصائر إلى ما في الكون من جمال وإبداع، وتأمل آية النور: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجْجَةٍ الزُّجْجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَلَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [النور].

وتدبر قول النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ» (رواه مسلم).

• الدين دعوة إلى حسن الخلق:

التحلى بمكارم الأخلاق، والترفع عن الصغائر والدنايا مما أمرت به الشرائع السماوية، ليكون الإنسان أهلاً لرسالته العظيمة، ألا وهي خلافة الله في الأرض، وفي القرآن الكريم آيات كثيرة تحضُّ على حسن الخلق، ومن ذلك أن

الله تعالى وصف نبيه الكريم ﷺ بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ ﴿٤﴾ [القلم]، وقال تعالى فى صفة عباد الرحمن: ﴿وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا﴾ ﴿١٣﴾ [الفرقان].

وأمر عباده المؤمنين بالصفح الجميل والعفو وكظم الغيظ، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكُظُمِينَ الْغَيْظِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿١٣٢﴾ [آل عمران]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ السَّاعَةَ لَإِنَّيَّةً فَاَصْفَحْ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ ﴿٨٥﴾ [الحجر].

وفى الحديث الشريف عن عقبة بن عامر، رضى الله عنه قال: لقيت رسول الله ﷺ فبدرته فأخذت بيده وبدرنى فأخذ بيدي فقال: «يَا عُقْبَةُ، أَلَا أُخْبِرُكَ بِأَفْضَلِ أَخْلَاقِ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، تَصِلُ مَنْ قَطَعَكَ، وَتُعْطَى مَنْ حَرَمَكَ، وَتَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَكَ، أَلَا وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يُمَدَّدَ فِي عُمُرِهِ وَيُبْسَطَ فِي رِزْقِهِ فَلْيَصِلْ ذَا رَحِمِهِ» (رواه الحاكم)، وسئل ﷺ: أَيُّ الْأَعْمَالِ أَفْضَلُ؟ فَقَالَ: «حُسْنُ الْخُلُقِ» (رواه الخرائطى فى مساوئ الأخلاق).

ولن تتحقق هذه الرسالة من دون جهاد للنفس وآفاتها، ومجاهدة لشياطين الغواية والأهواء والضلالات، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾ ﴿٢١٨﴾ [العنكبوت]، وقبل هذا وبعده: لا بد من اليقين بأن وراء هذه الحياة حياة أخرى أبدية، وأن الله مطلع على أفعال البشر، وسيجزئهم

بها إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) [الزلزلة].

وفي الكتاب المقدس: «لَا تَمْنَعِ الْخَيْرَ عَنْ أَهْلِهِ، حِينَ يَكُونُ فِي طَاقَةِ يَدِكَ أَنْ تَفْعَلَهُ.. لَا تَقُلْ لِصَاحِبِكَ: اذْهَبْ وَعُدْ فَأَعْطِيكَ غَدًا وَمَوْجُودٌ عِنْدَكَ.. لَا تَخْتَرِعْ شَرًّا عَلَى صَاحِبِكَ، وَهُوَ سَاكِنٌ لَدَيْكَ آمِنًا.. لَا تُخَاصِمِ إِنْسَانًا بِدُونِ سَبَبٍ، إِنْ لَمْ يَكُنْ قَدْ صَنَعَ مَعَكَ شَرًّا» (أمثال: ٣: ٢٧ - ٣٠).

إنَّ التدين السلبي لا يُزَكِّي نفسًا، ولا يرتفع بعقل، ولا يُحْيِي ضميرًا، ولا يهذب فطرة، إنه عبء علينا.. والإنسان المؤمن الصادق يكون مرآة صادقة لعظمة الأديان، وكل شعائر الأديان، ولها آثارها العميقة في قلوب الناس وفي واقع حياتهم.

• تأمل لرموز الأديان السماوية:

التأمل لرموز الأديان الثلاثة يرى أن الحكمة رمز لليهودية، والمحبة رمز للمسيحية، والرحمة رمز للإسلام..

ويتساءل الإنسان: ماذا لو اجتمعت معاني الحكمة مع المحبة مع الرحمة؟ هل سيصير العالم الذي نعيش فيه ملائكيًا؟

نعم.. لكن فئة من البشر أصروا على الانحراف بهذه المعاني البليغة وهذا السمو إلى العداة والصراع ويتساءل العقلاء:

أوليس البشر جميعًا - على اختلاف ألوانهم ولغاتهم وثقافتهم وأديانهم - ينتمون إلى أصل واحد، إلى أبيهم آدم وأمهم حواء؟!

إذن فلمَ التقاطع والتدابير والضغائن والأحقاد؟

كيف وقد منحنا الله هذه النعمة الإلهية العظيمة، ألا وهى نعمة العقل؟ تلك المنحة التى مكنت الإنسان أن يسود هذا الكون، فاكشف واخترع، واستطاع أن يجد سبلاً لتسخير الطبيعة، لتكون طيعة له، فارتاد الفضاء، وقطع المسافات، وأزال حواجز الزمان والمكان، وصنع الحياة من جديد.

لقد ميّز الله الإنسان باللغة، التى بها يكون التواصل والتفكير واختزان الخبرات، ونقل التجارب والمشاعر... إلخ.. وبهاتين المنحتين أنجز الإنسان إبداعات رائعة.

وأراد الله ﷻ أن يسمو بالإنسان إلى مدارج أعلى وأسمى؛ فبعث الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم وأنزل الكتب السماوية، لتملأ قلب الإنسان نورًا ورحمة ومحبة، والأنبياء والرسل - عليهم السلام جميعًا - جاؤوا لخير البشرية وهدايتها والسمو بها.

غير أن انحراف الفكر عند المتطرفين من أتباع كل دين قد أفسد فطرتهم، وانتكس بالمعانى السامية والغايات العظمى من الدين، فمارسوا الحروب باسم الدين، وأشعلوا العداوة والبغضاء باسم الدين، فأفسدوا علينا نعمة الحياة ونعمة السلام التى منَّ الله بها علينا، وأحالوا الحياة إلى صراع ودمار.

والمأمل فى الأديان الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام، يجد أن رموزها ذات دلالة على مقصودها وغايتها، فالحكمة اليهودية، والمحبة المسيحية، والرحمة الإسلامية.. لو اجتمعت معاً؛ لأحالت العالم إلى جنة أرضية تنعم بالسلام والتعاون والتواصل.

إنه سلام متميز عن سلام المصالح أو سلام الضعف، أو سلام القوة.. إنه سلام نابع من داخل النفوس والقلوب.. إنه أمان نابع من أعماق القلوب.. ولو اتخذ أتباع كل دين أنبياءهم أسوة وقدوة فى الحكمة والمحبة والرحمة ملئوا الحياة أمناً وأماناً وبراً وعطاءً.

فالأديان كلها سبل لهداية البشر، والخطأ يكمن فى الأفهام المغلوطة، والدين منها بريء..

فمثلاً: الصليب رمز للتضحية والفداء والإيثار والسماحة والمحبة فى النصرانية - من وجهة نظر أهلها - لكن تسييس هذا الرمز خرج به من دائرة النور إلى دائرة الشر ليكون شعاراً للحروب، كما نجد ذلك بارزاً فى اسم: الحروب الصليبية.. وهذه إساءة للصليب لا يقبلها المتدين الحقيقى ولا العقل السليم.

وفى الإسلام شرع القتال لدفع الظلم والعدوان، وليس للهجوم والعدوان على الآخر، ولكن تسييس القتال حوّله إلى عدوان وإرهاب، وهذا إساءة لدين الرحمة والسماحة (الإسلام).

• الأفكار البشرية ليست ديناً مقدساً :

إن المتعصبين من أتباع كل دين يرتكبون جريمة نكراء حين يجعلون من أفكارهم البشرية ديناً مقدساً، والأخطر والأدهى أنهم يرصدون العقوبات على من يخالف هذا الرأى وذلك الفكر.

وفى غفلة ممّا عن المقاصد العظمى من الأديان ورسالات السماء نسينا رسالة الإنسان، وسمحنا لطائفة ممّا أن تحرمننا نعمة المحبة والرحمة والسلام، فأضاعوا علينا مساحة الود بيننا، كأسرة إنسانية، ومساحة السمو والنور الربانية، وغاب عنا ذلك القبس الإلهى الذى أطلقه الله فى قلوبنا، فمزقتنا الصراعات، وفرّقت بيننا العداوات.

ولكن البشرية لن تعدم عقلاً يدعو إلى الحكمة والمحبة والرحمة التى من أجلها جاءت الأديان... كفانا عداءً وكفانا فرقة ولنتقدم - ولو خطوة - على طريق المحبة والسلام رحمةً بالأجيال القادمة!

• الإسلام يدعو إلى الحوار... بديلاً عن الصراع :

شاعت فى مجتمعنا - فى الآونة الأخيرة - سلوكيات سلبية، أثّرت فى المناخ العام للمجتمع وثقافته وقيمه، وأحدثت صدعاً فى وحدة الأمة وتماسكها، ولعل من أخطر هذه السلبيات توظيف الدين لخدمة أغراض ومصالح شخصية ودنيوية، واستخدام مبادئه السامية لبث الكراهية والأحقاد.. الأمر الذى يتناقض تناقضاً صارخاً مع رسالة الأديان السماوية والهدف السامى

للأديان كلها، ألا وهو حسن التعايش والتآلف والتعارف والمودة بين الناس..

﴿وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾ [الحجرات: ١٣].

تعيدنا هذه الرّدة الثقافية والفكرية إلى عصور الجاهلية والظلمة التي لم يكن لها إطار أخلاقي وروحي ينظم الأفكار والسلوكيات، ويضع لها الضوابط الحاكمة، ولن نجنى من ذلك إلا المزيد من التدهور والضعف، بل والانهيار، فظن البعض أن أخطاء المسلمين يتحملها الإسلام، أو أن أخطاء المسيحيين تتحملها المسيحية... كلا إن الإسلام والمسيحية دينان سماويان، أما التطبيق البشرى فهو الذى يمكن أن يتصف بالقصور وأن تقع فيه التجاوزات والأخطاء.

إذا سلّمنا بهذا المبدأ، كان بإمكاننا أن ننظر إلى الأمر بموضوعية وإنصاف، وأن نوجد أرضية صلبة للحوار بين الأديان والحضارات، على أساس متين من الاعتراف بحرية العقيدة، والفصل بين الدين بوصفه منظومة إلهية سامية وبين الأخطاء البشرية فى تطبيقها لمبادئ هذه الدين أو ذاك، وأيضاً على أساس من الأخوة فى الإنسانية، تلك الرابطة التى تربط الناس جميعاً، سواء أهل الأديان السماوية أو غيرهم برباط القربى والمودة والاشترار فى التكرير الإلهى للإنسان.

سيكون الحوار القائم على تلك الأسس بديلاً عن صيحات العدوان والافتراءات والشبهات التى لم تكسب الإنسانية من ورائها شيئاً، بل خسرت الكثير من طاقاتها وقدراتها وقيمها، بل ومن دمائها، وآخر هذه الصيحات ما

يروّج له الغرب تحت اسم: صراع الحضارات، معيدين الصراعات التاريخية كَرَّةً أخرى إلى الساحة الدولية، تلك الصراعات الدامية التى صنعها الغرب وأججها باسم الدين، وأبرز مثال لذلك الحروب الصليبية التى رفعت شعار: المسيحية فى مواجهة الإسلام.

• دور العقلاء فى كشف المؤامرات على الدين :

وعلى العقلاء والمخلصين فى العالم أن يكشفوا كل تلك المؤامرات التى اتخذت من الدين ستارًا لما رب خبيثة، ولن تنطلى على العالم دعايات الغرب المغرضة، ولن يقع فى خبيثة توظيف الدين من أجل مصالح شخصية أو لإرضاء مطامع دنيوية، فمثلاً من التوظيف السلبى للدين: شعار (الحروب الصليبية)، وفى هذا الشعار إساءة إلى الصليب الذى هو فى حقيقته - عند إخواننا المسيحيين - رمز للتضحية والفداء، فكيف حوَّله هؤلاء إلى رمز للحرب والعدوان؟!

• الأديان تدعو إلى الحوار بدلاً عن الصراع :

الإسلام يطرح فكرة (حوار الحضارات) بدلاً من صراع الحضارات والتعايش السلمى بدلاً من الكراهية، والأخوة فى الإنسانية بدلاً من العداء والصدام، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاهُمْ﴾ [الحجرات: ١٣]، وقال تعالى: ﴿فَاسْتَفِؤْاْ الْخَيْرَاتِ ۚ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾ ﴿٤٨﴾ [المائدة]،

وقال تعالى: ﴿لَا يَتَهَكَّمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَبِّلُوهُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوهُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة].

والتوراة والإنجيل أيضًا يؤكدان الدعوة نفسها، جاء في الكتاب المقدس: «طُوبَى لِلْمَسَاكِينِ بِالرُّوحِ؛ لَأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ.. طُوبَى لِلْحَزَانَى؛ لَأَنَّهُمْ يَتَعَزَّوْنَ.. طُوبَى لِلْوُدْعَاءِ؛ لَأَنَّهُمْ يَرِثُونَ الْأَرْضَ.. طُوبَى لِلْجِيَاعِ وَالْعِطَاشِ إِلَى الْبِرِّ؛ لَأَنَّهُمْ يُشْبِعُونَ.. طُوبَى لِلرُّحَمَاءِ؛ لَأَنَّهُمْ يُرْحَمُونَ.. طُوبَى لِلْأَتْقِيَاءِ الْقُلُوبِ؛ لَأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللَّهَ.. طُوبَى لِصَانِعِي السَّلَامِ؛ لَأَنَّهُمْ أَبْنَاءُ اللَّهِ يُدْعَوْنَ.. طُوبَى لِلْمَطْرُودِينَ مِنْ أَجْلِ الْبِرِّ؛ لَأَنَّ لَهُمْ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ» (إنجيل متى، الإصحاح الخامس).

وذلك هو جوهر الأديان السماوية كلها: التعايش والتعارف والتآلف بين الناس مهما اختلفت الأعراق والأعراق والمذاهب والمعتقدات ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ [هود].

ولو لم يكن ثمة اختلاف لما كان هناك ضرورة للدعوة إلى التعايش السلمى وحسن الجوار، والحوار بين الحضارات وإنصاف الآخر.

• الإسلام والآخر:

من الحقائق الواضحة أن الإسلام قد استوعب كل الحضارات والديانات السابقة، وجاء بأحسن ما فيها، وجاء الرسول الكريم ﷺ مصداقاً لما بين يديه

من الرسل، قال تعالى: ﴿وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ﴾ (فاطر)، ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الأحقاف)، ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَبْنِي إِسْرَءِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ (الصف)، ﴿ءَاَمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَاَمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة).

• الواحدية والأحادية لله تعالى والتعدد للمخلوقات :

ومن حقائق القرآن الواضحة أيضاً أن الواحدية والأحادية تكون للذات الإلهية دون سواها، وأن التنوع والتعدد والاختلاف سُنَّةُ إلهية كونية في كل ما سوى الذات الإلهية، قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافُ النَّسْتِكُمْ وَالْوَنُكُمُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ﴾ (الروم: ٢٢).

ووضح القرآن أن التنوع والتمايز يكون حافزاً للتسابق والمنافسة في طريق الخير، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمَنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَآءَاتِكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ (المائدة: ٤٨).

كما أكد القرآن الكريم أنَّ التعدد والتنوع للتعارف، والتعارف تعاون

وتألف وتكامل، وليس صراعاً ولا نزاعاً، قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات].

• الأفضلية ليست بالأمانى ولا بالتعصب:

ومن الحقائق القرآنية الواضحة أن الأفضلية ليست بالتعصب والأمانى، وإنما الذى يضع الإنسان فى المقدمة عمله النافع الصالح، قال الله تعالى: ﴿لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾ [النساء]. حيث ترتب الآية النتائج على الأسباب المؤدية إليها، وتوضح أن إنجاز الطموحات ليس بالأحلام، فلا يستوى عامل وخامل، ولا يستوى كسول ومجتهد.

فالإنسان - إذن - هو الذى يختار مكانه من خلال عمله وعطائه وتضحيته، والمقدمة لن تكون أبداً إلا لمن سلك أسبابها، أما الأدعياء وأصحاب الأمانى فقد ردهم القرآن إلى الصواب فى هذه الآية؛ حيث جاءت الآية فى سياق تباهى أهل كل دين وعقيدة بأفضليتهم على من سواهم، فنزل القرآن حاسماً فى تحديد معيار الأفضلية: إنه العمل.

ويؤكد القرآن الكريم علاقة الود والبر والتعاطف مع أهل الأديان الأخرى المسالمين لنا: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ

ذِكْرِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ [الممتحنة].

• منهج القرآن فى التعايش السلمى :

ومنهج القرآن فى التعايش السلمى والود فى معاملة الآخر يتأكد فى قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت].

والقتال فى الإسلام استثناء وليس قاعدة، استثناء تُلجئنا إليه الضرورة حين يعتدى معتدٍ على عرضنا وأرضنا وثرواتنا، فأذن القرآن بالقتال لمن ظلم، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج]، فالقتال لرفع الظلم ومنع العدوان، وإن جنح المعتدى للسلم أمرنا القرآن بأن نوافق فوراً، قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال].

وأمرنا القرآن أن نتبع الأحسن والأفضل، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾ [الزمر].

• منهج الإسلام فى التعامل مع الآخر الدينى :

وفى الإسلام سنَّ رسول الله ﷺ ثلاث سنن جسدت رؤية الإسلام للآخر الدينى، وكيف أن الإسلام لا يكتفى بالاعتراف بالآخر الدينى، وإنما يجعله جزءاً من الأمة والدولة، له كل الحقوق وعليه كل الواجبات.

- أولى هذه السنن - نموذجًا للعلاقة بالآخر اليهودي - هي الصحيفة التي وضعها رسول الله ﷺ عقب الهجرة، والمحاور الأساسية لهذه الصحيفة تدور حول المساواة والعدالة بين الفرقاء في إطار الأمة الوليدة، وبواكير الدولة الجديدة، كما تنص على أن لليهود دينهم وللمسلمين دينهم.

- وثانية هذه السنن - نموذجًا للعلاقة بالآخر النصراني - هي الوثيقة التي وضعها النبي ﷺ لنصارى نجران عهدًا بين الدولة الإسلامية الوليدة وبين النصارى، وفيها كتب رسول الله ﷺ: «لنجران وحاشيتها، وسائر من ينتحل دين النصرانية في أقطار الأرض: جوار الله، وذمة محمد رسول الله، على أموالهم، وأنفسهم، وملتهم، وغائبهم، وشاهدتهم، وعشيرتهم، وبيعهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير أن أحمى جانبهم، وأذب عنهم، وعن كنائسهم وبيعهم وبيوت صلواتهم، ومواضع الرهبان، ومواطن السياح.. وأن أحرس دينهم وملتهم أين كانوا بما أحفظ به نفسي وخاصتي وأهل الإسلام من ملتي.. لأنى أعطيتهم عهد الله على أن لهم ما للمسلمين، وعليهم ما على المسلمين، وعلى المسلمين ما عليهم.. حتى يكونوا للمسلمين شركاء فيما لهم وفيما عليهم»!.

ويظهر لنا واضحًا من نص الصحيفة اعتراف الإسلام بالآخر، وقبوله، وتكريمه، والاندماج معه، واحترام خصوصياته. (راجع: وثيقة المدينة مع اليهود ووثيقة نصارى نجران في مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة) لمحمد حميد الله).

- وثالثة هذه السنن - نموذجًا للعلاقة بأهل الديانات الوضعية - كانت على عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين عرض أمر معاملة أصحاب الديانات الوضعية على مستشاريه بالمسجد النبوى، فأشار عليه عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قائلاً: أشهد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «سُنُّوا فِيهِمْ سُنَّةَ أَهْلِ الْكِتَابِ» (راجع البلاذرى، فتوح البلدان، ص ٣٢٧). وعُومِل أهل الديانات الوضعية معاملة الكتابيين عبر تاريخ الحضارة الإسلامية.

• وهناك مواقف لا تحصى لتأكيد أن علاقة الإسلام بالآخر تقوم على السماحة والعدالة واحترام حقوقه، من ذلك أن القرآن الكريم أكد أن اختلاف الدين لا يجوز أن يكون مدعاة للظلم أو التغابن، وأنه إذا كانت هنالك أطراف معادية وبيننا وبينها خصام، فذلك كله يجب إبعاده عن مقتضيات العدالة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاَنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ (٨) [المائدة].

ولطالما احتكم مسلمون وغير مسلمين إلى القضاء الإسلامى، فكانت العدالة تفرض نفسها دون تفرقة بين الأطراف المتنازعين، يشهد لذلك عشرات الموقف العملية فى تاريخ الحضارة الإسلامية، من ذلك موقف عمرو بن العاص رضي الله عنه عندما كان والياً على مصر فى عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، اشتبك ابن له مع أحد المصريين، وأغراه سلطان أبيه فضرب الرجل، ومصر

يومئذ حديثة عهد بالفتح، والمتنظر أن يستكين المضروب لابن القائد الفاتح الذى هزم أكبر دولة فى الأرض ورمى بجيشها فى البحر الأبيض، لكنَّ المجنى عليه كان يأنس فى الإسلام وحكمه غير هذا الذى نزل به، فأقسم ليلغن شكواه إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه، لكن الولد الذى ضربه وجد فى هذا حماقة فقال له: افعَل، فلن تضيرنى شكواك، أنا ابن الأكرمين!

وبينما كان عمر بن الخطاب بين خاصته وعمر بن العاص وابنه فى مجلسه، والمدينة غاصة بالوفود فى موسم الحج، قدم المصرى المظلوم وقال لعمر: يا أمير المؤمنين، إن هذا - وأشار إلى ابن عمرو - ضربنى ظلماً، ولما توعدته بالشكوى إليك قال: افعَل، فلن تضيرنى شكواك، أنا ابن الأكرمين!

فنظر عمر بن الخطاب إلى عمرو بن العاص نظرة استنكار، وقال له هذه الكلمة العظيمة: «مَتَى اسْتَعْبَدْتُمُ النَّاسَ وَقَدْ وَلَدْنَهُمْ أُمَّهَاتُهُمْ أَحْرَارًا؟! ثم توجه إلى الشاكى وناولهُ سوطه، وقال له: «إِضْرِبْ ابْنَ الْأَكْرَمِينَ كَمَا ضَرَبَكَ»! لقد أنصف عمر الإسلام بهذا الحكم.

• ومن المواقف العملية التى تؤكد أن الإسلام دين يقوم على السماحة فى معاملة الآخر، وعلى احترام أواصر الإنسانية التى تجمع بين بنى آدم قاطبة:

- ما رواه البخارى عن جابر رضي الله عنه قال: مرت بنا جنازة فقام لها النبى صلى الله عليه وسلم وقمنا، فقلنا: يا رسول الله إنها جنازة يهودى! فقال صلى الله عليه وسلم: «أَلَيْسَتْ نَفْسًا؟! (متفق عليه).

- وروى سفيان عن حماد بن أبى سليمان عن الشعبي أنه قال: «مَاتَتْ أُمُّ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي رَبِيعَةَ، وَكَانَتْ نَضْرَانِيَّةً، فَشَيَّعَهَا أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ» (رواه ابن أبى شيبة، وعبد الرزاق).

والحق أن الإسلام يوصد كل الأبواب أمام نفر من الخلق يستهينون بأقدار الآخرين وحقوقهم، ولنتأمل ذلك الخطاب القرآنى العام لـ (الإنسان)، ولـ (الناس)، ذلك الخطاب الذى يفيض رحمة وحناناً: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِي أَيِّ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾﴾ [الانفطار]، ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴿٦﴾﴾ [الانشقاق]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَجِدَّوْا خَلْقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء]، ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [يونس].

وحسب الإنسان من الفخر أن الله تعالى أنزل فى كتابه العظيم سورة إسمها (سورة الإنسان)، تبدأ بقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ لَمْ يَشَيْئًا مَّذْكُورًا ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسان].

وما علينا إلا أن نصغى إلى تلك النداءات الإلهية الكريمة؛ لتكون لنا نوراً وهدى وشفاء وصلاًحاً.

○ الدين ليس علماً، فلماذا تجعلونه حكماً على العلم؟!

عزیزى...

الدين عندنا علم، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، وليس فى الإسلام قطيعة أو صدام بين الدين والعلم.

وهذا القول يُنبئ بأنك لا تفرق بين العلم فى العلوم الطبيعية والعلم فى العلوم النظرية، فتُقتصر العلم على العلوم الطبيعية التطبيقية، مثل الطب والهندسة والفلك... إلخ، التى تعود إلى التجربة والمشاهدة والمعمل.

ما معنى أن هذا علم فى العلوم النظرية؟

أى أنه يتسم بالموضوعية وبمنهج له أسس ومعايير لدراسة الظاهرة الإنسانية.. يعنى لا يدرسها وفق نمط ذاتى كما يفعل هو.. لا.. وإنما يدرسها وفق معايير وضوابط علمية، والعجيب يا عزيزى أن القرآن الكريم كان له السبق فى المنهج العلمى فى تناول المسائل.

• القرآن اعتمد الدليل العلمى:

القرآن هو الذى اعتمد الدليل العلمى، والقرآن هو الذى اعتمد فى آياته الدليل العقلى، والقرآن الكريم هو الذى اعتمد فى آياته الحقائق العلمية، والقرآن الكريم هو الذى اعتمد الدليل التاريخى، وهو الذى اعتمد بيان (مقاصد التشريع)، وهو الذى بيّن المآل والعاقبة، القرآن له السبق فى كل ذلك.

وحين نذكر العلم فينبغى أن نقف بكل إجلال أمام السبق العلمى فى القرآن الكريم على المستويين؛ العلوم الطبيعية والنظرية، فالقرآن له سبق العلمى فى كثير من الحقائق العلمية قبل أن تقف البشرية على هذه الحقائق، هناك مئات الحقائق العلمية التى أشارت إليها آيات القرآن الكريم، جمعتها الهيئة العالمية للقرآن الكريم موزعة على مجالات العلوم الطبيعية، بالإضافة إلى جهود غير المسلمين، فهاهو (موريس بوكاى) لم يكن مسلمًا، لكنه دخل الإيمان عن طريق العلم، حيث جاء بأفرقة علمية، وقارن الآيات التى تتحدث عن حقائق الكون والإنسان وما فيه إلى آخر ذلك، وقارنها بحقائق العلم الحديث، فوجد أن القرآن لم يصادم فى أى آية من آياته حقيقة من حقائق العلم الحديث.

• العلم يشهد للقرآن:

العلم يشهد أن القرآن يؤسس للمنهج العلمى فى الحوار وفى تناول الحياة كلها، وينظم العلاقة بين الإنسان ونفسه، وينظم العلاقة بين الإنسان وربه، وبين الإنسان وجاره، وبين الإنسان وزوجه، وبين الإنسان والبيئة من حوله.

هذا منهج علمى، القرآن له السبق فى كل هذه المسائل لدرجة لا يمكن أن ينكرها عاقل، أما من يريد أن يقحم نفسه فى مجال الفكر عن طريق الجهل والسب والشتم ونحو ذلك، فأمره هكذا غير علمى، فليراجع نفسه، كيف لا يقف على أول آية نزلت على قلب النبى ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق]، وكيف لا يقف على هدى القرآن الذى يجعل العلم سببًا للرفعة ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ

الَّذِينَ ءَامَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ ﴿١١﴾ [المجادلة: ١١]، وكذلك القرآن جعل العلم سبباً للتكريم، ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] إلى آخر الآيات، والقرآن كذلك جعل العلم وسيلة للخشوع وتحقيق الإيمان الحقيقي ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨]، وحتى دخول الإيمان لا يرضى القرآن أن يدخل الإنسان الإيمان على أنه موروث تقليدي عن الآباء، مثل العادات ونحو ذلك، وإنما يجعله عن طريق العلم؛ حيث قال سبحانه: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩].

حتى الفقهاء لهم مباحث في إيمان المقلد، ولهم كلام كثير في هذا المجال، وطالبوا من كل إنسان أن يفكر بعقله وأن يتعلم ليصل إلى الإيمان الحقيقي.

• القرآن دعوة إلى النظر والبحث العلمي:

القرآن حثَّ المسلمين على أن تكون لهم بالتعبير المعاصر (وكالة ناسا) حين قال: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، وكلمة (انظروا) الواردة في آيات القرآن تفيد وتعني بالتعبير المعاصر: البحث والتفكير العلمي..

وبعد كل هذا يدعى مدعٍ ويزعم زاعم أن دين الإسلام ليس علمًا!! ويريد إقصاء الدين عن العلم، ويفتعل مشكلة بين الإسلام والعلم زورًا وبهتانًا!!!

○ لماذا العبادات؟ وما الفائدة التى تعود على الفرد والمجتمع من الصيام؟

وما الحكمة من تشريعها؟

• عزيزى... المتأمل فى العبادات التى افترضها الله تعالى على عباده المسلمين تظهر له حقيقة هامة، وهى أن العبادات - وإن اختلف صورها: (كالشهادتين، والصلاة، والصوم، والزكاة، والحج) - كلها تلتقى عند هدف واحد وهو بناء الإنسان بناءً إيمانيًا، يكون به العبد موضع رضا الله ﷻ.

ولكل عبادة دور مؤثر فى تحقيق البناء الإيمانى للإنسان:

- فنجد الشهادتين تبيان العقيدة، وتربيان الإخلاص لله تعالى؛ ليخرج الإنسان عن حظوظ نفسه والركون إلى الخلق، إلى الاعتماد على الخالق والتوكل عليه.

- وتأتى الصلاة لتصل العبد بربه، وتحقق له الطمأنينة، وتنهيه عن الفحشاء والمنكر.

- وتأتى الزكاة لتخلص العبد من البخل والشح، وتعلمه الجود والعطاء ابتغاء مرضات الله تعالى.

- ويأتى الحج ليخلص الإنسان من الأوزار والخطايا ليرجع الإنسان كيوم ولدته أمه.

- ويأتى دور عبادة الصوم ليحقق تربية إيمانية للنفوس على أرقى درجات

السلوك الإسلامى الذى يصل بالإنسان إلى قمة إيمانية، بينها الله فى قوله تعالى:

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة]، فالصوم تربية للسلوك والأخلاق.

وأول ما يطالعنا من آثار الصيام على الفرد والمجتمع تلك الوحدة الشاملة التى يحدثها الصوم بين المسلمين، فليس لقوم أن يصوموا شهراً ولآخرين أن يصوم شهراً آخر، بل المسلمون جميعاً يصومون معاً شهراً واحداً، وفى هذا درس عظيم فى جمع الشمل ونبد التشتت والتفرق والتمزق الذى تعانى منه أمتنا فى واقعنا المعاصر.

وانظر إلى ذلك الدرس الاقتصادى الذى يقدمه الصيام، والذى يتمثل فى التدبير والاقتصاد وعدم الإسراف فى المأكول والمشرب، مما يترتب عليه توفير ما يفوق نسبة الثلث من الاستهلاك تضاف إلى رصيد اقتصاد الأمة.. إن الصيام بهذا يقاوم ويعالج القيم الاستهلاكية فى المجتمع.

كما يطالعنا من دروس الصيام درس تقوية الإرادة، فالله تعالى لم يشرع الصوم إيلاماً للصائم أو تعذيباً له، ولكن شرعه ليكون وسيلة لتهديب النفس وتربية القدرة على السيطرة على الأهواء والشهوات، فكم من الناس من يشتهى ولا يصبر؟ وكم من الناس من يغضب ولا يملك نفسه عند الغضب؟ وكم من الناس من ينفلت فى الآثام والمعاصى؟ وكم من الناس من يفقد عمره بالتسويق والتمني؟

كل هؤلاء وهؤلاء دواؤهم فى مدرسة الصوم.

فالصوم فرصة للتطهر من الذنوب والآثام، فكما أعطانا الله ﷻ فرصة يومية للتطهر من الذنوب بالصلوات الخمس، وفرصة أسبوعية بيوم الجمعة، أعطانا الله ﷻ فرصة سنوية للتطهر من الأوزار والآثام فى شهر رمضان.

والصوم الذى يحقق لنا هذه الثمرات هو الصوم الذى يأتى موافقاً لهدى النبى ﷺ.. لا تشوبه ولا تفسده معصية، وليس صوم البطن والفرج فقط، قال النبى ﷺ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» (رواه البخارى)، وقوله ﷺ: «إِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمٍ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْحَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ، فَلْيَقُلْ إِنِّي أَمْرٌ صَائِمٌ» (رواه البخارى).

ومن هنا ندرك أن الصوم الذى ننال به الدرجات، وتحقق به المغفرة، ويرقى به السلوك هو أن يصوم السمع والبصر، والعقل وكل الجوارح تصوم عن الحرام مع البطن والفرج.

إن الصيام من أعظم العبادات التى تقوم بمهمة البناء الإيمانى للإنسان، وهى التى تقوم ببناء القدرة السلوكية على تقوى الله ﷻ، وهذا فيه فائدة للمجتمع عظيمة جداً، فلا تكون هناك رشوة، ولا يكون هناك إهمال فى العمل، ولا تكون هناك سرقة، ولا يكون هناك شىء من أمور الفساد إلى آخر ذلك.

• صمّتا فإن العلم يشهد:

والعلم يشهد لهذه العبادة، الصيام الإسلامى تحدث عنه أهل الطب بسعة

واستفسار، وعليه أن يراجع نفسه في ذلك، وأن يكون الحديث على بناء علمي، وأيضًا على بناء عقلي:

• عزیزی.. أنا وأنت وكل الناس نُسلِّم للطبيب؛ لأنه أعلم في الطب، ويمكن أن تأتني وتسالني في مرة لماذا تأخذ كمًّا كبيرًا من الدواء، فتقول لي: كيف هذا؟ أقول لك: الطبيب أمر بذلك، أنا أُسلِّم للطبيب في كلامه، أُسلم للمحامى في وصفه، أُسلِّم لمن هو أعلم، فما بالنا لا نسلم للخالق في تشريعه وهو الأعلم، والحكم، والخير، سبحانه: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المُلْك]، ﴿أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٤٠].

فالعقل يقتضى أن نُسلم للأعلم.. للخالق ولهدى الخالق، وهنالك سبب أخلاقي واضح جدًّا.. وهو ما يحدث من توسعة على الفقراء، ما يحدث من هذه الحالة الحميمة.

وهنا أستدعى مقولة عظيمة لإمامنا الراحل فضيلة الشيخ محمد متولى الشعراوى حين يقول: «لقد جعل الله في فرائض الإسلام ما يحقق العدالة الاجتماعية، فلا تحتاج الشعوب إلى ثورات ولا إلى تدمير ولا إلى هذه التخريبات».

بل يقيم وينجز العدالة الاجتماعية بحب وبمودة في الزكاة، وما يحدث في شهر رمضان من التوسعة والصدقات بحب يحتوى الغنى الفقير ويسعى من هنا وهناك، وتجده هذه الحالة التى تشعرونا جميعًا بهذه الروح الموجودة بين الغنى وبين الفقير.

هذه كلها أمور، أيضاً الجانب الأخلاقى، فكم من الناس من يشتهى ولا يصبر؟ فإما أن يرتكب محرماً حتى يحقق شهوته، سواء فى مطعم أو مأكّل أو شهوة أو نحو ذلك، وكم من الناس من يغضب ولا يسيطر على نفسه عند الغضب؟ ويأتى الصيام لبنى القدرة على التحكم فى النفس والسلوكيات، ولذلك الإنسان يخرج من هذا الشهر حين يمثّل أمر الله ﷻ، حين يهتدى بهدى رسول الله ويحقق الصوم الإسلامى كما بيّنه الله ورسوله، يخرج برتبة إيمانية هى ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] برتبة التقوى، فتكون هذه الخيرات وهذه البركات، هل هنالك عاقل يحرم نفسه من بركات الخالق، ومن أسباب المغفرة، ومن بناء القدرة السلوكية، ومن هذه الفوائد الصحية والطبية ومن اتباع الإرشادات التى تحمى الإنسان من نفسه، ومن هذه الآثار الأخلاقية والاجتماعية، ثم يستحل الانفلات فى اللفظ وهو يتحدث فى مجتمع مسلم، فلا يراعى بأنه فى شهر رمضان؟، ولا يرى له فائدة ولا لزوماً ولا كذا.

فالصيام إذن يضبط سلوك الإنسان، ويربى الفرد والمجتمع على الأخلاق والمثل العليا.

كل هذه المعانى الأخلاقية والاجتماعية والاقتصادية كلها تهدف لتنشئة إنسان يعبد الله على بصيرة وهدى، كما أنها تثبت - بما لا يدع مجالاً للشك - مدى حكمته تعالى فيما فرض؛ إذ الحكيم لا يصدر عنه إلا ما فيه الخير العميم، فتبارك الله رب العالمين.. فالاستثناء لا يمكن أن يتحول إلى قاعدة، وهذا هو العلم...

○ كيف نؤمن بدين يدعو للخضوع والخنوع للطغاة، فلم ترد فى القرآن كلمة الثورة؟

عزیزى...

• العبرة لدى العقلاء بالمعانى وليست بالألفاظ، فالقرآن كله ثورة على الظلم وعلى الفساد، وكل ما نهى عنه القرآن الكريم هو لون من الثورة الإيجابية لهدم الفساد، لكن القرآن يهدم الفساد من دخائل الناس حين يبين السوءات والعاقبة والأضرار التى تنجم عن هذا الفساد وعن ذلك الظلم، ولا يكتفى القرآن بالنصف الأول من الثورات وهو الهدم، وإنما يركز القرآن على الثورة الكاملة على معنى البناء والإصلاح.

وعملية الإصلاح فى القرآن منهج قرآنى متجدد للتحديث والتطوير حين قال ربنا: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فالأحسن والأقوم والأفضل مطلب يتجدد فى كل عصر وفى كل مكان؛ لتأخذ الأمة بالمقدمة بين الأمم من خلال عمليات التجديد والتحديث والتطوير والتنمية والبناء.. إلى آخر ذلك.

والقرآن يتناول مسألة الإصلاح والبناء بمنهج متفرد، يعنى مسألة العدالة الاجتماعية التى ينادى بها الناس، فالقرآن يعالجها بمنهج متفرد من خلال الزكاة والصدقة حين تحتوى أصحاب الحوائج وتقيم لهم مشروعات.

• فكرة المشاريع الصغيرة فكرة محمدية للرجل الذى جاء للنبي ﷺ

واشترى له قَدْومًا وأقام له مشروعًا؛ يعنى القرآن يحارب بمنطق الزكاة الذى يبنى فى المجتمع ويحتوى الحالات، فالناس هنا ليسوا فى حاجة إلى ثورة عارمة يهدمون فيها؛ لأن القرآن يعالج هذه المسألة.

• مما يتميز به الفكر الإسلامى والفكر القرآنى أن مرحلة الإصلاح ومرحلة البناء تحتاج إلى استقرار، فالإصلاح فى إطار الاستقرار؛ لأنه حقيقة تاريخية وحقيقة علمية وحقيقة إيمانية، فبدون استقرار لن يكون هنالك بناء للقدرات.. قدرات الوطن، والقدرة الإيمانية والسياسية والعسكرية والعلمية، وكل أنواع القدرة: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، بناء القدرة للأمة لا يكون إلا فى إطار الاستقرار.

ولو شاهدنا التاريخ.. فالإنسان فى البداية كان يعيش على الصيد، ثم ارتقى بالاستقرار شيئًا، فأصبح يتحول إلى الراحة ويأنس ببعض الحيوانات، ثم زاد استقراره حول الأودية والأنهار، ونحو ذلك، فكان مجتمع الزراعة، ثم الصناعة.

• يعنى الإصلاح ينبغى أن يكون فى إطار الاستقرار، ويوم أن تفقد الأمة معنى الاستقرار فلا إصلاح ولا تنمية ولا بناء، والثورة المستمرة إنما هى فوضى وهدم مستمر وضياع للوطن وضياع للكل، إنما الحكمة فى أن الإصلاح يكون فى إطار الاستقرار، فهذا من بيان ربنا ﷺ فى القرآن الكريم، وهذه حقائق تظهر لكل ذى عين.

المهم أن القرآن يُفَعِّل هذه المسائل ببناء الإنسان أولاً، فهو يرغب في ثورة داخلية على الإنسان نفسه، يعنى هى ثورة نفسية وثورة لبناء الإنسان بناء إيمانياً يمكن له أن يلتزم بهذه السلوكيات الفاضلة، وهنا يشير قول الله تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ وَأَنْتُمْ نَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة] إلى ضرورة إصلاح النفس قبل إصلاح الآخرين، فهى الثورة على العيوب النفسية والمجتمعية؛ لأن مهمة الأديان ومهمة الأنبياء هى التغيير، التغيير من كل صور الفساد، وكل صور الظلم، وكل صور السلبية إلى كل صور الصلاح والهداية، يقول تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤].

انظر إلى أدوات الإصلاح: ﴿يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، انظر إلى التحول من الضلال المبين والفساد والظلم إلى الصورة الإيمانية المشرقة: ﴿وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [آل عمران]، ومن هنا يأتى معنى الثورة الإيجابية فى القرآن بمعنى الإصلاح فى إطار الاستقرار؛ لأن الثورة المستمرة فى جانب الهدم إنما هى فوضى مستمرة، وهى لا تحقق للشعوب لا نمواً ولا بناءً ولا صناعة للقدرة، والعبرة دائماً بالمعانى وليست بالألفاظ.

○ هل الإسلام يُهدر حق الإنسان فى حريته الفكرية والدينية؟! وهل

الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الإسلام ينافى الحرية الشخصية؟!

عزیزى...

لقد جاء الإسلام فأقر مبدأ الحرية، وليس أدل على تعظيمه من شأن الحرية أن جعل السبيل إلى إدراك وجود الله تعالى هو العقل الحر، قال تعالى: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ ۚ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]، ﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ ۚ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [٢٢]، [الغاشية]، ﴿إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مَّن يَخْشَاهَا﴾ [٤٥] [النازعات].

لقد كفّل الإسلام للإنسان الحرية بكل جوانبها، فكفل له الحرية الشخصية، والحرية الفكرية، والحرية الدينية، والحرية السياسية، والحرية الاقتصادية، وحرية القول، وحرية التعبير، أليست هذه هى جوانب الحرية التى يبحث عنها البشر؟!

وحتى لا يكون الكلام بمعزل عن الأدلة التى تثبتة أو الواقع الذى يشهد له، فإننى أذكر لك - عزیزى - ما يؤيد صدق كلامى بالأدلة والبراهين، راجياً أن نصل سوياً إلى سواء السبيل.

١- كفّل الإسلام الحرية الشخصية، والتى تعنى أن يكون الإنسان قادراً على التصرف فى شؤون نفسه، وهذا لا يتحقق إلا بحرية ذاته من كل مظاهر

العبودية والذل، وتحقيق كرامته وصونها ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) [الإسراء].

كذلك بتحقيق تأمين ذاته، بأن يكون آمناً على نفسه وعرضه وماله، فلا يجوز التعرض له بأي شكل من أشكال الاعتداء ﴿وَلَا تَقْتَدُوا بِمَا لَمْ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١٩٠) [البقرة].

٢- كفل الإسلام حرية الاعتقاد، فلم يُكرِه الإسلام الناس على اعتناقه أو اعتناق سواه من الأديان: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَن فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ (١٩١) [يونس]، والأدلة من القرآن أو السنة التي تؤكد حرية الاعتقاد كثيرة جداً.

وقد ترتب على كفالة الإسلام لحرية الاعتقاد عدة أمور، منها:

أ - إجراء الحوار والنقاش الديني، وذلك بتبادل الأسئلة بين الرسل وأقوامهم، حتى يدخلوا في هذا الدين عن طوعية واختيار دون إكراه أو إجبار، بل إن إبراهيم عليه السلام حاور ربه ليزداد يقيناً إلى يقينه، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ لِأَبْنَاهُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولَئِمُتُؤْمِنٌ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قُلُوبُكَ﴾ (البقرة: ٢٦٠).

ب - ممارسة الشعائر الدينية، وذلك بأن يقوم المرء بممارسة شعائره

الدينية، دون انتقاد أو انتقاص من أحد، ولعل موقف الإسلام تجاه أهل الذمة والذى سجله التاريخ من دواعى فخره واعتزازه، وقد شهد علماء الغرب وأقروا بذلك فى كتبهم، يقول (ميشود) فى كتابه (تاريخ الحروب الصليبية): إن الإسلام الذى أمر بالجهاد متسامح نحو الأديان الأخرى، وقد أعفى البطارقة والرهبان وخدمهم من الضرائب، وقد حرم قتل الرهبان لعكوفهم على العبادة، ولم يمس عمر بن الخطاب النصارى بسوء حين فتح القدس، وقد ذبح الصليبيون المسلمين، وحرقوا اليهود عندما دخلوها؛ أى مدينة القدس.

وهذه شهادة رجل غير مسلم على الحرية التى كفلها الإسلام فى ممارسة الشعائر الدينية... (راجع: حضارة العرب، غوستاف لوبون، ترجمة عادل زعتر، ص ١٣٧، ١٣٨).

٣ - كفل الإسلام حرية التفكير، فدعا إلى النظر والتفكر، كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعْطَاكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مَشْئِىً وَفَرْدَى ثُمَّ تُنْفَكُوا﴾ [سبا: ٤٦]، وعاب على الذين يتبعون الظنون والأوهام: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا﴾ [يونس: ٣٦]، واعتمد الإسلام فى إثبات العقيدة، على الأدلة العقلية، ولهذا قال علماء الإسلام: إن العقل الصريح أساس النقل الصحيح، فقضية وجود الله قامت بإثبات العقل، وقضية نبوة محمد ﷺ إنما تثبت بإثبات العقل أولاً، فهذا هو احترام الإسلام للعقل والفكر.

ومن هنا ظهر فى الإسلام نتيجة للحرية الفكرية، الحرية العلمية، فنجد

العلماء يختلفون ويُحطّئ بعضهم بعضًا، ويرد بعضهم على بعض، ولا يجد أحد في ذلك حرجًا، وكل هذا أثرى الحرية الفكرية والعلمية.

٤ - كفل الإسلام الحرية السياسية، ويقصد بها حق الإنسان في اختيار سلطة الحاكم، وانتخابها ومحاسبتها، وقد تجلت الحرية السياسية في الإسلام من خلال مبدأ الشورى، فتحدث عنها القرآن بشكل واضح وصريح، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ يَنْتَهُم﴾ [الشورى: ٣٨].

بعد أن ذكرت لك هذا الكلام، وهو أن الإسلام كفل الحرية بكل جوانبها للإنسان، أصبح أن تقول بأن الإسلام أهدر حرية الإنسان الفكرية والعلمية؟! وهل بعد سؤال الخالق: ﴿أَلَيْسَ مَعَ اللَّهِ﴾ [النمل: ٦١]، هل يبقى لأحد حجة في ادعاء أن الإسلام ضد الحرية الفكرية، أو أن الإسلام يكره أحدًا!! إن هذا لا يصدر من منصف عاقل، فاعتبروا يا أولى الأبصار.

• الحرية المطلقة فوضى مطلقة:

ولكن يا عزيزي: اعلم بأن الحرية المطلقة فوضى مطلقة.. فحريتي مرتبطة باحترام حرية الآخرين، لذلك فإن الحرية في الإسلام منضبطة بآداب تحترم حرية الآخرين، ومن هذه الآداب:

أ - ألا تؤدي الحرية إلى تهديد سلامة النظام العام وتقويض أركانه.

ب - ألا تُفوّت حقوقًا أعظم منها، وذلك بالنظر إلى قيمتها ونتائجها.

ج - ألا تؤدى حرية الفرد إلى الإضرار بحرية الآخرين.

- وأما سؤالك يا عزيزى: هل الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى الإسلام ينافى الحرية الشخصية؟!

فاعلم يا عزيزى أنه لا تخلو أمة من الأمم فى أنظمتها من مبدأ النهى عن المنكر، فتطبيق القانون على أفرادها وإلزامهم به هو - فى حد ذاته - نهى عن المنكر، فكل ما ينص القانون على تحريمه وضع له عقوبات لمن ينتهكه ويتعداه، فهو نهى عن المنكر، وتنفيذ العقوبة على المخالفين للقانون صيانة للأمة جميعها، من إشاعة الفوضى والفساد والدمار، ولم يقل أحد إن تطبيق القانون على الخارجين ينافى الحرية الشخصية.

وشريعة الإسلام إن كلفت أتباعها بالأخذ على أيدي المفسدين، فما ذلك إلا حماية لهم ولغيرهم من الفساد والإفساد، فالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فى القرآن - يا عزيزى - نظام من أجل حراسة الفضيلة وحمايتها، والمحافظة على المجتمع من إشاعة الفوضى والفساد، فهو إذن للمحافظة على الحرية وليس ضد الحرية.

○ لماذا تنكرون علينا حرية التفكير وحرية الإبداع، وتزعمون أن دينكم ليس جامداً ولا متحجراً وأنه دعا إلى حرية الفكر؟

عزیزی...

نحن لا ننكر التفكير على أحد.. بل التفكير في الإسلام فريضة قرآنية، مطلب قرآني متجدد، فقول الله ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ أَلِيلٍ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران] هو دعوة للتفكير ودعوة للتدبر ودعوة للتأمل.. إلى آخر الألفاظ التي تقودنا إلى هذا المجال، وقال النبي ﷺ عن هذه الآية: «وَيْلٌ لِّمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا» (رواه ابن حبان وأبو الشيخ في أخلاق النبي)؛ يعني المرور على الآيات دون التفكير والتدبر، سواء آيات القرآن الكريم أو آيات الكون يعدُّه القرآن خسارة وخيبة وعملاً سلبياً لا يليق بالإنسان الذي كرمه الله تعالى.

• القرآن معجزة عقلية:

القرآن نفسه معجزة عقلية ليست معجزة حسية كعصا موسى أو ناقة صالح... إلخ، وإنما معجزة تدرك بالعقل وبالتفكير وبالتدبر والتأمل.. باقية إلى يوم القيامة، وكثيراً ما تُختتم آيات كثيرة في القرآن بدعوة إلى التدبر والتفكير، كقوله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾... إلخ.

• واعتمد القرآن الدليل العقلي والدليل العلمي؛ لأن العلم هو الشاهد

الثقة المقبول لدى كل العقول في عصر العلم.

• إن الله تعالى أنزل في القرآن أدلة عقلية عديدة، لإقناع عباده بإثبات وجوده، كقوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾ (٣٥) [الطور]، وأدلة عقلية أخرى لإثبات وحدانيته وأنه لا إله إلا هو، كأن يقول تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلَهِةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢].. أى لو كان مع الله آلهة أخرى لاختل نظام هذا الكون؛ لأن الشريك سينازع الله تعالى فى ملكه، ولأن ذلك لم يحدث، إذن فليس هناك شريك مع الله، وهذا هو معنى قوله: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ مَعَهُ آلَهِةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذَا تُبْعَثُوا إِلَى ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا﴾ (٤٢) سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا﴾ (٤٣) [الإسراء]، ولو كانت هناك آلهة متعددة ولكل منهم مخلوقات لحدث بينهم تنافس وشقاق اختلف معه مصير الكون، أو كما يقول رب العزة: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَنَ اللَّهُ عَمَّا يُصِفُونَ﴾ (١١) [المؤمنون].

فهذه أدلة عقلية يستشهد بها الخالق ﷻ على أنه الإله الذى لا إله معه، ويرد بهذه الأدلة على آراء بعض مخلوقاته من البشر الذين يعتقدون بوجود آلهة أخرى مع الله.. ولولا أن الله تعالى قرر لهم حرية التفكير وحرية الاعتقاد والرأى ما سمح لهم بأن يعتقدوا تلك الاعتقادات التى تسمى إلى جلال الله، ولولا أن الله تعالى ضمن لهم هذه الحرية فى دينه ما أجرى معهم هذا الحوار، وما احتكم إلى عقولهم فى إثبات فساد تلك العقائد.

• الحوار العقلى فى القرآن:

كما أن الله تعالى لم يستنكف أيضًا أن ينزل بالحوار إلى مستوى عقلية البشر
كى يفهموا ويعقلوا، ليقيم عليهم البرهان والحجة، كقوله: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنْ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلِ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ ﴿٢٤﴾ قُلْ لَا
تُسْأَلُونَ عَنْمَّا أُجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَنْمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ [سبأ]، فلم يُعطِ النبى الكريم
نفسه صفة الهدى، ولم يتعال على المشركين بامتلاكه الحق والعلم المطلق، وإنما
أتاح لهم حرية الفكر ومواجهة الحجة بالحجة، والبرهان بالبرهان، بل افترض
لهم أن يكون هو الخطأ وهم على الصواب كى يجزّهم إلى حوار العقل.

إن أعظم تقدير لحرية البشر، أن يُنزل الخالق ﷻ قرآنًا يردُّ به على آراء
لبعض خلقه ويقنعهم بالحجة والبرهان، فى الوقت الذى يستطيع فيه أن يدمر
عليهم الأرض والسموات.

• القرآن يسجل نص شبهات الخصوم:

لقد سجل القرآن آراء بعض خصومه مع أن آراءهم لا تستحق هذا؛ إذ
هى سباب وتناول وسوء أدب، فاليهود قالوا: ﴿يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]،
وقالوا: ﴿إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ﴾ [آل عمران: ١٨١]، وفرعون قال إنه لا يعلم
إلها للمصريين غير نفسه؛ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَتَأَتُّهَا الْمَلَائِكَةُ لَعَلَّكُمْ مِنْ إِلَهِ
غَيْرِي﴾ [القصص: ٣٨]، وأنه ربهم الأعلى؛ ﴿فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى﴾ [النازعات]،

وكان من الممكن أن يصادر الله تعالى هذه الأقوال فلا نعلم عنها شيئاً، ولكن الله العزيز الحكيم سجل آراء الذين تناولوا على ذاته المقدسة، فأصبحت من آيات القرآن، وطبيعى أنه تعالى رد عليها بما يناسب المقام.

• أسس الحوار العقلى مع الآخر:

كما تتضح حرية الفكر فى الإسلام من خلال ما قام به القرآن من وضع أسس للحوار العقلى الراقى مع الآخر، فالمبدأ القرآنى فى الحوار يقوم على الحكمة والموعظة الحسنة والرد على إساءة الخصم بالتى هى أحسن وليس بمجرد الحسنى، يقول تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۚ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل ١٢٥].. كما ينهى الله تعالى عن الوقوع فى سب الخصم وتسفيه معتقداته ومقدساته حتى لا يندفع الخصم فى سب الله تعالى ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرٍ﴾ [الأنعام ١٠٨].

وينهى القرآن عن الجدل مع من انقلبت أمام عينه المفاهيم والحقائق، فأصبح يرى الحق باطلاً والباطل حقاً ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف].

وهذا يعنى أن تترك الخصم - الذى أبى إلا رأيه - لما اختاره من طريق ارتضاه لنفسه وانتظار الحكم فى ذلك الاختلاف إلى يوم القيامة، ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ۖ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَعِيلَ﴾ [الحجر]؛ أى ليس مجرد الصفح ولكن الصفح

الجميل .. ويقول تعالى: ﴿فَاصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَامٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ [الرَّحُوف] فإذا
 يأسنا من إقناعهم بالحجة والبرهان فعلينا أن نصفح عنهم ونقول لهم: سلام.

وهذا الاهتمام البالغ من القرآن بحرية الرأى والفكر كان إيماناً بأن ثمرات
 التفكير إنما هى التى تأتى بالإنسان للهداية؛ ولذلك مدح الله التفكير ومدح
 العلم فى قرآنه، والشىء اللافت للانتباه أنه فى مقابل مدح الله للمؤمنين الذين
 يتفكرون فى آيات الله الدالة على عظمته، نجد الذم للغافلين الذين لا يتفكرون
 فى مخلوقات الله الدالة على عظمته وقدرته، يقول تعالى: ﴿وَكَايْنٍ مِّنْ ءَايَةٍ فِي
 السَّمٰوٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾ [يوسف].

فانظر كيف أن التفكير فريضة قرآنية، وفريضة إسلامية، لكن التفكير
 الممدوح المحمود هو الذى يبنى على علم ولا يبنى على أوهام، ولا على سب
 وشتم، فالشتائم ليست فكراً، والجهل ليس فكراً، والتدليس للنقل من الكتب
 ليس فكراً، وإنما الفكر المنضبط بالعلم.

• الوحي مصدر المعرفة للغيب:

الأمر المهم، بل أهم المهم فى هذه القضية هو أن مصدر المعرفة فى الدين
 هو الوحي، الدين ليس اختراعاً عقلياً.. ليس اختراعاً بشرياً.. التفكير متاح لك
 فى أمور حياتنا الدنيا كلها وفى العلوم الطبيعية من طب وهندسة وفلك.

إن الدنيا هى الناقصة عندنا ونريد أن نتمم وأن نكمل هذا النقص الذى فى

دنيانا حتى لا نعالج بأدويتهم ونركب طائرتهم، حتى لا نكون فى موضع الاستهلاك بالنسبة للحضارة، بل نكون من المشاركين فى الإنتاج الحضارى، هذا مجال التفكير الذى نطلب من كل هؤلاء الذين يريدون التفكير أن يجتهدوا فيه، الإسلام يدعوهم إلى ذلك، بينما الدين قد أتمه الله وأكمّله.. قال تعالى: ﴿أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

فليس بعد هذا البيان شك فى أن التفكير مطلب قرآنى، والعلوم الطبيعية مجال للتفكير.

فالعقل يفكر فيما يتاح له أن يفكر فيه، فيما هو متاح له من أدوات، يعنى ممكن أن تفكر وأن تدخل بهذا الفكر المعمل وتختبر هذه الأفكار وهذه الفرضيات، لكن عالم الغيب لا تتوفر للعقل أدوات التفكير فيه؛ لأنه لا يمكن أن تدخل بها المعمل.

هنا يأتى التوجيه الربانى للعقل ليوجهه لكى يفكر فى حدود طاقته، وعلى العقل أن يعترف بعجزه أمام هذه الأمور وبخاصة الغيب؛ حيث إن أدواته لا تتاح للعقل ولا يمكن أن يبحث فيها.

وأن يعلم العقل أن طاقته وقدرته لها حدود، وألا يحمل نفسه فوق طاقته وفوق قدرته حتى لا يضل وحتى لا يخرف.

• إذن الخلاصة.. أن التفكير إنما هو فريضة قرآنية؛ لأن العقل مناط

التكليف، وأن القرآن نعى باللوم على الذين لا يفكرون والذين لا يستعملون عقولهم، وأن القرآن الكريم إنما هو معجزة عقلية، وليس معجزة حسية، ونحن لا ننكر على أحد التفكير لكن نقوله له: فكر بالضوابط العقلية.. فكر فى المستطاع.. فكر فى المتاح للعقل أن يستطيع أن يفكر فيه.

وأن يكون التفكير قائماً على علم وليس على جهل أو هوى أو سب أو شتم أو تدليس فى المسائل، وكل هذا ليس من الفكر فى شىء.

○ لماذا يُقيد الإسلام حرية الإنسان ويكبت شهواته؟

عزیزى...

الإسلام لا يصادر المشاعر ولا يمنع العواطف وإنما يُهذِّبها لتكون فى إطار آمن لا يضر بالإنسان.

والحرية غريزة فطرية ومفهوم رائع تلتقى عنده المشاعر، وتطلع إليه النفوس، وهى ليست شيئاً ثانوياً فى حياة الإنسان، بل حاجة ملحة وضرورة من ضروراته، باعتبارها تعبيراً حقيقياً عن إرادته وترجمة صادقة لأفكاره؛ فبدون الحرية لا تتحقق الإرادة، وعدم تحقيقها يعنى القضاء على جميع طموحات الإنسان، وتطلعاته، وهو ما لا ينسجم أبداً والغاية من وجوده والدور المنوط به، والمسؤولية التى تقع على عاتقه، وبدونها لا تتحقق ذاتية الإنسان وكرامته، وقدرته على تقرير مصيره، وبدونها أيضاً لا تتحقق سعادته.

ولهذا عندما جاء الإسلام قرر مبدأ الحرية، فقال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه كلمته المشهورة فى ذلك: «متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً».

• **والحرية نوعان:** نوع يتعلق بحقوق الفرد المادية، والثانى: يتعلق بحقوقه المعنوية.

- أما الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المادية فتشمل:

١. الحرية الشخصية: أى أن يكون قادرًا على التصرف فى شؤون نفسه، وفى كل ما يتعلق بذاته، وهى بذلك تتضمن شيئين:

حرية الذات: أى تقرير كرامة الإنسان واحترامها؛ ولذا قال ﷺ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوَرْدِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ (٧٠) [الإسراء].

تأمين الذات: بضمان سلامة الفرد وأمنه فى نفسه وعرضه وماله، فلا يجوز التعرض له بأى شكل من أشكال الاعتداء ﴿وَلَا تَقْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ (١٩٠) [البقرة].

٢. حرية التنقل: بأن يكون الإنسان حرًا فى السفر والتنقل داخل بلده وخارجه دون عوائق تمنعه ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ﴾ (١٥) [الملك].

٣. حرية المأوى والمسكن: فقد نهى الإسلام عن إخراج الناس من ديارهم بغير حق ﴿الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ﴾ [الحج: ٤٠].

٤. حرية التملك: والقدرة على حيازة الأشياء، وامتلاكها، والتصرف فيها، والانتفاع بها... إلخ.

• وأما الحرية المتعلقة بحقوق الفرد المعنوية، فتشمل حرية الاعتقاد:

فلم يكره الإسلام أحدًا على اعتناقه، أو اعتناق سواه من الأديان، يقول

الله ﷻ: ﴿لَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس]، وسبب نزول هذه الآية يبين لنا إلى أى مدى وصل الإسلام فى تقديس الحرية؛ فقد كان الأوس والخزرج فى الجاهلية إذا امتنعت المرأة من الحمل نذرت إذا ولدت ولدًا أن تهوّه - تجعله من يهود - وهكذا نشأ بين هاتين القبيلتين أبناء يهود، فلما جاء الإسلام، وأكرمهم الله بهذا الدين وأتم عليهم نعمته، أراد بعض الآباء أن يعيدوا أبناءهم إلى الإسلام، وأن يخرجوهم من اليهودية، ورغم الظروف التى دخلوا فيها اليهودية، ورغم الحرب التى بين المسلمين واليهود، لم يبح الإسلام إكراه أحد على الخروج من دينه.

• فقد أباح الإسلام إذن حرية الفكر والعقيدة والتعبير عن الرأى، وحرية التعليم، والحرية السياسية وتقرير مبدأ الشورى... إلخ، وذلك كله فى إطار من الضوابط حتى يكفل الحريات للجميع، فالإنسان حرٌّ بشرط ألا تؤدى حرّيته إلى تهديد سلامة النظام العام وتقويض أركانه، وألا تفوّت حقوقاً أعظم منها، وألا تؤدى حرّيته إلى الإضرار بحريات الآخرين.

• فالإسلام لا يمنع العواطف ولا يصادر المشاعر، ولا يُكبّل الرغبات ولا الطموحات، وإنما يهذبها وينظمها فى إطار آمن لا يضر بالإنسان.. الإسلام يساعد الإنسان على أن يفيد من عواطفه ومشاعره فى الخير، فمثلاً: رغبات الإنسان قد تقوده إلى شرب شىء من المنكرات، فالإسلام يريد أن يحمى العقل من ذلك، وأن يحمى الجسد من هذه الأضرار، أضرار الكحوليات والمخدرات، فهذا يحمّد

للإسلام ولا يعاب عليه.

• الإسلام لا يمنع العواطف ولا يصادر المشاعر، ولكنه يهذبها في إطار آمن، فالإنسان له غرائز، والإسلام ييسر للإنسان الإشباع الآمن لهذه الغرائز عن طريق الزواج والعلاقة الآمنة التي تحفظ له مشاعره، وتُتمى هذه المشاعر والعواطف في إطار آمن، بعيداً عن علاقات الزنا وما يأتى من ورائها من أمراض ومصائب واختلاط أنساب واضطرابات نفسية، فالإسلام في تشريعاته يبين المقصد من ذاته، ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، ويبين الحكمة من التحليل والتحریم، فالتحریم للحماية وليس للحرمان.

• يا عزیزی... التحريم يكون لحماية الإنسان من أضرار هذه الخبائث، والحلال إنما يكون لقوة الإنسان ولمتعة، فالطيبات يتمتع الإنسان بها، وهكذا نجد أن تشريع الخالق إنما جاء ليحقق الإشباع الآمن لغرائز الإنسان، والإشباع الآمن لعواطف الإنسان، ويساعد الإنسان في طموحه، كيف؟

• يا عزیزی... غيرنا حينما يصيبه الفشل في طموح ما.. قد يصعد إلى البرج وينتحر؛ لأنه فشل في مشروع ما، لكن عندنا الإسلام يعطيه القوة الإيمانية التي تجعله يتجاوز هذه المحنة، ويبدأ تجربة جديدة؛ لأنه يوقن أن للكون إلهًا مدبرًا عظيمًا، فيقول: قَدَّرَ اللهُ وما شاء فعل.

فالإسلام يُقدِّم العلاج، والإسلام يُقدِّم الشفاء، الإسلام يبعث بمنهج

على السكينة ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠].. على هدى الله.. على شرع الله.. على آداب وأخلاق أمر بها الشارع، ﴿تَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، هذه تقوية.. مدد ربانى إيمانى للمؤمن الذى يستجيب لهذا الهدى ﴿وَأَبَشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (٣٠) نحن أولياؤكم فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿[فصلت: ٣٠، ٣١]، ويجعل الله الذكر وسيلة من وسائل بث الطمأنينة فى القلب ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ (٢٨) [الرعد: ٢٨].

• الإسلام أيضًا يا عزيزى يعطى الأمل حتى لا يأتى الإحباط والقنوط، ويأتى على الناس حين تشتد الشدائد والكوارث والفتن والبلايا ويقول: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا﴾ (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴿[الطلاق: ٢، ٣]، هذا كله من هدى الله سبحانه، إن القرآن يحفظ للناس الأمل فى حياة كريمة ليس لهم وحدهم بل لهم ولذرياتهم ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ (١) [النساء].

القرآن حتى بالنسبة للإثم والخطيئة أوجد علاجًا آمنًا سهلاً ميسورًا، وهو التوبة والاستغفار.

وما تدعيه يا عزيزى من تقييد الإسلام لطاقة الإنسان ما هو إلا زعم باطل، فالقرآن لم يجعل هناك مجالاً ممنوعاً على المسلمين الدخول فيه من مجالات

الحياة.. من مجالات السعى والعمل.. الكفاح والجهاد.

الله ﷻ أمرنا بالجهد والسعى والعمل، فقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذُلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ الشُّورُ ١٥﴾ [الملك] إلى آخر الآيات التي جاءت تأمر الإنسان بالبحث والاكتشاف والسعي، فللعمل عندنا قيمة إيمانية وقيمة حياتية وضرورة حضارية ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا﴾ [التوبة: ١٠٥]، والأوامر القرآنية كلها إنما تحث الإنسان على العمل وعلى الاجتهاد.

وقال رسول الله ﷺ: «إِنْ قَامَتِ السَّاعَةُ وَبِيدَ أَحَدُكُمْ فَسِيلَةً، فَإِنْ اسْتَطَاعَ أَنْ لَا يَقُومَ حَتَّى يَغْرِسَهَا فَلْيَفْعَلْ» (رواه أحمد)، ويعنى هذا إعلاء لقيمة العمل وقيمة الأمل وقيمة الطموح الذى يزرعه الإيمان.

فالإسلام يرتفع بمشاعر الإنسان وعواطفه وطموحاته، ويحثه على العمل والإنتاج ويكفل له الحياة الهادئة الكريمة، وما جعله من ضوابط وتشريعات فى الحلال والحرام إنما هو لحفظ الإنسان ولضمان صلاحه وفاعليته..

○ هل المرأة نصف رجل فى الميراث؟!

عزیزى...

• من باب تكريم الإسلام للمرأة أنه حررها من تحمل الأعباء المالية فى بيت الزوجية مع حماية حقها فى الأهلية الكاملة فى الحقوق المدنية.

وتوزيع الميراث فى الإسلام ليست العبرة فيه بالذكورة أو الأنوثة، وإنما العبرة فيه بموقع الوارث وقربه من الميت.

وبحسب هذا المعيار نجد أن نصيب الأنثى فى عدد من الحالات مثل نصيب الذكر سواءً بسواء، ونجد أن نصيب الأنثى قد زاد عن نصيب الذكر فى حالات أخرى.

وقاعدة (للذكر مثل حظ الأنثيين) ليست قاعدة مطردة فى كل الحالات، وإنما هى خاصة بالحالة التى ذكرها القرآن الكريم التى يُعَصَّبُ فيها الوارث أخته.

• وماذا تقولون يا عزیزى فى الحالات التالية التى زاد فيها نصيب الأنثى على نصيب الذكر:

١. إذا ترك الميت أولادًا وأبًا وأُمًّا، ورث كلٌّ من أبويه سدس التركة، دون

تفريق بين ذكورة الأب وأنوثة الأم، وذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ

وَجِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [النساء: ١١].

٢. إذا ترك الميت أخاً لأمه أو أختاً لأمه، ولم يكن ثمة من يحجبهما من الميراث، فإن كلاً من الأخ والأخت يرث السدس، دون أى فرق بين ذكر وأنثى، عملاً بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ﴾ [النساء: ١٢].

٣. إذا ترك الميت عددًا من الإخوة للأم، اثنتين فصاعدًا، وعددًا من الأخوات للأم، اثنتين فصاعدًا، فإن الإخوة والأخوات يرثون الثلث مشاركة، دون تفريق بين الإناث والذكور، لصريح قول الله تعالى: ﴿فَإِنْ كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ﴾ [النساء: ١٢].

٤. إذا تركت المرأة المتوفاة زوجها وابنتها، فإن ابنتها ترث النصف، ويرث والدها الذى هو زوج المتوفاة الربع؛ أى إن الأنثى ترث هنا ضعف ما يرثه الذكر.

٥. إذا ترك الميت زوجة وابنتين وأخاً له، فإن الزوجة ترث ثمن المال، وترث الابنتان الثلثين، وما بقى فهو لعمهما وهو شقيق الميت، وبذلك ترث كل من البنتين أكثر من عمهما، وذلك هو قضاء رسول الله ﷺ طبقاً لحكم الله ﷻ فى آية الميراث.

يتضح من كل ما سبق حرص الإسلام على العدل، وليس على مجرد المساواة التى ينادى بها الغرب؛ لأن المساواة بين المختلفين ليست عدلاً.

ووضع الإسلام معايير ربانية لتحقيق العدل، فى توزيع الميراث على الورثة
تقوم فى عمومها على محورين:

الأول: درجة قرابة الوارث من المتوفى.

الثانى: العبء المالى الذى يوجبه الشارع على الوارث من النفقة والرعاية.

وسبحان من هذا شرعه..

وتبارك من هذا هديه..

وما يعقلها إلا العالمون..

وما يذكر إلا أولو الأبواب..

○ ألا يُعدُّ ذبح الحيوانات منافياً للرحمة؟

يا عزیزی...

• الله ﷻ خلق هذا الكون وخلق كل شيء فيه بحكمة وبأسلوب موزون وبقدر، ولكن أصحاب الفكر المادى يقفون عند المادة وشكل الحياة فقط، وهم في غفلة عن الفكر الإيماني ومنبع الفكر الإيماني وهو الخالق، وحكمة البارئ الخالق الحكيم ﷻ في الذبح يوضحها العلم الحديث، وأنها أفضل من الطرق التي يستعملها الغرب، ويظهر ذلك في الآتي:

١- إن طريقة الذبح في الإسلام تمتاز باجتنابها كل دم الذبيحة من أنسجة الحيوان وعروقه، وقد أثبتت الأبحاث العلمية أن عدد البكتيريا في اللحم المُصنَّع الذي دُبِحت حيواناته بالطريقة الإسلامية دون تخدير أو صعق كهربائي - يصل في الجرام الواحد منه إلى سبعة آلاف، بينما عدد البكتيريا في اللحم المأخوذ من حيوانات مصعوقة تصل إلى عشرين مليوناً في الجرام الواحد؛ وذلك لأن الصعق يؤدي إلى موت نسبة عالية من الحيوانات قبل ذبحها، بالإضافة إلى أن التدويخ أو استعمال المسدس - وهي طرق مستحدثة لتكون بديلاً عن الذبح - ينجم عنها احتقان جزء كبير من الدم في الذبيحة، وهذا ضار بصحة الإنسان.

٢- إن طريقة الذبح الإسلامي بقطع عنق الحيوان بسكين حادٍّ أرحم من عمليات الصعق أو الوقذ؛ وذلك لأنه بمجرد انقطاع تدفق الدم إلى المخ؛ فإن

الحيوان لا يشعر بأية آلام على الإطلاق؛ إذ يغيب الحيوان عن الوعي في جزء من الثانية ويُصَفَّى دمه في نحو دقيقتين، في حين أن الطرق الأخرى فيها من تعذيب الحيوان ما لا يمكن أن يُوصف بكلمات، ومن ثمَّ لم نجد تشريعاً كان أرفق وأرحم بالحيوان من تشريع الإسلام؛ سواء في حياة الحيوان أو عند ذبحه.

• وأما إن كان السؤال المطروح يا عزیزی... بخصوص قتل الحيوان عامة باختلاف طرق قتله، فيجب أن نعلم أن الخالق الحكيم خلق الحياة وجعل لها نظاماً في الموت والحياة، وأخبر القرآن الكريم أن هذه المخلوقات أمم أمثالنا، لكل منها نظامه، والموت نهاية لكل حي، ومعنى الموت نزع الروح من الجسد ولا يضر هنا كيف نُزعت، وبعد أن تنزع الروح من الجسد فمن العقل أن يستفاد من هذا الجسد المادى، فكان من نعمة الله أن جعل بطنى وبطنك هى القبر المناسب لهذا السمك وهذا الدجاج وهذا الغذاء.

هناك علاقة تكاملية لإحداث التوازن فى الكون (هذا من حكمة الخالق) بين الكائنات؛ فمثلاً أنا أخرج الفضلات بعد الطعام والشراب فأضعها تحت شجرة برتقال، أو مانجو، أو تفاح، أو عنب... إلخ، فتمتص جذور هذه الأشجار تلك الفضلات بما أوضع الله فى النبات من نظام يعمل على ذلك، ثم تتحول هذه الفضلات التى يتأذى منها الإنسان عبر النبات إلى ثمرة تشتهيها النفس؛ فانظر كيف يحدث الخالق هذا التوازن بين الكائنات؟؟؟!!

• وهنا نطرح سؤالاً على من ينادى بأكل النباتات وترك الحيوانات دون

ذبح: كيف سيتوفر لنا أكل النباتات وهناك حقيقة علمية خاصة بأمر التوازن البيئى .. هى أن عدم قتل الحيوانات يؤدى إلى وفرتها، وهو ما يؤدى إلى قضائهم على النباتات كلها؛ ومن ثم موتهم لعدم وجود ما يأكلونه، فلا يتبقى للإنسان نبات ولا حيوان؛ ومن ثم موته أيضًا؛ لهذا سمي هذا بالتوازن البيئى الذى لا يجب على الإنسان التدخل فيه.

كما أن الإنسان والحيوان يخرجان ثانى أكسيد الكربون، فيستفيد منه النبات، وهو يخرج الأكسجين الذى نستفيد منه، وهذا هو التوازن، فأنا فضلاتى يستفيد منها النبات ويخرجها ثمارًا أستفيد أنا بها.

وكل تدخل من الإنسان فى خلخلة هذا التوازن البيئى يعود بالضرر عليه، فالمقاومة البيولوجية التى لجؤوا إليها كبديل لمقاومة المبيدات التى أفسدت حياة البشر، وكانت لونًا من الفساد البيئى الذى أضر بصحة الإنسان، فهذا التوازن فى أن هذه الحشرات أو هذه النباتات أو هذه الحيوانات بينها توازن أرادَهُ الخالق.

ومن هذا التوازن ما تنكره - يا عزيزى - من أننا نأكل الحيوانات ونأكل السمك وما نحو ذلك، فهذه الكائنات ينتهى عمرها إلى بطن الإنسان، حتى لا تكون متعفنة بموتها فى الأرض أو ما إلى ذلك، وتعيش هذا الدورة لإحداث التوازن فى الكون، فالعلم يقول فى ذلك: هذا توازن عجيب، وحين يتدخل الإنسان فى هذا التوازن يظهر الخلل فى هذا التوازن، ويحدثنا القرآن عن ذلك

﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ
يَرْجِعُونَ﴾ [الروم].

وبهذا السياق أيضاً لو تركت الفئران مثلاً تعتدى على الناس وتعتدى على
المزروعات بحجة ألا نقتلها، كانت ستغزو الأرض كلها.

• أرجو أن يكون ميزان العلم هو المحرك لآرائنا وتفكيرنا، القرآن اعتمد
الدليل العلمى، فينبغى أن ننظر بميزان العلم إلى التوازن بين الكائنات، وأن
الله ﷻ حكيم، وفعل الحكيم كله حكمة، والعلم يشهد بذلك، والحقائق تشهد
لذلك، ويوم أن أدخل الإنسان نفسه فى تغيير هذا التوازن ما الذى حدث؟ ظهر
الفساد الذى جاء فى البيئة، والبشرية الآن تعود إلى البيئة بعلم جديد تريد أن
تحافظ على هذه البيئة التى أمرنا رسول الله ﷺ أن نحافظ عليها وأن نضيف
إليها وأن نصلحها.

والأشياء الخاصة لا تفرض ولا تعمم على الناس؛ فإنسان لا يحب اللحم
هو حُرٌّ فى ذلك، وإنسان لا يأكل الطيور هو حُرٌّ فى ذلك، وإنسان لا يأكل
السّمك هو حُرٌّ فى ذلك، لكن المناهج الخاصة لا تعمم على الناس، ولا يجعل
الإنسان من نفسه مقياساً.

○ لماذا تدعون على اليهود بالهلاك والفناء، فهلاً دعوتهم لهم بالهداية؟

عزیزی...

إنكم ملأتم الدنيا بهذا الكلام، والجواب: هون عليك لتعرف الحقيقة..

يا عزیزی.. نحن أمة الرحمة... نعم، وأمة السلام... نعم، وإليك هذه

الحقائق:

• القرآن جاء بالإنصاف للبشر جميعاً:

إذا ما نظرت إلى ما جاء في القرآن فإن بنى إسرائيل فضلهم الله على

العالمين: ﴿يَبْقَى إِسْرَءِيلَ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (٤٧)

[البقرة: ٤٧]، وورد في القرآن أيضاً اللعنة، ولكن ربطها بأسبابها: ﴿وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ

عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ لَهُمُ

الْعَنَةُ﴾ [الرعد: ٢٥].

إذن من يأتى بأسباب اللعنة من أى أمة يستحقها، وقد ضرب لنا القرآن

أمثلة على ذلك، كقوله: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ

يَحْمِلُ أَثْقَارًا﴾ [الجمعة: ٥]، هذا المثل ضرب باليهود لا لنضحك عليهم، ولكن

لتتعلم أن الذى يعلم ولا يعمل بما علم فمثلهم كمثل هذا المثل، سواء أكان من

اليهود أم كان من المسيحيين، أو كان من المسلمين، فالقرآن يضرب أمثلة حيّة،

إذا جاءت اللعنة بأسبابها، ومن جاء بهذه الأسباب استحق اللعنة، هكذا

إنصاف القرآن الكريم.

يا عزيزى... لقد جاء القرآن الكريم بالإنصاف للبشر جميعًا، ثم جعل التنعم بأسبابه للمسلمين ولغير المسلمين، وجعل اللعنة بأسبابها للمسلمين وغير المسلمين.

• قاعدة (ليسوا سواء) :

ويعلمنا القرآن ألا نضع الناس من أهل الكتاب ومن غيرهم فى سلة واحدة تحت حكم واحد دون تمييز بينهم بحسب أعمالهم الصالحات أو الطالحات، ويتأكد لنا ذلك حينما نتدبر هذه القاعدة الذهبية القرآنية التى وضعها الله فى العدالة بين اليهود والناس جميعًا، حينما قال سبحانه: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ [آل عمران: ١١٣].

وقاعدة ليسوا سواء قاعدة مهمة فى العدالة والتمييز بين المصلح والمفسد: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ﴾ [آل عمران: ١١٣].. هل هؤلاء يستوون مع الصنف الثانى الذى أشارت إليه الآيات؟

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنُهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّنْ إِن تَأْمَنُهُ بِيَدِينَكَ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا﴾ [آل عمران: ٧٥].. ف ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾ هذه قاعدة قرآنية فى العدالة المطلقة بين الناس جميعًا دون اعتبار للدين أو اللون أو الجنس... إلخ، إذن القرآن يساوى بين الناس جميعًا بقاعدة العدالة

المطلقة ﴿لَيْسُوا سَوَاءً﴾.. ويميز بين المحسن والمسيء وبين المصلح والمفسد.

• ملحق مهم جداً:

نحن لا ندعو على اليهود بوصفهم أصحاب دين وأصحاب عقيدة، نحن ندعو على الصهيونية التى تقتل وتشرد وتدمر الأطفال والعزل والمدنيين، وتنهب الثروات وتشعل الدنيا كلها دماراً.

هذا الدمار الذى تصنعه إسرائيل ولا يستطيع أحد أن يوقفه، فأقول لكل العقلاء من البشر على هذا الكوكب الأرضى: لو أن إنساناً جاء إلى دارك فأخذ متاعك ومالك ونهب الثروات وقتل النساء والأولاد وأنت لا تستطيع إيقافه، أنت لا حيلة لك، ولا معين لك من البشر، لم يبق لك إلا أن تدعو.

المظلوم له أنين.. فإن أخطأ فى بعض كلماته فهو معذور، فما بال الظالم المفترى الذى قتل وشرد وأباد.. يستكثر أن يئن المظلوم بدعوته إلى ربه، إلى الله عَزَّ وَجَلَّ.

نحن لا ندعو على اليهود، وإنما ندعو على الصهيونية، على هذا الكيان المغتصب الذى شرد وقتل، ولا يزال يغتصب ويشرد ويقتل، فينبغى أن نميز بين هذه الأمور.

فالإسلام - بوجه عام - لا يعادى يهودية ولا نصرانية ولا يعادى ديناً ولا فكراً، إنما يعادى سلوكيات سيئة فاسدة.

والذى أود أن أؤكد هنا هو أن المظلوم الذى لم ينتصر له أحد وأغلقت فى

وجهه كل أسباب النصرة والمعونة، ولم يبق له من نصير سوى أن يدعو الله ﷻ،
فإن أخطأ فى بعض الكلمات فيعذر المظلوم، فى مقابل أنه لا عذر للظالم الذى
قتل وشرّد.

وما يعقلها إلا العالمون..

وما يذكر إلا أولو الألباب..

فاعتبروا يا أولى الأبصار..

○ كيف تعاقبون أهل الكتاب على عدم اعتناقهم لدينكم بدفعهم الجزية، ألا يتعارض ذلك مع الرحمة والتسامح وتكريم الإنسان؟!

عزیزی..

إن تحقير البشر لا ينسجم مع ما أتت به جميع الأديان السماوية، بما فيها الدين الإسلامي، الذي احترم كرامة الإنسان، فقال: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]، وأهل الكتاب مشمولون بالكرامة الإنسانية التي حباها الله لجميع بني آدم.

• الجزية ليست مقابل الإيمان، وإنما حق سياسي للدولة:

وتحقيقاً لمبدأ العدالة بين أفراد الدولة الواحدة، من مسلمين وغيرهم..
فُرض على المسلمين أن يُخرجوا الزكاة، وعلى الزارعين أن يقدموا الخراج، أما أهل الذمة فيخرجون الجزية.

فغير المسلمين جزء من الدولة.. يعيشون في كنفها.. ويتمتعون بخيراتها، والمسلمون مسؤولون عن توفير الحماية والأمن وسبل العيش الكريم لهم.. ومتى انتفى حق من حقوقهم، سقطت عنهم الجزية.

ويستثنى من الجزية: النساء، والأطفال، وغير العاقلين، والعبيد، والمرضى، والفقراء من دفعها، فليست الجزية إذن مقابل الإسلام.

فليس المقصود بقوله تعالى: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ

الْآخِرِ وَلَا يُحْرَمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ [التوبة]، إذلال أهل الذمة أو تحقيرهم أو غير ذلك مما قد يتبادر إلى أذهان البعض... إنما يعنى اعترافهم ضمناً وبلسان الحال - حين يعطون الجزية - بسيادة الدولة الإسلامية وخضوعهم لرعايتها، يعنى هذا حق سياسى للدولة، وليس مقابل الإسلام.

فالجزية ليست جباية ولا عقوبة.. إنما هى ضمان ولاء.. ونشر حماية.. وبثُّ تكافل.. وإرساء عدالة، أى هى الحق السياسى للدولة وليست مقابل عدم الإسلام.

• شهادة البابا شنودة رداً على الطائفة العلمانية التى تزعم أن الفتح الإسلامى لمصر كان ظلماً وجوراً:

وإليكم ما قاله البابا شنودة فى حق الإسلام وعدله أمام الرئيس الراحل محمد أنور السادات، وبحضور جمع كبير من القساوسة وعلماء الأزهر، فى يونيو عام ١٩٨١م.

«أريد أن أذكر أن الإسلام فى جوهره وفى روحه وفى أساسه، يعامل غير المسلمين معاملة طيبة، نذكر من هذا الميثاق الذى أعطى لنصارى نجران، والميثاق الذى أعطى لقبيلة تغلب، والوصية التى قدمها الخليفة الإمام عمر بن الخطاب قبل موته، ووصية الخليفة أبى بكر الصديق وأسامة بن زيد، والميثاق الذى أعطاه خالد بن الوليد لأهل دمشق، والميثاق الذى أعطاه عمرو بن

العاص لأقباط مصر.. وأذكر أيضًا العبارة الإسلامية الجميلة (استوصوا بالقبط خيراً؛ فإن لنا فيهم نسباً ورحماً).. وأذكر أيضاً الحديث الشريف: «من آذى ذمياً فليس منا»، العهد لهم ولأبنائهم عهد أبدي لا يُنكر، يتولاه ولى الأمر ويرعاه.

وأذكر أيضاً في سماحة الإسلام ذلك الشرع الجميل الذى يقول: «وإذا آتاك أهل الذمة فاحكم بينهم بما يدينون»، وهكذا أعطى الإسلام حرية الدين لغير المسلمين.. أذكر أيضاً في سماحة الإسلام حفظه - في موثيقه وعهوده - للمسيحيين في كنائسهم وصوامعهم ورهباناتهم وأملاكهم وأرواحهم وكل شىء.. وأذكر أن عمرو بن العاص عندما أتى إلى مصر كان بطريك مصر البابا بنيامين البطريك الثانى والثلاثون مختفياً فى أرجاء مصر من إخوته المسيحيين المختلفين عنه فى الإيمان، ثلاثة عشر عاماً لم يجلس على كرسيه، فلما أتى عمرو بن العاص أَمَنَهُ على نفسه وعلى كنائسه، والكنائس التى أخذها منه الروم أرجعها إليه عمرو بن العاص، بل ساعده أيضاً فى بناء كنيسته فى الإسكندرية».

راجع الرابط الآتى:

<https://www.youtube.com/watch?v=MvoZ9ERmT2g>

فلو أساء بعض المسلمين فهم نصوص الكتاب والسنة وانحرفوا فكرياً، فما ذنب الإسلام والمسلمين؟! ولو كان أمثال زكريا بطرس يثون سمومهم فى عقول المسيحيين البسطاء، ويستغلون تشدد بعض المسيحيين للهجوم على الإسلام، فما ذنب الإسلام والمسلمين!!؟

○ الإسلام أهان الأسرى وأراق دماءهم، فلماذا تعترضون على وصفه بالبربرية والهمجية؟

• عزیزى... مصير الأسرى المحاربين فى الإسلام معلق بين أمرين بعد تبادل الأسرى:

إما العفو.. أو الفداء.. وفق ما يقتضيه الحال، وقد أثر الإسلام العفو، وحض عليه، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً﴾ [حمد: ٤].

وهذا ما حدث مع أسرى بدر من المشركين.. فقد عفا المسلمون عن بعضهم دون مقابل، وقَبِلُوا الفدية من آخرين..

ولم يُقتل من أسرى بدر سوى رجلين من بين سبعين أسيرًا، هما: عقبة بن أبى معيط، والنضر بن الحارث، وكان قتلهما قبل تقرير مصير الأسرى الذى قرره الآية، ولم يكن هذان الرجلان من الأسرى فحسب، بل كانا من مجرمى الحرب بالاصطلاح الحديث.

وأما ما ورد من قتل المسلمين لأسرى يهود بنى قريظة؛ فكان استثناء لنقضهم العهد المبرم، والذى ينص على النصرة والتحالف المشترك بين كلا الطرفين، ولكن لما حاصر المشركون المدينة فى غزوة الأحزاب، نقض بنو قريظة عهدهم وتحالفوا مع المشركين، وكاد تحالفهم هذا أن يقضى على قوة المسلمين ويقضى على وجودهم بكامله.

• وهنا سؤال مستحق:

ماذا لو أن نتيجة غزوة الأحزاب تمت حسبما كان يخطط لها بنو قريظة وأحزابهم، ألم تكن هى الإبادة التامة للمسلمين أجمعين؟!

على أن يهود بنى قريظة لم يُقدِّموا على هذا العمل إلا بعد أن تكون لديهم ما يشبه اليقين بأنهم - بمساعدة المشركين - سوف يقومون بتدمير كيان الإسلام، واستئصال المسلمين استئصالاً كلياً، ولهذا لم يترددوا فى الغدر بحلفائهم المسلمين.

الإسلام دين أمر أتباعه بحسن معاملة الأسرى، وإكرامهم، وإطعامهم، وكسوتهم... ليس ذلك فحسب، بل جعل إثارةهم والإحسان إليهم من صفات عباده المقربين، الذين قال فيهم: ﴿وَيُطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حَيْثُ مَسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا﴾ [الإنسان].

وكل آيات القتال فى القرآن وردت فى شأن المحاربين للإسلام - فى سياق سورة التوبة - الذين لا يرقبون فى مؤمن إلا ولا ذمة (لا عهد ولا قرابة ولا موثيق...).

• آيات القتال فى القرآن تخص المحاربين وليس المسلمين:

أما المسلمون فأمرنا الله تعالى ببرهم ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [المتحنة].. وتدبر معى هذه الآية التى تدفع عنك كل هاجس أو شك، وهى قوله تعالى فى شأن المضطر الذى فرّ من المشركين ولجأ إلى حماية المسلمين، قال

تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتْلُغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة].. ما قال الله لنبيه ﷺ مُرَّه أَنْ يترك دينه ويدخل فى دينك، فهو فى أمانك الآن، بل قال له: نعرض عليه الدين من باب حب الخير له، ولا تثريب عليه إن رفض، وعليك بتأمينه والمحافظة على حياته.

○ أليس التاريخ الإسلامي مليئاً بالدموية والإرهاب.. وداعش دليل واضح على ذلك، فلماذا تنكرون أن الإسلام دين الإرهاب؟.. فمتى يتأكد لكم أيها العرب المسلمون أن حضارتكم لا شيء؟ وتراثكم دموي؟

• عزیزی.. ما وقع في تاريخ المسلمين من عنف وأحداث دموية هي أخطاء بشرية نعتف بها... ولكن هل هي استثناء؟ أم هي تمثل الأصل الذي عليه المسلمون؟؟ وهل هذه الأفعال منكورة في الإسلام أم هي من تعاليمه وهدیه..؟؟

• عزیزی.. عقلنا ليس للبيع... وحضارتنا ليست للتزوير!!.. تاريخنا تاريخ بشر لهم غايتهم وآمالهم وبشريتهم.. كما تواريخ الأمم الأخرى. لكن الفارق نسبي؛ فإن كانت طبيعة انتشار عقائد الآخرين قد انتشرت في الغالب بالحديد والنار.. فينبغي علينا أن نؤكد والتاريخ يشهد أن الإسلام - في الأعم الأغلب - قد نشرته الأمة الداعية لا الدولة الراعية، ولا يخرج عن هذه القاعدة إلا ما كان في حكم الاستثناء.

فقد فتح المجاهدون البلاد، بينما فتح الدعاة القلوب بالكلمة...

• أمثلة على انتشار العقائد الأخرى بالحديد والنار:

١ - تنصّر الأمير «فلاديمير دوق موسكو»، فعرض على الروس النصرانية أو السيف، فأصبح الروس على النصرانية.

٢- تنصّر الإمبراطور «شارلمان» إمبراطور الفرنجة، فعرض على الفرنجة النصرانية أو السيف، فتفشّت النصرانية في الفرنجة.

٣- انتشرت النصرانية في العالم الجديد بالحديد والنار؛ حيث أباد المستكشفون الملايين من أهل البلاد الأصليين، ثم قهروا البقية الباقية على النصرانية.

٤- بلغ ضحايا الصراع المذهبي الكاثوليكي البروتستانتي في وسط أوروبا خلال القرن السابع عشر الميلادي حوالي عشرة ملايين ضحية، حتى قال المؤرخون: خلا وسط أوروبا من جنس الرجال هلاكهم في هذا الصراع... وهَلُمَّ جَرًّا.

لتاريخ الأمة وحضارتها خصوصية أصيلة، وإن جرى عليها ما جرى على تواريخ البشر من الخطأ والصواب، فإن الفارق نسبي، فالأمم كما الأفراد يجرى عليهم الخطأ والصواب، لكن على تفاوت، لغلبة خير الأخيار على شرهم، وغلبة شر الأشرار على خيرهم، فلا تتساوى الرؤوس.

فلا تكاد - رغم كل ما يطنطن به الخصوم والأعداء من مغالطات في حق هذا التاريخ - تعثر على مثال صريح في تاريخ أمة الإسلام لإبادة جماعية أو تطهير عرقي في حق الآخر، بينما شواهد هذا حاضرة في تاريخ الآخرين وحاضرهم لا تخطئها عين، وصدق من قال:

مَلَكْنَا فَكَانَ الْعَفْوُ مِنَّا سَجِيَّةً فَلَمَّا مَلَكَتُمْ سَالَ بِالدَّمِ أَبْطَحُ
فَحَسْبُكُمْ هَذَا التَّقَاوُتُ بَيْنَنَا وَكُلُّ إِنَاءٍ بِالَّذِي فِيهِ يَنْضَحُ

• وبماذا يفتخرون علينا؟!

بماذا يفتخر الغرب علينا؟ والحضارة إنتاج إنسانى مشترك، كنا سادة العالم حين كانت أوروبا فى عصور ظلامها، وما كان منا إلا الخير.

- هل يفتخرون بأسلحة الدمار التى لا تبقى ولا تذر؟ وبحسبهم آثار الدمار التى خلفتها القنبلة الذرية التى ألقيت على هيروشيما؟!

- أم يفتخرون علينا بسحق الأخلاق والقيم فى مقابل إشباع الغرائز والجسد؟

- أم يفتخرون علينا بالعولة التى تستحق خصوصية الشعوب وتقهقر حرية الإنسان؟

بحسب الحضارة الإسلامية أنها قدمت أعظم إنجاز حضارى للبشرية، وهو إنقاذ الإنسان من أهوائه وشروره، وتزكية قيم الخير والعدالة والحق.

ونظرة تأمل فى نص الوثيقة العمرية فى فتح بيت المقدس تؤكد للبشرية كلها، وللغرب خاصة، أن المسلمين حين فتحوا بيت المقدس بقيادة أبى عبيدة بن الجراح وعمر بن العاص قد حافظوا على كرامة الإنسان، فلم يقتل طفلاً ولا امرأة ولا شيخاً، ولم تهدم كنيسة ولا معبداً كما يهدم اليهود اليوم

بعنصريتهم المساجد والبيوت، ويقتلون الأطفال والنساء، ويخربون ويدمرون كل شيء!!

• ومن نص الوثيقة العمرية فى فتح بيت المقدس:

«بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أعطى عبد الله، عمر، أمير المؤمنين، أهل إيلياء من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم ولكنائسهم وصلبانهم، وسقيمها وبريئها، وسائر ملتها؛ أنه لا تنكس كنائسهم ولا تهدم، ولا ينتقص منها ولا من حيّزها، ولا من صليبها، ولا من شيء من أموالهم، ولا يُكرهون على دينهم، ولا يضارّ أحد منهم...» (تاريخ الرسل والملوك، للطبرى).

وهكذا تؤكد الوثيقة أننا ملكنا فعدلنا وأحسنّا، أما أنتم يا أهل الغرب فأفعالكم تؤكد أنكم ملكتم فظلمتم وأسأتم!!

لو أنصف الغرب لتقدموا إلى الإسلام كي يحميهم من شرور حضارتهم ومن سعارها المادى، ومن جحيم المارد الأمريكى المتهور الذى يطغى باسم العدالة، ويسمى مقاومة المحتل عنفاً وإرهاباً، وينشر الفتن بين الشعوب كي يحقق مصالحه.. هذه حضارتهم تفرز الشر والحقد والدمار.. فأين هى من حضارة الإسلام؟!

• داعش نبوءة نبوية:

عزیزى.. داعش التى تتحدث عنها نبوءة نبوية.. هناك عشر صفات نبوية ذكرها النبى ﷺ، أتت مطابقةً لصفات داعش، نجملها فيما يأتى:

الصفة الأولى: صغار السن:

كما جاء فى الصحيحين عن النبى ﷺ: «يَأْتِى فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ، حَدَثَاءُ الْأَسْنَانِ» (متفق عليه).

الصفة الثانية: فيهم خفة وطيش:

كما جاء فى الصحيحين أيضاً: «سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ» (متفق عليه).

الصفة الثالثة: كلامهم جميل بخلاف فعلهم:

كما جاء فى الصحيحين أيضاً: «يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ» (متفق عليه).

الصفة الرابعة: لا يفهمون القرآن ويستدلون به على جهل:

كما جاء فى الصحيحين أيضاً: «يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ إِيمَانُهُمْ حَنَاجِرَهُمْ» (متفق عليه).

قال عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «انْطَلَقُوا إِلَى آيَاتِ نَزَلَتْ فِي الْكُفَّارِ، فَجَعَلُوا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ» (رواه البخارى معلقاً بالجزم).

الصفة الخامسة: يقتلون المسلمين:

كما جاء فى الصحيحين أيضاً: يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ «يَقْتُلُونَ أَهْلَ الْإِسْلَامِ» (متفق عليه).. قال ملا قارى: يقتلون أهل الإسلام؛ لأنهم يكفرونهم فيقتلونهم.

الصفة السادسة: يؤمنون الكافرين ولا يقتلونهم:

كما جاء فى الصحيحين أيضاً: «يَدْعُونَ أَهْلَ الْأَوْثَانِ» (متفق عليه).

الصفة السابعة: يرفضون النزول إلى شرع الله:

كما قال ﷺ: «يَدْعُونَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَلَيْسُوا مِنْهُ فِي شَيْءٍ» (رواه أبو داود وأحمد).

الصفة الثامنة: لا يقدرّون للنبوّة قدرها مع سوء في الخطاب:

كما في الصحيحين لما قال ذو الخويصرة للنبي ﷺ: «اعْدِلْ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّكَ لَمْ تَعْدِلْ» (متفق عليه).

الصفة التاسعة: يخرجون من العراق:

كما في صحيح البخاري عن سهل بن حنيف قال: سمعت النبي ﷺ: وَأَهْوَى بِيَدِهِ قَبْلَ الْعِرَاقِ: «يَخْرُجُ مِنْهُ قَوْمٌ يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ، لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ مُرُوقَ السَّهْمِ مِنَ الرَّمِيَّةِ» (متفق عليه).

الصفة العاشرة: يخرجون أوقات الحروب والفتن:

كما في الصحيحين «يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ» (متفق عليه).
قال النووي: أي وقت افتراق الناس.

راجع الرابط الآتي:

<https://www.youtube.com/watch?v=rXQFTkDIRaU>

○ هل الإرهاب صناعة دينية؟!

• عزیزى... الإرهاب ليس صناعة دينية، وإنما الإرهاب صناعة سياسية لتحقيق مصالح من صنعوه؛ فالثورة الفرنسية التى قامت فى عهد روبسیر وجان جیست، قامت بقطع رأس (١٤٠) ألف فرنسى وسجنت ثلاثة آلاف آخرين، كان هدف العنف الإرهابى فى فرنسا هدفاً سياسياً وهو الحكم.

وكذلك حادث اغتيال الأمير رودلف ولى عهد النمسا الذى ارتكبه مجموعة إرهابية صربية، وكان السبب المباشر لقيام الحرب العالمية الأولى ١٩١٤م، كان بالمثل ذا غرض سياسى أولاً وأخيراً.

وكذلك ما اقترفته الولايات المتحدة الأمريكية ضد هيروشيما وناجازاكى باستخدام القنبلة النووية لأول مرة فى التاريخ؛ مما أدى إلى مقتل ١٩٥ ألف مدنى يابانى، غير مئات الآلاف من المشوهين حتى اليوم كان لتحقيق أهداف سياسية.

وما ترتكبه جماعة العنف الإرهابى فى الألوية الحمراء فى إيطاليا غرضه سياسى.. وما ارتكبه جماعة العنف اليهودى المسيحى فى صبرا وشاتيلا فى عام ١٩٨٢م من قتل المئات من الفلسطينيين.. وما ارتكبه جماعة العنف اليهودى فى جنين عام ٢٠٠٢م، وكذلك المجازر البشرية بين جماعات العنف البروتستانت والكاثوليك فى أيرلندا.

ولا نستطيع فى أى زمان أو أى مكان أن ننسب الإرهاب وتصرفات جماعات العنف إلى أى ديانة سماوية؛ فالديانات السماوية ديانات محبة وسلام، وليست ديانات مجازر بشرية، ولكن الساسة الغربيين وخاصة فى أوربا وأمريكا يكيلون بمكيالين؛ فيرددون أن الإسلام هو المسؤول عن تصرفات جماعات العنف الإسلامى، رغم أن الإسلام فى الكتاب والسنة لا يُقرُّ هذه التصرفات.

• وإذا كان هذا المعيار الصحيح، فبالمعيار نفسه لا بد أن تقول إن هناك إرهاباً مسيحياً ينسب إلى الإنجيل، مثلما حدث فى المجزرة البشرية فى أوكلاهوما فى أمريكا، وهناك إرهابٌ يهودى مثلما حدث فى وقائع صبرا وشاتيلا وفى جنين ينسب إلى التوراة، وهناك إرهابٌ بوذى قامت به جماعة الحقيقة السامية فى اليابان؛ مثل أحداث التسمم والموت بالمواد الكيميائية السامة فى مترو الأنفاق فى طوكيو.

• ولكن الحقيقة التى يُقرُّها كل عاقل: أن الافتراء الذى يطلقه الساسة الغربيون والأمريكان على الإسلام بأن الإرهاب صناعة إسلامية له هدف سياسى لتركييع الدول الإسلامية والعربية، وإلا فلماذا لم يقولوا عن الإرهاب فى أيرلندا والمجازر البشرية بين البروتستانت والكاثوليك إنه صناعة مسيحية؟ أو لماذا لم يقولوا عن الإرهاب الذى حدث فى أوكلاهوما إنه إرهاب أمريكى صناعة مسيحية؟ ولماذا لم يقولوا عن الإرهاب الذى حدث فى صبرا وشاتيلا إنه إرهاب صناعة مسيحية يهودية؟ ولماذا لم يقولوا عن الإرهاب الذى حدث فى

جنين إنه إرهاب صناعة يهودية؟ ولماذا لم يقولوا عن الإرهاب الذى حدث فى مترو الأنفاق فى طوكيو إنه إرهاب صناعة بوذية؟!!

• أمريكا تصنع الإرهاب وتتهم المسلمين به :

عزیزى ...

- أمريكا تصنع الإرهاب فى بلاد المسلمين والعرب ثم تتهم المسلمين به!!

وهذا بشهادة مندوب روسيا فى الأمم المتحدة.. راجع الرابط :

<https://www.youtube.com/watch?v=i58k6AskFWM>

- أمريكا ترتكب جريمة الإرهاب الدولى فى بلاد المسلمين والعرب باسم

الحرب على الإرهاب!!

- أمريكا تقوم - قهراً وإرغاماً - بعلمنة التعليم وخاصة الدينى فى البلاد

العربية والإسلامية تحت عنوان الاعتدال!!

- أمريكا تقوم بالحروب الاقتصادية للضغط على الحكومات العربية بتنفيذ

الخريطة الأمريكية للشرق الأوسط الجديد، تكون فيه إسرائيل الدولة الكبرى

المسيطرة وصاحبة النفوذ!!

- أمريكا تقوم بحرب الأفكار لنشر الإلحاد بين الشباب ... لاستلاب

الهوية العربية والإسلامية!!

- أمريكا تقوم بحرب الأفيون لنشر الإدمان بين الشباب لتدمير المجتمع!!

وما كلُّ ذلك إلا تمهيد لفرض الأجندة الأمريكية الصهيونية في وطننا
العربى الإسلامى...!!

هذا، وحالنا فى نزاع وشقاق وتراجع علمى... بل ومقاومة على مستقبل
الوطن بثمرن بخس...!!!

فهل من يقظة ووعى بحجم المخاطر والأهوال التى تحيط بنا... قبل
فوات الأوان...؟؟؟!!

اللهم ردنا جميعاً إلى الحق والصواب والعقل والحكمة يا رب العالمين.

○ إن تخلف العرب المسلمين وما يقع من إرهاب وعنف باسم الإسلام،
جعلنى أسأل: هل شقينا بالإسلام؟!

عزيزى...

• هل العرب كل أمة الإسلام؟

أولاً؛ لسنا نحن العرب المسلمين كل الأمة.. هناك مناطق إسلامية مشرقة
رأيتها بنفسى.. إندونيسيا.. ماليزيا.. وغيرهما.

وهناك أيضاً مجموعات إسلامية فى الغرب فى مواقع علمية متميزة..

أمة القرآن تضعف لكنها.. أبداً لا ولن تموت.. تضعف فى حال بُعدها
عن هدى القرآن، وسرعان ما تُبعث فيها الحياة والحضارة حين تعود إلى القرآن.
ولا يمكن اختزال تاريخ أمة فى فترة من الفترات، لقد صنع هذا القرآن
حضارة عظيمة علّمت أوروبا فى قرون جهالاتها فى العصور الوسطى، وكان على
من يريد أن يتعلم العلم، كان عليه أن يتعلم اللغة العربية..

• هل تخلفنا بسبب الإسلام؟

ثانياً؛ إن تخلفنا لم يكن بسبب الإسلام، بل كان بسبب بعدنا عن
الإسلام، وعدم اتباعنا لهدى الإسلام..

- فالإسلام أمرنا أن نعمل، ﴿وَقُلْ أَعْمَلُوا﴾ [التوبة: ١٠٥]، ولم نعمل!!

- الإسلام أمرنا بالإنفاق والجودة، ﴿وَأَحْسِنُوا﴾ [البقرة: ١٩٥]، ولم نحسن!!

- الإسلام أمرنا أن نتعاون، ﴿وَتَعَاوَنُوا﴾ [المائدة: ٢]، ولم نفعل!!

- أمرنا بالتنافس فى فعل الخيرات، ﴿فَأَسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ [البقرة: ١٤٨]، ولم نفعل!!

- أمرنا بأن نكون يدًا واحدة.. قوتنا فى وحدتنا.. ﴿وَأَعْتَصِمُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، ولم نفعل!!

- أمرنا أن يكون لنا مثل وكالة ناسا، ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ﴾ [العنكبوت: ٢٠]، ولم نفعل!!

- أمرنا بالعلم ﴿اقْرَأْ﴾ [العلق: ٣]، وأمة (اقرأ) لا تقرأ!!

- أمرنا بتحقيق الصلاحية فى أمر الدين والدنيا لنستحق الحياة الطيبة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٧].. ولم نفعل، واقتصرنا فى معنى الصلاحية على العبادات فقط، فهذا ينفق عشرات الآلاف فى عمرة تتكرر، أو فى حج يتكرر، ولا ينفق على بناء العقل المسلم فى المعامل والبحوث الجادة... إلخ.

• أمرنا بإعمال العقل والتفكير العلمى؛ فاشتمل على (١٢٦٠) ألف ومئتين وستين سؤالاً للعقل البشرى.. ولم نفعل!! بل كان منا الجمود العقلى،

ولم ينشط العقل المسلم لإنتاج نموذج فكري من القرآن والسنة يُظهر به هويته الحضارية.

- أمرنا القرآن وكذلك السنة النبوية إذا عمَّ الفساد.. أن نبدأ الإصلاح ولا نياس.. أن نبدأ بأنفسنا، ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٥]، ولم نفعل!! بل ووقعنا في فخ التلاوم، كل يلقي بالمسؤولية على الآخر، وكذلك وقعنا في فخ الحديث ببراءة الذمة، يعنى يجعل المتحدث نفسه بريئاً ويلقى باللائمة على الآخرين.

- أمرنا القرآن أن نتبين ونثبت أمام الشائعات والزيف... ﴿إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمَهَلِهِمْ فَنُصَبِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ [الحجرات: ٦]، ولم نتبين، بل كان منا التسرع والاندفاع والتهور!!!

- أمرنا القرآن بالتعاون لا الصدام والتناحر، ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ولم نتعاون، بل قتلنا الفردية والنجسية في الأعم الأغلب من شؤون حياتنا!!

- الشيء الذى فعلناه هو أنه حينما نهانا الإسلام عن التفرق والتنازع، ﴿وَلَا تَنَزَعُوا﴾ [الأنفال: ٤٦]، ﴿وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].. كان منا التنازع والفرقة!!

العيب فينا... فهلاً بدأ كلُّ منا بنفسه...

ويشهد التاريخ أن هذه الأمة (أمة الإسلام) فترات قوتها حين تقبل وتهتدى وتستجيب للقرآن، وأن فترات ضعفها حين تتخلى عن القرآن، وأنه سرعان ما تبعث فيها القوة والتمكين والسيادة حين تعود إلى قرآن ربها..

هذه الأمة كتب الله لها الخلود من لحظة ميلادها.. بنزول أول آية على قلب نبيها، فالقيمة والخلود لهذه الأمة التى ارتبط خلودها بخلود القرآن.. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر].

• ماذا ينبغى علينا أن نفعل؟

الذى ينبغى علينا الآن الثبات.. وأن نعلم أولادنا الدرس.. أملاً فى تحقق بشرى ووعد سيدنا رسول الله ﷺ بحسن العاقبة والنصر للإسلام.. وتحقيق وعد ربنا فى قرآنه ﴿وَلِإِنْ عُدْتُمْ عَدَاً﴾ [الإسراء: ٨].

وكل ما يحدث هو شاهد صدق وحق على أن هذا الإسلام حق، والنبي حق.. وأن العاقبة - إن شاء الله تعالى - للمسلمين.. بعد أن يُذهب الله أجيال الخيبة والخسارة ويستبدل بهم أناساً آخرين، لا يكونون أمثالنا فى التفريط والضعف والهوان..

أمة القرآن تضعف، لكنها لا ولن تموت؛ لارتباطها بخلود القرآن الكريم.

○ لماذا الربط بين التخلف والإرهاب والإسلام؟

لقد تخلفت أوروبا في العصور الوسطى حتى نُعتت بالمظلمة، ولم يقل أحد إن هذا كان بسبب اعتناقها للنصرانية، تقع التفجيرات في أيرلندا فتنسب إلى الحزب الجمهورى، ولا ينسبها أحد إلى الإرهاب المسيحى أو البروتستانتى، لكن عند المسلمين تنسبون الإرهاب للإسلام!!

لماذا لا تربطون بين (الحرب العالمية الأولى والحرب العالمية الثانية، وما حدث في العراق من أمريكا، وما حدث في أفغانستان، وما يحدث في الهند وباكستان، وما يحدث في بلاد المسلمين كلها) وبين الدين المسيحى أو الدين اليهودى؟ لماذا لا تربطون بين اليهودية وبين ما يحدث من إسرائيل في الأرض المحتلة من إرهاب دولي؟ فقط الربط يكون بين كل ما هو إسلامى وبين السوءات؟

عزيرى.. من الإنصاف أن تقرأ أحداث العنف في ضوء الحقائق التالية: (التفرقة بين الدين وبين أفعال البشر، واستخدام السياسة للدين في تحقيق مصالح وأهداف أصحابها، والدسائس التى توجه إلى المسلمين من خصومهم، نبوءات النبى وتحذير أمته من التفرق والتنازع).

أولاً: من المهم التفرقة بين الدين بوصفه وحياً إلهياً ينظم حياة البشر وأفعالهم: فالدين (الإسلام) لا يدعو إلى عنف أو إرهاب وإنما إلى الرحمة ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء].. وإلى العفو ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ

الْجَاهِلِيَّاتِ ﴿٣٣﴾ [الأعراف]، ﴿وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [النور: ٢٢].. وإلى السلام، فتحية الإسلام: (السلام عليكم ورحمة الله).. واسم الله السلام.. واللجنة اسمها دار السلام.. ونختم الصلاة ب: السلام عليكم ورحمة الله.. ونفتتح سور القرآن بالبسملة التي فيها اسمان من أسماء الله الحسنى: الرحمن والرحيم.

• الإذن بالقتال في الإسلام لمن ظلم لمواجاة المعتدى:

والقتال في الإسلام لمواجاة المعتدى والظالم، فالإذن بالقتال في الإسلام لمن ظلم، قال الله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج]، وقوله تعالى: ﴿فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥] جاء في سياق سورة التوبة التي تتحدث عن قوم لا يرقبون في المسلمين عهداً ولا ذمة، وهم بدؤوا المسلمين بالقتال أول مرة، وكل الشرائع والعقول تؤكد حق دفع الظلم والعدوان ومقاومة المعتدى.

وأما قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِن قُوَّةٍ﴾ [الأنفال: ٦٠]، فهو بالمعنى المعاصر بناء القدرة للدولة (علمية وسياسية واقتصادية وعسكرية... إلخ).

وقوله: ﴿تَرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠] بالمعنى المعاصر أن يكون للمسلمين قوة ردع تمنع المعتدى من العدوان علينا.

وذلك لأن التلويح باستخدام القوة يمنع عدوان المعتدى، ويُسكت الشر، وأضرب لك مثلاً: هناك بنت جميلة تذهب إلى الجامعة، وفي طريقها أشقياء يحاولون سرقتها أو التحرش بها.. إلخ، أخبرت أخويها: المصارع والملاكم.. فى الصباح سار الملاكم عن يمين أخته والمصارع عن يسارها أثناء سيرها للجامعة، حتى وصلا إلى المكان الذى به الأشقياء، وقالوا (المصارع والملاكم): من يعترض طريقك؟ وإذ بالأشقياء يهربون ويلوذون بالفرار.

وجود القوة (المصارع، والملاكم) والتلويح باستخدامها أسكت الشر وسوء أدب الأشقياء، وما أساء إلى أحد..

• لمحة جديدة بالتدبر:

ثم تأمل وتدبر آية فى القرآن تحسم كل الشكوك التى يثيرها الآخر... وهى ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]، يعنى لم يقل له وهو ضعيف لاجئ إلى حماية المسلمين، لم يقل له: اترك دينك واعتنق دين الإسلام، بل قال له: اعرض عليه الدين من باب حب الخير للناس ومعرفة الحق الذى أمر به الخالق... ولا تكرهه على شىء... فله الخيار، ثم أبلغه مأمنه...

• لا إكراه على الإيمان:

لقد نص القرآن على منع الإكراه.. ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

وللمسلمين فى ذلك مواقف خالدة، فهذا رسول الله ﷺ عند فتح مكة

أصدر العفو العام عمن أساءوا إليه وحاولوا قتله... وسار على النهج سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند فتح بيت المقدس... وهكذا...

فإلصاق ما يحدث من عنف بالإسلام ليس صواباً ولا حكماً علمياً يستند إلى دليل صحيح.

ثانياً: ما صدر من أخطاء متتالية بشأن الصراع على السلطة والحكم في تاريخ المسلمين هو من ألعيب السياسة واستخدام الدين لتحقيق أغراض ومصالح شخصية.

وحتى يتأكد لك أن الأخطاء البشرية شىء والدين شىء آخر، وأن ما أصاب المسلمين أصاب غيرهم، ماذا عن اليهود الذين قتلوا الأنبياء وأفسدوا في الأرض تاريخاً طويلاً، وماذا عن إفسادهم المعاصر المنهج في الأرض والمذابح الفلسطينية لا تحفى على أحد والتي تتكرر مرات بعد مرات، وشنائع وفظائع الصهيونية، هل الدين اليهودى أمرهم بذلك؟! وبشأن المسيحية لا يمكن إغفال ما صنعتها السياسة بالاستخدام السيئ للدين، كما حدث في محاكم التفتيش بأوروبا ومحاكمة العلماء، بل وقتلهم باسم المسيحية وباسم الكنيسة، أيضاً لا يمكن إغفال الاستخدام السياسى السيئ للصليب الذى هو رمز للتضحية عند المسيحيين، فكيف يتم تحويله إلى رمز للقهر والحرب والتدمير في الحروب الصليبية؟!

وهذا بيان لواقع الأخطاء البشرية من أتباع كل دين، والدين عامة برىء

من كل ذلك، وليس هناك أحد حجة على الدين، بل الدين هو الحجة على البشر.

ثالثاً: داعش هل هى صنّعة إسلامية، أم أنها صنّعة المخابرات الأمريكية لتشويه الإسلام والمسلمين... فى أخطر مواجهة ضد الإسلام والعرب... على كل المستويات؟!

- وماذا قالت المؤسسات العلمية الدينية كالأزهر وغيره عن داعش؟

- هل أقرّت فعلهم أم جرّمته وبيّنت أنه ضد الإسلام؟

والسؤال هنا:

من على وجه الأرض يُسلّح داعش؟

- ومن الذى أنشأ المناخ السياسى الإعلامى اللازم لوجودها؟

- ومن الذى ضغط لإيصال السلاح لهم؟

- ومن الذى يسمح لهم بالاستيلاء على حقول النفط فى العراق وفى

سوريا، وبدؤوا باستخراج النفط، وهذا النفط يُشترى من قبل شخص ما، أين

هى العقوبات على الأطراف التى اشترت هذا النفط؟ هل تعتقدون أن الولايات

المتحدة لا تعرف من الذى يشتريه؟

أليس حلفاؤها هم من يشترون النفط من داعش؟ ألا تعتقدون أن

الولايات المتحدة لديها القدرة على التأثير على حلفائها؟ أو الصواب أنها فى

الواقع لا ترغب فى التأثير عليهم؟

راجع الرابط:

https://m.facebook.com/story.php?story_fbid=2000689963536631&id=1516542635284702

- إن الحقيقة هنا هى: أنه ليس أحد حجة على الدين، ولكن الدين حجة على البشر.

رابعاً: الدسائس التى كانت وما زالت تحاك من الخصوم ضد المسلمين واستخدام ضعاف النفوس، كل ذلك كان له نصيب وافر من هذه الأحداث والأخطاء، والصراع بين الخير والشر سنة قائمة من سنن الله فى كونه تجرى فى الناس إلى يوم القيامة. (اقرأ التقرير المرفق تحت عنوان: لماذا العداء ضد المسلمين؟)

خامساً: نبوءات النبى ﷺ (والتي تم جمعها فى رسائل علمية بكلية أصول الدين - قسم الحديث وعلومه - وبلغت حوالى ٢٠٠ مئتين نبوءة).. حيث أخبر النبى أمته عن هذه الأحوال بداية من عصره إلى يوم القيامة، وهى بمثابة تحذيرات للمؤمنين الصادقين حتى يلزموا باب الله فى أوقات الفتن.

وكان النبى يُزَكِّي كل سلوك من شأنه القضاء على الفتن والدسائس، كلون من الإرشاد لأمته، على نحو ما أثنى ﷺ على سيدنا الحسن بن على فى نبوءته أن الله سيصلح به بين فئتين عظيمتين من المسلمين.

○ أليس الشباب العربى المسلم فى مهب رياح الحروب الفكرية والاقتصادية الآن؟!

• نعم نعرف.. اللوم علينا والتقصير فينا.. لماذا تلومون الشباب؟

فقد نسيناهم.. أهملناهم.. حتى قطعوا الأمل فهاموا على وجوههم يتخبطون ويبحثون عن الأمل، لجؤوا إلى صيغة جديدة من الزواج لإشباع غرائزهم: زواج حواء.. الدم.. آدم.. ليلي.. نهاري.. ولم ننتبه!! نسيناهم.. أهملناهم.

أعلنوا عن تمردهم على المجتمع بلغة جديدة تعبر عن أزمته، فكانت صرخة اللغة الشبابية.. ولم ننتبه!!

أغلقت فى وجوههم فرص العمل الشريف، والكسب الحلال، فباعوا أنفسهم لترويج المخدرات من أجل الكسب السريع، وبعضهم بحث عن الحياة فى توابيت الموت داخل القوارب المتهالكة التى تغامر بهم فى تلاطم الأمواج فى ظلمة الليالى المتوحشة لا ينظر أحد إليهم فيها إلا ملك الموت.. ومع ذلك نسيناهم.. أهملناهم.

بحثوا لعلهم يكونون ممن كتب لهم فرص النجاة للوصول إلى شواطئ الأمل والعمل فى أوروبا.

• طائفة أخرى من الشباب بحثًا عن أمل فى حياة.. باعوا أنفسهم

للعُدو.. باعوا كرامتهم.. باعوا أوطانهم وارتموا فى أحضان الصهيونية هناك فى إسرائيل.. شباب يسرق.. شباب يضيع.. والأمة فى غيوبة.. كلنا فى غفلة ساهون.

• وفى هذا الجو الخانق.. تُخَيِّمُ غيوم كثيفة مع إعلان وزيرة الخارجية الأمريكية عن مشروع الفوضى الخلاقة (عفوًا اعتذر) عن مشروعهم الفوضى (الهدامة):

- إثارة الخلافات الطائفية والمذهبية بين المسلمين.
- العمل على هدم الرموز الفكرية والدينية والتاريخية للمسلمين والعرب.
- موجة عاتية من إثارة الشهوات على القلب المسلم عبر المواقع والقنوات لإثارة الغرائز والجنس.
- وموجة أخرى عاتية مظلمة من الشبهات لتشكيك العقل المسلم فى كل الثوابت فى قرآنه.. فى إلهه.. فى نبيه.. فى كل ما هو إسلامى.
- ولأن الشياطين لا يرضيهم من ضحاياهم إلا الكفر... أرسلوا الموجة العاتية الآنية.. موجة الإلحاد.. يبتون أن فكرة الإله فكرة وهمية... فكرة عبثية!!
- هكذا.. لا يكفيهم أن يشككوا فى قرآنك.. فى نبيك.. فى دينك، بل يريدون إخراجك بالمرّة من كل انتماء، ومن كل شىء يحقق لك هذه الخصوصية.. ومن كل شىء يقوّيك ويعزّز من هويتك.

ثم موجة الربيع العربى .. عفواً.. (الصهيونى)، (التدميرى) حتى نخرب
دولنا بأيدينا، كل ذلك لماذا؟!!

حتى يعود المجتمع نسيجاً مهلهلاً مفككاً منهاراً متصارعاً.. فتُتاح الفرصة
لمشروع الشرق الأوسط الجديد... تكون الدولة العظمى فيه.. هى دولة إسرائيل.
• أمتى.. أحبتى.. إخوتى..

الأمر أبعد من كل خلاف.. من كل خلاف سياسى.. نعم... أبعد من كل
خلاف سياسى أو فقهى أو حزبى أو دينى.. الأمر هو أنا وأنت أن يكون ثمن
اللحمة التى تتحقق بها الحياة الدليلة هو عرضك.. هو وطنك... هو أنا هو أنت!
أما آن الأوان أن نأخذ بأيدي شبابنا فى حوار يعالج الفكر الذى امتلأ
بسمومهم حين نسينا أبنائنا.. فكان منهم من تأثر بالشهوات، ومنهم من تأثر
بالشبهات، ومنهم من وقع فى الإلحاد.. والفكر لا يعالج إلا بالفكر.

○ لماذا كل هذا العداء ضد الإسلام والمسلمين؟

عزیزی... هذا سؤال مستحق... هذا العداء للمسلمين له أسباب عديدة،

منها:

(١) الثروة البشرية المتصاعدة في الكثرة:

فمن بين ما يزيد عن ستة مليارات من البشر على وجه الأرض، يناهز تعداد المسلمين ملياراً ونصف المليار، أي حوالى ربع سكان الكرة الأرضية.

ليس هذا فقط، فهذا الربع يتمتع بنسبة خصوبة عالية ونسبة توالد مرتفعة - على عكس كثير من المجتمعات الغربية التى تُعانى تناقصاً مستمراً فى نسبة المواليد - مما يرشح نسبة المسلمين إلى سكان العالم للزيادة باطراد.

ولا شك أن هذا يثير قلق الخصوم الراصدين للظاهرة الإسلامية وحركة المدّ الإسلامى، خصوصاً فى المجتمعات الغربية، مما يدعوهم إلى إطلاق صيحات التحذير من أسلمة أوروبا والغرب، كما تأسلم الشرق من قبل.

(٢) العملاق الساكن:

هذه الأعداد الهائلة لا تسكن طرفاً بعيداً من الأرض ولا تعيش مبعثرة مجزأة متقطعة الأوصال، وإنما تتجاور فى منطقة القلب والمركز منها، بما لهذه المنطقة من أهمية من مختلف النواحي؛ فهى عملاق نائم.

وأخطر ما فى الأمر أن يستيقظ هذا المارد العملاق فيُكَلِّم أطرافه ويضمّ

إليه شتاته ويتوحد على منهج جرّبه من قبل ودين ساد به العالم حين التزمه قروناً عديدة!

وعلى عكس الحضارة والمدنية الغربية التي قامت على أنقاض الدين، فإن نهضة هذا المارد - زمن العزة - قد انبنت على قواعد الدين، وعليها تأسست، ومنها انطلقت، وإلى مرجعيتها استندت.

بعبارة أخرى، فإن تعاليم هذا الدين كانت الوقود المحرك لقاطرة المدنية الإسلامية قديماً، ويُتَظَر أن تكون كذلك لأية صحوة ونهضة قادمة.

وهذا هو عين ما يخشاه الخصوم، ولهذا يحرصون على الحيلولة بيننا وبين مرجعيتنا الحقيقية، أشدّ الحرص وبشتى السبل.

٣) الاستعصاء على العلمنة والعولمة بمفهومها السلبي:

لقد هزمت العلمانية الدين في الغرب حتى أدخلته في أزمة، فلم يعد الإيمان بوجود خالق لهذا الكون مدبرٍ له يتجاوز نسبة ١٥٪ من الأوروبيين، والذين يذهبون إلى الكنيسة نسبة نادرة من هؤلاء، والكنيسة تجذبهم بوسائل شتى، ليس في مقدمتها الممارسات التعبدية بالضرورة، ولعل من أبرز هذه الوسائل وأحدثها هي فتح أبوابها ومنح موافقتها على زواج الشواذ، ومع ذلك فرواد الكنائس في تراجع، حتى لقد تنبأت بعض الدراسات بزيادة عدد المسلمين على عدد المسيحيين الملتزمين دينياً في إنجلترا، بعد سنوات.

أما في العالم الإسلامي، فإن العلمانية التي جلبها الاستعمار الغربي في

ركابه إلى الشرق الإسلامي، لم تُحرز تقدماً يُذكر، بل زادت تحدياتها هذا الدين - الإسلام، الذي أرادت أن تُزهق روحه كما فعلت بالمسيحية في الغرب - صموداً وحيوية فتنامت الصحوة واتسع المد الإسلامي.

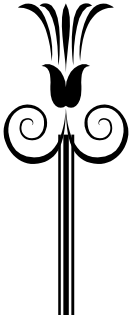
هذه إجمالاً أبرز دوافع العداء للإسلام والترتب له.

• اعتراف صريح:

توكيداً لما سبق ذكره، نُورد هنا بالنص كلاماً صريحاً مُنظَّراً الاستراتيجية الأمريكية المعاصرة: فُوكوياما وهُتِنجتون؛ إذ يقولان:

الإسلام هو الحضارة الرئيسية الوحيدة في العالم التي يمكن الجدل بأن لديها بعض المشاكل الأساسية مع الحداثة الأمريكية المسيطرة في السياسة الدولية، فالعالم الإسلامي يختلف عن غيره من الحضارات في وجه واحد مهم، فهو وحده قد وَلَدَ تكراراً خلال الأعوام الأخيرة حركات أصولية مهمة، ترفض، لا السياسات الغربية فحسب، وإنما المبدأ الأكثر أساسية للحداثة: الدولة العلمانية نفسها.

ومن ثَمَّ فإن الصراع الحالي ليس ببساطة معركة ضد الإرهاب، ولكنه صراع ضد العقيدة الإسلامية والأصولية التي ترفض الحداثة والعلمانية الغربية، والمبدأ المسيحي.



(٤)

الطعن فى القرآن



○ ذَكَرَ بعضُ الباحثين أن قرآنَ المسلمين ما هو إلا نصُّ آراميٍّ سريانيٍّ عَرَبَت بعضُ ألفاظه، ألا يطعن هذا في عَرَبِيَّة القرآن؟ ولماذا لا يُفسَّر القرآن بالسريانية؟

عزیزی...

لا إنكار لوجود علاقة بين اللغة العربية وأخواتها من اللغات في الفرع السامي ضمن أسرة اللغات الأفرو آسيوية.. كما نؤكد أن باب الاجتهاد لم يُغلق في التعرف على دلالات آيات القرآن الكريم.. لكن الذي نوجه إليه الانتباه هو أن القرآن وضع حدًّا ضابطًا ينبغي ألا تخرج عنه الاجتهادات في معاني القرآن، وهو قوله تعالى: ﴿يَلْسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ (١١٥) [الشعراء].

• منشأ القضية:

يعود منشأ قضية (تفسير القرآن الكريم بالسريانية) إلى سنة ٢٠٠٠م؛ حيث صدر كتاب: «قراءة آرامية سريانية للقرآن» لكاتب ألماني اسمه: كريستوف لوكسمبرج، واحتفى الإعلام الألماني بالكتاب.. ودار حول جملة من الندوات.. وتدور فكرة الكتاب حول أن القرآن نص آرامي سرياني عُرِّبَت بعض ألفاظه.. واعتمد الكاتب على تشابهات لفظية بين كلمات قرآنية ومقابلات لها سريانية.

• إنكار علماء اللغة في الغرب لفكرة الكتاب:

لم تلقَ فكرة الكتاب قبولا عند كثير من المستشرقين والمستعربين من غير

المسلمين، وبخاصة علماء اللغات فى الدراسات المقارنة التى تهدف إلى تأصيل اللغة الأقدم والأصل؛ حيث تؤكد الدراسات اللغوية المقارنة الحديثة على أن العربية هى أصل لجميع اللغات السامية.

يقول العالم «فرانسوا دى بلو» منتقداً هذا الكتاب: «هذا العمل برىء من أى فهم حقيقى لمنهجية اللسانيات السامية المقارنة».

- راجع:

Journal of Qur'anic Studies, Vol. V, Issue 1, 2003, pp 92-97.

• دليل فاسد:

وينبغى أن تعرف أن الاعتماد على التشابه بين الكلمات يقود إلى كل اللغات، حتى من خارج الأسرة اللغوية التى تنتمى إليها العربية، مثل الإنجليزية، والفرعونية؛ لذا أُلّف بعضهم يؤصل ويفسر فواتح السور بالتفسير الفرعونى وغيره.. فالاعتماد على بعض التشابه العشوائى بين الكلمات والاستدلال به على فكرة الكتاب دليل فاسد، كما أن الانسياق - مندفعين بالعاطفة - وراء هذا التيار يخرج القرآن عن حقيقة معناه التى نزل بها، ﴿يَلْسَانِ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ﴾ [الشعراء].

• الاستغلال الخاطئ:

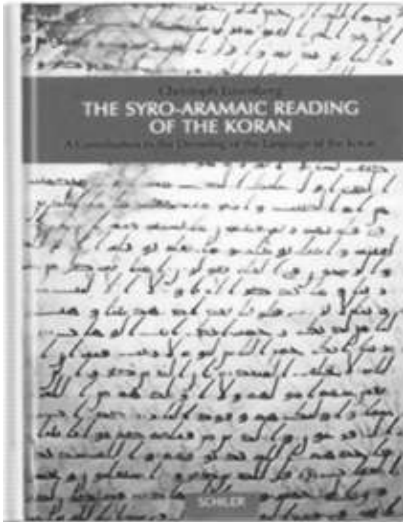
ولقد لجأ (بالفعل) هؤلاء المغرمون بهذا الاتجاه إلى تفسير كثير من كلمات القرآن بالمعنى السريانى؛ مثل (حور عين) وغيرها وتفسيرها بدلالات غير عربية،

وفي هذا تفريغ للقرآن من دلالاته الحقيقية.. وكما أن لفظ القرآن لا يُترجم، فكذلك تفسيره وقُفَّ على قواعد اللسان الذي نزل به.

• كل لغة لها نظامها الخاص:

ونؤكد ما عليه أهل العلم في اللغات كلها: أن لكل لغة نظامها الصوتي والصرفي والنحوي والدلالي الذي يخصها.. كما ينبغي البيان بأن الألفاظ ذات الأصول الأعجمية التي وردت في القرآن الكريم؛ مثل (سُنْدُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ،...) عُرِّبَتْ أولاً، ودارت على ألسنة العرب، وصارت جزءاً من النسيج اللغوي للغة العربية قبل نزول القرآن الكريم، وهذا لا ينطبق على اتجاه تفسير فواتح السور وكلمات القرآن بالسريانية.

صورة غلاف الترجمة الإنجليزية



صورة غلاف النسخة الأصلية بالألمانية



○ لماذا التناقض في عدد أيام خلق السماوات والأرض في القرآن؟!
 تزعمون أن السماوات والأرض تم خلقهما في ستة أيام، بينما تؤكد بعض آيات
 قرآنكم في مواضع أخرى أن خلقهما تمَّ في ثمانية أيام، وهذا تناقض واضح،
 ومثل هذا الخطأ الحسابي دليل على أن القرآن ليس مقدَّساً كما تدَّعون!!

عزیزی...

تمهل قليلاً... فما وقع لك ما هو إلا لبس بسيط... فتعال نحاول سوياً
 توضيح المسألة:

فالآيات التي تتحدث عنها هي قوله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ
 الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَاداً ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ١٠ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِنْ فَوْقِهَا
 وَبَرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِلنَّاسِ لِيَوْمٍ أَنشَبُوا إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ
 دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١١ فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ
 سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ وَحِفْظاً
 ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ١٢﴾ [فُصِّلَتْ].

ولدينا هنا عبارات ثلاث تختلف عن بعضها بشكل واضح...

- فالأولى تتحدث عن الخلق: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾.
- والثانية تتحدث عن التقدير: ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾.
- أما الثالثة فتتحدث عن القضاء: ﴿فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾.

إذا لا يجوز أن نجمع هذه الأرقام الثلاثة معًا؛ لأن كل رقم له مدلول مختلف...

فالايات لا تحوى إلا رقمًا واحدًا يتحدث عن الخلق وهو ﴿يَوْمَيْنِ﴾ فى قوله: ﴿خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ﴾...

أما تقدير الأقوات للأرض والذى تم فى أربعة أيام، فلا علاقة له بمدة الخلق، ﴿وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ﴾؛ لأن خلق الأرض تم خلال يومين. كذلك الآية التى تحدثت عن السماء لا تذكر خلق السماوات، بل تذكر قضاء الله لهذه السماء أن تصبح سبع سماوات وذلك خلال يومين، ﴿فَقَضَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ﴾؛ أى أن السماء كانت موجودة ومخلوقة، واليومان هما لفصل هذه السماوات عن بعضها.

وبذلك لا يوجد أى تناقض فى هذا النص...

فالله خلق السماوات فى أربعة أيام، ثم خلق الأرض خلال يومين...

إذن مجموع أيام الخلق $4 + 2 = 6$ أيام...

ولذلك قال: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا

مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ ﴿٢٨﴾ [ق].

○ جاء في قرآنكم: ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ [الزخرف]، أتعبدون إلهين؟ إله في الأرض، وإله في السماء، كيف؟ وإلا فما معنى تكرار كلمة ﴿إِلَهُ﴾؟ علماً بأن القاعدة اللغوية تقول: (عند تكرار النكرة بلفظها كانت الثانية غير الأولى)... وأظنك لن تستطيع أن تنكر الآية.. ولا القاعدة اللغوية؟!

عزیزی... أنا لا أنكر الآية ولا القاعدة اللغوية، ولكني أبين لك بقواعد اللسان العربي المبين الذي نزل به القرآن الكريم، فأقول لك: إنه قد فاتك النظر إلى الضمير (هو) في الآية الكريمة؛ لأنه يُغنى عن توجيه الآية بإعمال قاعدة (تكرار النكرة بلفظها ومخالفة الأولى للثانية)، فالمبتدأ (هو) هو المسند إليه، وما بعده خبر عنه، فهو المسند بما يحويه من الاسم الموصول وجمله صلته، وكلها تعبر عن إله واحد سبحانه أُشير إليه بقوله: (وهو).

والمعنى: (إنه إله يُعبَد في السماء ويُعبَد في الأرض، وهو صاحب الحكمة المطلقة في كل أفعاله، وهو المحيط بكل كونه)، وأن الحق إنما يريد بهذا القول أن يشغل الأذهان به.

ولا بد لنا أن نلتفت إلى أنه ﷻ قال: ﴿وَهُوَ الَّذِي﴾.. وكلمة «الذي» اسم موصول واحد يدلنا على أن الحق صلته بالسماء وبالأرض واحدة، ولهذا نقول لمن وقفوا عند هذه الآية السابقة: لا تبحثوا عن النكرة المكررة بمعزل عن الاسم الموصول؛ لأن الاسم الموصول معرفة.

○ أين وعد ربكم للمؤمنين بالحياة الطيبة؟! ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾، والطيبون هم التعماء في العالم... والواقع يشهد أن الحياة الطيبة والتقدم العلمى للكافرين؟!

عزیزی...

أنتم تزعمون أن معظم التعماء فى الحياة الدنيا هم الأكثر تمسكًا بالإسلام، فالدول الأكثر فقرًا، هى الدول النامية أو المتخلفة وهى دول مسلمة، وعلى مستوى الأفراد نجد هذا المشهد قائمًا أيضًا، كما أن الله تعالى يقول: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البعد]؛ يعنى لا بد من المكابدة ولا بد من التعب.

فكيف نوفق هنا بين المعنيين: بين أن يحيا المسلم حياة طيبة، وأنه يكابد الحياة فى الوقت نفسه؟

والحق أنه لا تناقض ولا تعارض، لكن المسألة تحتاج إلى بيان وتوضيح للمفهوم الحقيقى لمعنى قول الله ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَوةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

• أثر الإيمان الصادق:

نحن هنا أمام أمرين: الإيمان، والعمل الصالح.. فالإيمان يجعل الإنسان فى رضا إذا اشتدت عليه الأمور وحدثت هنالك ابتلاءات.. يقول النبى ﷺ:

«عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ، إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَاكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ، فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ، صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ» (رواه مسلم).. فالإيمان يشمر الرضا بما عند الله من ثواب في حال النعمة وفي حال الشدة.

• حقيقة العمل الصالح:

أما العمل الصالح فينبغي أن نعلم أنه لا يقتصر على العبادات من الصلاة والصوم وغيرها فقط، بل يشمل أمورًا كثيرة مثل البحث العلمي، وإعمار الأرض، فهو عمل صالح ومهمة قرآنية لقوله تعالى: ﴿وَأَسْتَعْمِرْكُمْ فِيهَا﴾، ومن العمل الصالح أن ننظف الشوارع، ومن العمل الصالح أن تكون الصحة والمستشفيات على درجة عالية من الاهتمام والدقة وتؤدي دورها، ومن العمل الصالح أن يكون الإتقان سمة من سمات اليد التي تنتج، فيكون عندك أفضل منتج بأرخص سعر، وهذا من العمل الصالح.

أى أن تكون صالحًا؛ أى ماهرًا متقنًا شؤون الحياة الدنيا كما تتقن أمر العبادات والدين، إذن الوعي بآفاق العمل الصالح يجعلك فعلاً من السعداء؛ لأنك ستكون الأفضل والأحسن وتتحقق لك الحياة الطيبة بالمعنى المادى فى الدنيا قبل الآخرة.

إذن الإيمان يجعلك فى رضا حينما يكون هنالك ابتلاءات، من مرض، أو فقر، أو شدة، فلا تنهار كما ينهار الآخرون، إنما يكون منك التماسك أمام

الأزمات المفاجئة، وتتحول الشرور والأزمات إلى قصة نجاح جديدة.. هذا هو معنى القوة التى يعطيها لك الإيمان والعمل الصالح.

وهذا يتوافق مع قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ [البدر: ٤]، بمعنى أن الحياة لا بد فيها من صراع بين الخير والشر، بين الحق والباطل.

• حكمة الاختبار:

وفى إطار قول الله تعالى: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾ [المك: ٢].. نجد أن الإنسان مختبر فى هذه الحياة، وأن الأمور لن تكون وردية بالكامل، بل ستصادفك اختبارات، والإيمان يجعلك الأقوى، ويجعلك الأحسن.

إن معدن (الماس) فى أساسه كان فحمًا تعرض لضغوط شديدة وعالية جدًا بين الصخور لملايين السنين، فتحول هذا الفحم إلى ماس بواسطة هذه الضغوط، والفحم الذى لم يتعرض لهذه الضغوط يظل فحمًا.

إن الإنسان بالشدائد يكون الأقوى، يكون قطعة ماس، ولا يظل فحمًا على طينته وعلى عهده الأول بدون خبرة، فالشدائد تعطينا خبرة، وتصنع بنا قوة، فلا يكون الانهيار أو الجزع.

ألا ترى كيف يكون العامل المجتهد سعيدًا بتعبه؛ لأنه ينتظر الخير الذى يحصل عليه فى النهاية، والطالب الذى يسهر الليالى سعيدًا بسهره؛ لأنه ينتظر التفوق والدرجات العالية؟! وهكذا هى الحياة.

فإذا حقق المؤمن المعادلة القرآنية: (عمل صالح يشمل الدين والدنيا + الإيمان الصادق = الحياة الطيبة) فاز بالحياة الطيبة.

• أما قولك يا عزيزى: إن الواقع يشهد أن الحياة الطيبة والتقدم العلمى للكافرين، فأين هى الحياة الطيبة التى وعدكم ربكم بها؟!
فالجواب: السنن الكونية لا تجامل أحداً.

فربنا قد أقام الكون على سنن كونية (قوانين).. لا تبدل.. ولا تتحول..
ولا تجامل أحداً... يعنى من يعرف العوم وهو ملحد ينجو من الغرق، والمؤمن الذى لا يحسن العوم يصيبه الغرق؛ لأنه هنا يفتقد لمواصفات الصلاحية فى العوم... أما الملحد فقد نجح؛ لأن مواصفات الصلاحية فى العوم قد اجتهد فيها حتى تمكن منها...

إذن السنن الإلهية لا تجامل أحداً، من اجتهد فى تحصيلها نال ثمرتها وتمتع بها...

فنحن شقينا ببعدها عن الإسلام... أمرنا بالعلم وتخلفنا... أمرنا بالعمل وإحسانه وتكاسلنا ولم نعمل ولم نحسن... أمرنا بالخُلُق العظيم ولم نتخلق به... أمرنا بعدم التنازع وتنازعنا... إلخ.. فشقاؤنا بسبب بعدهنا عن الإسلام العملى الحياتى...

أما الأمم الغربية فتقدمت بأخذها بأسباب العلم الذى أمرنا الله به.

• العرب ليسوا كل الأمة :

والعرب ليسوا كل أمة الإسلام... ماليزيا فى صعودها العلمى... ماليزيا نموذج اقتصادى ناجح... وإندونيسيا الآن فى صعود ملحوظ... الإسلام يأمر بالعلم وبالقيم الحضارية..

• تاريخ الأمم لا يختزل :

ولا يختزل تاريخ أمة فى مرحلة زمنية دون النظرة الشاملة... ألم تك اللغة العربية هى لغة العلم فى وقت تخلف أوروبا... وحضارة الإسلام هى التى علّمت أوروبا...

• مفهوم أشمل للعمل الصالح :

فالعمل الصالح فى الإسلام له مفهوم ممتد واسع لا يقتصر على أمر الدين من صلاة وصيام وحج وعمرة... إلخ من العبادات المختلفة، وإنما يشمل أمر الحياة الدنيا أيضًا... فقد جاءت كلمة ﴿صَالِحًا﴾ نكرة؛ لإفادة الشمول والعموم.

يعنى الزوجة الناجحة ينبغى أن تتوفر فيها مواصفات الزوجة الصالحة فى بيتها مع زوجها، وأن تكون أمًا صالحة مع أولادها... والطالب كى يكون ناجحًا ينبغى أن تتوفر فيه مواصفات الصلاحية فى التعلم بجهد واجتهاد... وهكذا فى كل شؤون حياتنا ينبغى أن نجتهد فى تحصيل مواصفات الصلاحية للمهندس والطبيب والعامل... إلخ من خلال التعلم الدائم... والتدريب

المستمر... مع الإحسان والإتقان والأمانة.

- ومن هنا يظهر: لماذا قدم ربنا العمل الصالح في الآية... ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل].

والجواب: لتأكيد الأهمية للعمل الصالح في تحقيق الحياة الطيبة.

اللهم ارزقنا حسن الفهم.. وحسن العمل.. وحسن الختام..

والله ربى أجل وأعلم.

○ كيف تقولون: إن ربكم كرم الإنسان، ثم إنه يشبه من لم يؤمنوا به

بالأنعام؟!

عزیزى...

لا يستطيع أحد أن يُنكر نعم الله تعالى العديدة على الإنسان وتكريمه له على سائر المخلوقات.. ومع ذلك فإن الله تعالى قد خلق للكائنات الأخرى أدمغة وعقولا تُسير بها معيشتها..

لكن هذا العقل الذى منحه الله تعالى لهذه الكائنات - على اختلاف نسبته - لا يرقى مهما بلغ إلى مستوى عقل الإنسان الذى كرمه الله تعالى بالعقل والإدراك، فعقل الإنسان قادر على الربط والعقد والتفكير والتقرير فى المواقف المختلفة، والتراكم المعرفى عبر الزمان والمكان؛ ولذلك فهو المناط بالتكليف من بين غيره من المخلوقات.

ونسبة الجهل إلى المشركين ووصف عقولهم بأنها أقل إدراكًا من الأنعام فى قوله تعالى: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلَّ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الأعراف: ١٧٩]، لا يعنى أنهم بالفعل هكذا..

ولكنهم لما ابتعدوا عن الحق إلى الضلال - رغم كثرة دلائل الحق - كانوا فى فعلهم هذا أشبه بالحيوان الذى لا يملك إدراكًا كافيًا للفهم والتعقل والتمييز؛ ولذلك فإن الحيوان الذى يُسبَّح بحمد خالقه هو أهدى من أناس

كفروا وأشركوا به.

فالإنسان وسائر الحيوانات يتشاركون فى قوى الطبيعة بأنواعها المختلفة، ويتشاركون أيضًا فى منافع الحواس الباطنة والظاهرة، وفى أحوال التخيل والتفكر والتذكر، وإنما حصل الامتياز بين الإنسان وسائر الحيوانات فى القوة العقلية والفكرية التى تهديه إلى معرفة الحق لذاته، والخير لأجل العمل به، فلما أعرض بعض الخلق عن اعتبار أحوال العقل والفكر ومعرفة الحق والعمل بالخير كانوا كالأنعام.

بل هم أضل؛ لأن الحيوانات لا قدرة لها على تحصيل هذه الفضائل، والإنسان أعطى القدرة على تحصيلها فأبى ذلك..

ومن أعرض عن اكتساب الفضائل العظيمة مع القدرة على تحصيلها كان أقل حالاً ممن لم يكتسبها مع العجز عنها.

○ هل وصف الإنسان في القرآن بأنه أعجمي يعد تحقيراً من شأنه؟

• عزیزی... يُقال: (عجمي) لمن انتسب إلى العجم وهم غير العرب، ويُقال: (أعجمي) لمن لا يُبين في كلامه، فكأنه تشبّه بغير العرب في أنه لا يحسن الحديث بالعربية، ثم صارت الكلمة تُطلق على كل من لا يبين الكلام، فيقال: (في لسانه عُجْمة: أي لا يُتَبَيَّن كلامه)، وليس في الكلمة دلالة على احتقار النفس، وإنما هي إشارة فقط للدلالة على وجود مشكلة في التحدث بالعربية.

• أما بالنسبة للشق الثاني من السؤال فنقول: إنه ليس هناك أي احتقار ألبتة في إطلاق لفظ الأعجمي على غير الناطق بالعربية، ولو كانت مذمّة أو سُبّة ما قالها نبينا ﷺ؛ حيث خطب رسول الله ﷺ بمنى في وسط أيام التشريق وهو على بعير فقال: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ، وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى عَجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا أَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، إِلَّا بِالتَّقْوَى»، أَلَا هَلْ بَلَّغْتُ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «لِيُبَلِّغَ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ» (رواه أحمد).

فلقد ساوى ديننا الحنيف بين البشر، وجعل معيار التمايز فيما بينهم هو التقوى، فنفى الأعراق والأنساب والأحساب، وجعل أجلّ النَّسَب وأشرفها النسبة للدين، فبالال الحبشي وضمهيب الرومي وسلمان الفارسي - وكانوا من غير العرب - أعلى شأنًا عند الله من عُتاة العرب ذوى الأصول والأموال وأهل الفصاحة والبيان.. والله أعلم.

○ كيف يتفق قولكم عن الكعبة: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ مع حادث سقوط الرافعة الذى راح ضحيته أكثر من مئة شخص، فهؤلاء الذين ماتوا قد دخلوا البيت الحرام ولم يأمنوا؟؟!!

عزیزى ...

ينبغى أن نفرق بين السنن الكونية والسنن التشريعية.

السنن الإلهية لا تتغير ولا تتبدل، ولا يمكن اختراقها... والموت واحد من بين تلك القوانين الإلهية التى فرضها الله بين عباده.. ولا راد لحكمه.

ولا يعنى قول الله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] أن كل من تواجد داخل حدود بيت الله الحرام سيكون فى منأى من أن يدركه الموت، أو أن تصيبه نازلة ما تضره...

وقد جاءت هذه الآية على الأسلوب نفسه فى قول الله: ﴿الْخَيْثُوثُ لِلْخَيْثِثِ وَالْخَيْثُوثُ لِلْخَيْثِثِ وَالْطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾ [النور: ٢٦].

وكثيرًا ما نجد عكس هذا فى الواقع؛ فتتزوج الخبيثات من الصالحين والعكس كذلك...

فهل هذا يناقض ما جاء به القرآن؟

لا، وإنما المراد من هذا القول: (زوَّجوا الخبيثات للخبيثين، والطيبات للطيبين، فإنه لا يليق بالطيب أن يتزوج إلا طيبة مثله، ولا يليق بالخبيثة إلا

خبث مثلها، ومن رضى بالخبث مع علمه بحالها فهو خبث مثلها، ومن رضى بخبث مع علمها بحاله فهي خبيثة مثله).

وكذا جاء قوله تعالى: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ على نفس النسق، ومعناها: (يا أيها المؤمنون، من دخل البيت الحرام فأمنه).

وقد كانت العرب فى الجاهلية يقتل بعضهم بعضاً ويغير بعضهم على بعض، فإذا دخل أحدهم الحرم أمن من القتل والغارة، وجاء الإسلام فزاد البيت كرامة وتعظيماً، وزاد من لاذ به أمناً.. فحرم القتال فيه، حتى قيل: إنه لا يقتل به كافر، ولا يقتص فيه من قاتل، ولا يُقام حدٌّ على محصن أو سارق حتى يخرج منه، كرامة لدخوله فى حِمى بيت الله تعالى..

أما الموت أو ما دونه من بلايا ومضرات فوقعها داخل بيت الله الحرام كوقعها خارجه... سنة كونية... وقضاء إلهى... لا يقدر فى معنى الأمان الذى حَبَى الله به بيته الحرام وزائريه.

○ هل يُعقل أن يُمدَّكم ربكم فى معركة بدر بخمسة آلاف من الملائكة كما تزعمون، ولا يُقتل من الكفار إلا سبعون رجلاً؟!

عزیزى...

إن نزول هذه الأعداد من الملائكة فى معركة بدر إنما كان لمساندة المسلمين وبت الثقة فى قلوبهم، وقد أخبر الله عباده المؤمنين بذلك؛ ليستشعروا معيته وتأييده ويثقوا بنصره.

وإن كان نزول ملك واحد موكل من الله كافيًا فى القضاء على من فى الأرض جميعًا... فإن العبرة من هذه الأعداد الغفيرة من الملائكة لم تكن إعمال القتل، وإنما تمثلت فى التثبيت والنصرة، وهو ما قد تحقق بالفعل؛ ولذلك لم يزد أعداد قتلى المشركين عن سبعين.

حيث انتصر المسلمون رغم قلة عددهم، بينما كان المشركون ما بين التسعمائة إلى الألف؛ أى أن عددهم كان ثلاثة أضعاف عدد المؤمنين، بالإضافة إلى تفوقهم فى العُدَّة والعتاد، ورغم ذلك استطاع المسلمون أن يقتلوا منهم سبعين ويأسروا سبعين بإذن الله ونصره لهم.

○ كيف يقرُّ القرآن في موضع أن إبراهيم هو أول من أسلم: ﴿وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام]، ويثبت في موضع آخر أن موسى هو أول من آمن: ﴿وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٣]، ثم يخبر في موضع ثالث أن سحرة فرعون هم أول من آمنوا: ﴿إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبُّنَا خَطِيئَتَنَا أَنْ كُنَّا أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء]، أليس هذا تناقضاً؟

عزیزی...

ليس هناك أي وجه للتناقض بين آيات القرآن الكريم، وبمعرفة قواعد اللسان العربي المبين يزول ما بذهنك من تناقض، فلما ضعفت معرفة الناس بقواعد لغة القرآن ضعف حسهم اللغوي، وضعفت صلتهم بالقرآن وفهمهم لآياته وأساليبه.

● اختلاف معنى الأوليّة في كل آية من الآيات السابقة:

عزیزی...

إن معنى الأوليّة الذي تقصده الآيات التي تستدل بها ليس واحداً، فكل أولية مختصة بمجال من المعنى بحسب السياق، فالسياق محدّد للمعنى؛ حيث إن أولية الإسلام في حق إبراهيم، وأولية الإيمان لموسى وللسحرة هي أولية نسبية؛ فكل نبي هو أول المسلمين من قومه، وهو أول المؤمنين من أهل ملته؛ حيث كان هو أول من أسلم وآمن لربه، وأول من دعا لذلك، فهو

أولهم إسلامًا وإيمانًا...

بينما أولية إيمان سحرة فرعون.. وهم لم يكونوا أسبق إلى الإيمان بطبيعة الحال من موسى وهارون، تمثلت في كونهم أول من آمن بآيات موسى حين رؤوها...

فأوليتهم كانت للدلالة على المبادرة إلى الإيمان وعدم التقاعس عنه والتواني فيه حين رأوا آية تحوّل العصا إلى حية تسعى.

○ جاء في القرآن: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، كيف

يتفق هذا مع خلق الجن من نار والملائكة من نور؟

عزیزی...

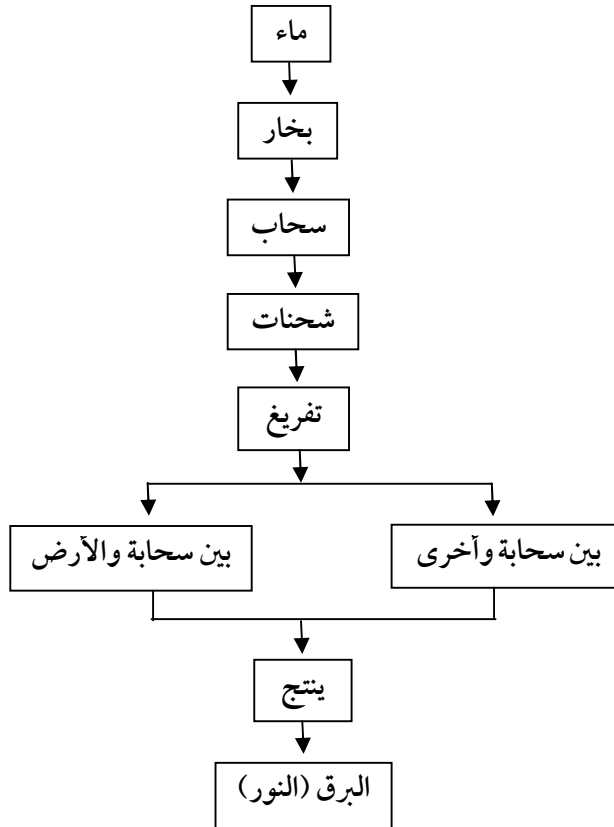
• لقد خلق الله ﷻ كل شيء فعلاً من الماء كما أخبر، وليس هناك تناقض أو تعارض، فأما قولك بأن الإنسان خلق من صلصال كالفخار، ولم يُخلق من الماء، فالرد على هذا بسيط جداً؛ فالصلصال عبارة عن اختلاط الماء بالطين، فالطين لا يخلو من الماء، فهو خليط من التراب والماء، يؤكد ذلك قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا﴾ [الفرقان]؛ ومن ثم فإن مادة خلق الإنسان هي الماء والطين.

• وإذا انتقلنا إلى قوله تعالى: ﴿وَالْجَانَّ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ نَارِ السَّمُومِ﴾ [الحجر] نجد أن ربنا ﷻ لم يقل: إنه خلق الجن من نار، وإنما قال: ﴿نَارِ السَّمُومِ﴾، ونار السموم هي اختلاط الهواء بالأسنة اللهب، والهواء يكون محملاً ببخار الماء؛ ومن ثم فإن اختلاط الهواء - الذي هو محمل ببخار الماء - بالأسنة اللهب ينتج عنه نار السموم، وهي المادة التي خلق منها الجن؛ ومن ثم فالماء موجود في مادة خلق الجن، ولكن بنسبة معينة، والله تعالى قال: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، و(من) هنا تفيد التبعية.

• أما قولهم: إن الملائكة خلقت من نور، وليس من الماء فمردود عليه؛

فمعلوم أن الماء حينما يتبخر بنسب عالية، فإن ذلك البخار تتكون منه السحب، كما يتم البخار لغاز الميثان، ثم يحدث تأيّن لغاز الميثان في السحب الركامية، وينتج عن ذلك شحنات كهربائية، وهذه الشحنات يتم تفريغها إما بين سحابة وأخرى (cloud and cloud)، أو يتم ذلك بين سحابة والأرض (cloud and ground)، والبرق هو هذا النور اللامع وهو نتيجة هذا التفريغ.

الذى نريد بيانه - دون إسهاب - يمكن أن نلخصه على النحو الآتى:



فلقد بدأنا بالماء وانتهينا بالنور الذى هو مادة خلق الملائكة.

سبحان من هذا كلامه... وهذا التطابق بين ما أخبر به القرآن والمسائل الدقيقة فى الكون هو من شواهد الحق وبراهين الإيمان التى تشهد أن الذى خلق هذا الكون هو الذى أنزل القرآن.

وما يعقلها إلا العالمون..

وسبحان الله الخلاق العظيم..

والله ربى أجل وأعلم..

○ بم تفسر تناقض القرآن حول تبديل كلمات الله؟! .. فهناك تناقض

بين قوله ﷺ: ﴿لَا بُدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [يونس: ٦٤]، وأيضاً قوله ﷺ: ﴿لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ﴾ [الكهف: ٢٧]، وقوله ﷺ: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ﴾ [النحل: ١٠١] .. فكيف ينفى الله تبديل كلماته فى موضع، ثم يُقرُّ هذا التبديل فى موضع آخر؟!

عزیزى... جواب ذلك يكون ببيان حقائق اللغة الآتية:

١ - معنى (كلمات الله): سُنَّته، وقوانينه الكونية، وقضاؤه بين المخلوقات.

٢ - المقصود بالآية: هى الآية القرآنية، وليست الآية الكونية.

٣ - المراد بالتبديل: هو تبديل الأحكام التى نزلت بها الآيات مع بقاء رسمها فى المصحف.

والخلاصة إذن... أنه لا تعارض بين قوله ﷺ: ﴿لَا بُدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾، وقوله ﷺ: ﴿وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ﴾؛ لأن المقصود بكلمات الله فى الآية الأولى: سننه الكونية التى قضاها على جميع خلقه.. أما المقصود بـ (آية) فى الآية الثانية: الآية القرآنية التى هى جزء من أجزاء القرآن الكريم، وليست الآية الكونية.. والمراد بتبديل آية مكان آية: تبديل الأحكام التى نزلت بها الآيات؛ مناسبة للظروف المحيطة بكل آية، مع بقاء رسم الآية فى المصحف كما هى دون حذف لها، وكان الكفار يعدون هذا دليلاً على أن القرآن من وضع النبى ﷺ.

○ لماذا المخاطبة بصيغة المذكر لنساء النبي؟! .. فقد جاء فى القرآن قوله

تعالى: ﴿يُنْسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ (٣٠) وَمَنْ يَقْنُتْ مِنْكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُؤْتِهِنَّ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾ [الأحزاب] .. أليس المقصود هنا: من تات، ومن تقنت؟!

عزیزى ...

الأمر لا يثير مشكلة لمن يعلم قواعد اللغة العربية.. ومن أجل إزالة اللبس لديك.. إليك الحقائق اللغوية الآتية:

١. (من) لفظ مذكر من الأسماء المشتركة التى تُستعمل للمذكر والأنثى...

٢. من قواعد اللغة العربية أنه عندما تأتى (من) يبدوون بذكر ما يدل على لفظها المذكر، ثم يتم ذكر ما يتفق مع المعنى بحسب السياق.

٣. ولذلك فى الآية موضوع السؤال جاءت الأفعال (يأت / يقنت) بصيغة المذكر رعاية للفظ (من) المذكر... ثم تحوّل الكلام إلى المؤنث رعاية للمعنى وإعمالاً للقاعدة التى سبق الإشارة إليها كما ترى فى (مكن)... وبهذا يزول اللبس ويتضح البيان... والله ربى أجل وأعلم.

○ إن الكلام عن الحور العين من قبيل الأفلام الهندية ؛ لأن الجنة ليست (أوتيلًا) ، ومن المستحيل فى فلسفة القرآن أن تكون الحور العين هى النساء ، وهذا مجرد إغراء ، فالمعنى اللغوى لكلمة (الحور العين) ليس هو المعنى الذى قصده المفسرون !!

عزیزى ...

أولاً: الحور العين من الأمور الغيبية التى تناولها القرآن فى محكم آياته ، ومن غير المعقول أن نؤمن بالقرآن الكريم كله ، ونسلم بما جاء فيه ، ثم ننكر بعد ذلك خبراً جاء به ! فإذا اعتبرنا أخبار الحور العين من قبيل الأفلام الهندية ، فإن ذلك سينسحب على جميع الأخبار الغيبية التى وردت فى القرآن الكريم ، من نعيم الجنة وعذاب النار ، ومشاهد الحساب ... إلخ ، فهل كل هذا من قبيل الأفلام الهندية ؟

ثانياً: مبدأ الثواب والعقاب مبدأ تربوى معمول به كثرمة تأتى بعد إنهاء عمل ما ، سواء بالخير أو بالشر ، فكيف ننكره على أعظم منهج تربوى ، وهو الإسلام ، وقد أعد الله لعباده المؤمنين الصالحين فى الجنة ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر ، ولا شك أن الحور العين تأتى لترسيخ مبدأ الثواب لعباد الله الصالحين المتقين فى الدنيا ، إثابة لهم على صالح أعمالهم .

ثالثاً: ينبغى ألا نُغفل تلك الحقيقة التى تقول بأن أمر إتقان الصنعة يختلف من صانع لآخر ، وهذا مما لا جدال فيه ، فقد يملك صانعان نفس

الأدوات، لكن منتج كل منهما يختلف عن الآخر، والله المثل الأعلى؛ فإن الصانع تعالى هو الذى خلق السماوات والأرض بفضائها الرحب، ومحيطاتها الواسعة، وعوالمها المهيبة التى يُفصح لنا العلم الحديث كل يوم عن عظيم قدرة صانعها، فكيف نستبعد أو نستعظم تلك المواصفات التى وصف الله بها الحور العين فى كتابه الجليل، إلا إذا شككنا فى عظمة من تعالت قدرته، مع العلم بأننا نحن البشر قد يبهشنا وصف امرأة ما فى الدنيا، وهى ليست من الحور العين، فكيف نستعظم ذلك فى جنة وعدها الله عباده المتقين؟!

رابعاً: المشاعر فى الجنة وقواعد التعامل ليست كالدنيا، فإن الجنة عالم آخر مختلف، لا حقد فيه ولا غيرة، من مثل هذه الأمور الموجودة فى الدنيا، وبالتالى لا مكان لما تدعيه أو يدعيه بعضهم بأن المرأة تريد الزوج لها وحدها دون مزاحمة من الحور العين، بل تزيدنا السُّنة بياناً بأن الحور العين سَيَكُنَّ سبيّاً فى مزيد من سعادة المرأة.

خامساً: وبالرجوع إلى المعنى اللغوى لـ (الحور العين) نجد أن (حور) فى اللغة العربية جمع حوراء، والحوراء هى بيضاء الجسد، و(عين) بكسر العين، هى صاحبة العيون الجميلة الواسعة، كما يعنى مصطلح الحور العين فى كلام العرب: النساء وإساعات العيون، شديداً بياض بياض العين، شديداً سواد سوادها؛ ولذلك قال ﷺ: ﴿وَزَوَّجْتُهُمْ بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان: ٥٤]، وفى هذا دلالة واضحة على أن الحور العين خلق من خلق الله، وهن نساء، ولكنهن غير نساء

الدنيا، جعلهن الله ﷻ مكافأة لعباده الصالحين المؤمنين.

سادساً: وعلى الرغم من هذا الجمال الذى تُوصَف به الحور العين، وأن جمالهنَّ يفوق جمال كل نساء أهل الأرض، وهن ما زلنَ على الأرض، أما عندما تدخل نساء الأرض الجنة فإنهنَّ يصبحنَّ أشدَّ جمالاً من الحور العين؛ وذلك حتى يسعد المؤمن بزوجه التى كانت معه فى الدنيا، حيث تصبح أجمل مخلوقة بين كل المخلوقات بالنسبة له، وتصبح سيدة الحور العين اللواتى سَيَكُنَّ من نصيبه فى الجنة، ولا غيرة فى الجنة من زوجة الرجل عليه من الحور العين، فالله هو الذى يخلق الطبائع، وهو الذى يُكَيِّفُها كيف يشاء، فسيكون أهل الجنة فى سعادة أبدية، نسأل الله لنا جميعاً تلك السعادة.

وما يعقلها إلا العالمون..

وسبحان الله الخلاق العظيم..

والله ربى أجل وأعلم..

○ أوهام زيدان حول حادثة الفيل .. متى ينتهى زيدان عن خرافاته؟!

كعاداته يُطلُّ علينا الروائي يوسف زيدان بفرقة إعلامية جديدة، غير أنه جاوز الحد هذه المرة، حتى بلغ به الأمر أن يتهم على ما جاء فى سورة الفيل، التى تؤكد مجيء أبرهة بالفيل لهدم الكعبة، مستخدماً أقيسة فاسدة ليس لها قبول إلا فى خيالاته، ويتعجب من مسير الفيل من اليمن إلى مكة كل هذه المسافة ليهدم أبرهة به الكعبة التى من السهل أن تهدمها «شوية ميّة» على حد تعبيره!!

ثم يختم افتراءه متعجباً من موقف السعودية وغضبها من قصف الحوثيين للكعبة بصاروخ، طارحاً سؤالاً غاية فى السذاجة: «السعودية زعلانة ليه على قصف الحوثيين للكعبة، وبتتصدى للصاروخ ليه ما تسبيه وهو هينفجر لوحده»!!؟

ومن جهتنا سنرد على هذه المزاعم بأسلوب علمى هادئ، نتبع فيه العلم والمنطق ودلائل التاريخ، الحجة بالحجة والدليل بالدليل:

أولاً: الذى لم ينتبه إليه يوسف زيدان - متغافلاً عن عمد أو غير عمد - أن الفيلة كانت تُستخدم قديماً كآلة قوية فى الحروب والمعارك؛ أما بالنسبة للمعارك الحربية فعليه معرفة الآتى:

١ - أنه فى عهد الملك الأمازيغى (جوبا الثانى) قد تم صك العديد من

العملات التى تبين صورة فيل يرتدى خوذة حربية.

٢- هذا فضلاً عن أنه قد تم استخدام الفيلة فى الحروب التاريخية التى وقعت بين مملكة قرطاج وإمبراطورية روما.

٣- وكذلك ما ذكر فى مصادر تتحدث عن عام ٢٤٢ ق.م، عندما قام الرومان بغزو جزيرة صقلية وفشلوا فى السيطرة على الأفيال التى تركها القرطاجيون فى الجزيرة.

٤- وكذلك المعركة التى استعمل فيها القائد الشهير «حنبل» الفيلة الأفريقية لقطع جبال الألب والبرانس؛ ليغزو إيطاليا خلال الحرب البونيقية الثانية (٢١٨ - ٢٠١ ق.م)، وكذلك معركة الجسر (١٣هـ) التى كانت بين المسلمين والفرس، وقد استخدم فيها الفرس الأفيال.

فكيف يستغرب يوسف زيدان أن يستخدم أبرهة الحبشى الفيل فى هدم الكعبة؟!

إن المشاهد للأفلام الأجنبية التى تتعرض للأحداث التاريخية، وتحدث عن العصور القديمة، يجدها تجسد المعارك مستخدمة الفيلة كأداة من أدوات الحرب فى هذه العصور.

ومن ثم فإن نقل هذه الفيلة لم يكن بالشىء العسير على الجيوش فى ذلك الوقت، بل قد قطعت بها مسافات طويلة، ومنها ما نُحِل على السفن البحرية.

ثانيًا: إذا كان الأمر كذلك، وأصبح من الثابت لدينا أن الفيلة كانت تُستخدم في الحروب، فإن التساؤل المستحق هنا: هل تم ذكر حادثة أبرهة الحبشى والطيور الأبايل في أية وثائق تاريخية؟

نقول: جاء في دائرة المعارف الإثيوبية أن أبرهة بدأ حملته على مكة في عام ٥٤٧م، وأنه تم شحن الفيلة من إثيوبيا... ثم تذكر أن القصة وردت في القرآن في سورة الفيل، وأن هزيمة أبرهة على حدود مكة كانت نتيجة لرعب أصاب الفيلة، وأنه تم تسمية العام بعام الفيل.. وأنه تم التعبير عن ذلك في لوحة موجودة في كنيسة Dabra Salam.

ثالثًا: الذى يخفى على يوسف زيدان ولم ينتبه إليه أيضًا أن أى شخص عندما يتجه لقتال أعدائه، أو هدم بناء عظيم لهم، يحاول بكل ما أُوتى من قوة أن يجمع كل قواه ضد الطرف الآخر، بصرف النظر عن قوته وضعفه، حتى لا يجد أية مقاومة، ويكون الأمر محسومًا ابتداءً، وحتى يعلم العرب مدى قوة أبرهة الحاكم المهيّب الذى يريد أن يوصل إليهم رسالة شديدة اللهجة، بأنهم مهما بنوا كعبتهم مرة ثانية بعد أن يهدمها فإن باستطاعته أن يهدمها بأفئاله العتية.

رابعًا: هل يعلم يوسف زيدان أن الفيل يستطيع أن يتكيف في غذائه مع مختلف الأعشاب؛ فهو يأكل ٦٤ نوعًا نباتيًا، وتستطيع الفيلة أن تتحمل العطش مدة ثلاثة أيام، ويمكنها قطع مسافة ٨٠ كيلو مترًا بحثًا عن الماء، وتبلغ سرعة

تنقل الفيل نحو ٥ - ١٠ كيلو مترات/ ساعة، وعندما يغضب تبلغ سرعته ٤٠ كيلو مترًا/ ساعة؟!

فهل بعد ذلك يمكن أن نقول: كيف للفيل أن يقطع مسافة ١٠٠٠ كيلو؟!

خامسًا: لم يكن أبرهة يقصد بهدم الكعبة هدم ذلك البناء الحجري، إنما أراد أن يهين العرب في هدم رمز من رموزهم، بصرف النظر عن قوته وضعفه.

سادسًا: ثم إن لفظ (شوية ميه) الذى أطلقه يوسف زيدان لا ينطلى على الصبية؛ إذ كيف تهْدَمُ (شوية ميه) بناءً كالكعبة التى اهتم بها العرب؛ فبالغوا في تقويتها قدر إمكانهم لما لها من مكانة في قلوبهم، فقد كان الأمر عبارة عن سيول عاتية، وليس (شوية ميه) كما يتوهم زيدان، تلك السيول الطبيعية التى لا تستطيع قوة إيقافها، وخير شاهد على ذلك من التاريخ نفسه هدم مملكة سبأ الذى ذكره الله تعالى في محكم آياته، ومن يرجع إلى كتب التاريخ يجد أن مملكة سبأ قد هُدمت بسيل العِرم، وقد كانت مملكة كاملة، ولم تكن مجرد بناء.

سابعًا: إن عبارة «للبيت ربٌ يحميه» ليست قرآنًا ولا حديثًا نبويًا، وإنما صدرت من عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف حين خلت مكة من قوة تستطيع مواجهة القوة القادمة بالفيلة، فقال معبرًا عن أنه لم يبقَ لنا سبيل ولا قدرة لحماية البيت، ولم يُعَد في وسعنا إلا التضرع لرب البيت. أما نحن في عصرنا الحالى فقد أصبح عدد المسلمين لا يُحصى، ويجب عليهم ألا يتخاذلوا عن

نُصرة بيت الله، طالما كان فى استطاعتهم حمايته، بعكس عبد المطلب الذى لم يكن له ولا لأهل مكة حينئذٍ حول ولا قوة.

فهل فهمت أيها العبقري واتضح لك البيان؟ أم ما زلت فى غيِّك وظلامك الفكرى غارقاً فيه لأذنيك؟!

وما يعقلها إلا العالمون..

وما يذكر إلا أولو الألباب..

فاعتبروا يا أولى الأبصار..

○ أوهام زيدان عن المسجد الأقصى، لصالح مَنْ تُدلس يا زيدان!!

ادعى الكاتب يوسف زيدان أن المسجد الموجود في مدينة القدس المحتلة، والذي ذُكر في القرآن الكريم وأُسرى بالرسول ﷺ إليه، ليس هو المسجد الأقصى الحقيقي، وإنما بناه عبد الملك بن مروان في العصر الأموي من أجل مطمح سياسى، وليس له أية قدسية دينية.

• أوهام زيدان حول المسجد الأقصى تسقط أمام حقائق التاريخ:

ورد في الحديث الذى رواه الإمام البخارى فى صحيحه عن أبى ذرٍّ رضي الله عنه، قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ مَسْجِدٍ وُضِعَ فِي الْأَرْضِ أَوَّلَ؟ قَالَ: «الْمَسْجِدُ الْحَرَامُ»، قَالَ: قُلْتُ: ثُمَّ أَيُّ؟ قَالَ «الْمَسْجِدُ الْأَقْصَى»، قُلْتُ: كَمْ كَانَ بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: «أَرْبَعُونَ سَنَةً...» (متفق عليه)، وبمرور الزمن تقادم البناء وبقيت قواعده ومحيطها مكانًا مباركًا.

فى بداية تاريخ فلسطين المعروف هاجر إليها الكنعانيون الساميون من شبه جزيرة العرب، ومن يومها وهم أوفر مَنْ سكنها عددًا، وأبرز من سكنها إسهامًا فى تاريخها الحضارى؛ إذ إن كثيرًا من المدن والبلدان الفلسطينية الحالية ترجع فى أصلها إلى أصل كنعانى؛ كغزة ويافا وأريحا وأسدود والقدس. (راجع: العرب فى العصور القديمة، لطفى عبد الوهاب، ص ٦٠).

فالقدس مدينة كنعانية أسسها (سالم) أحد زعماء اليبوسيين، وهم قبيلة كبيرة من الكنعانيين، فعُرفت بـ(أورسالم)، حرّفها العبرانيون بعد ذلك إلى

(أورشليم)، فقد جاء في الكتاب المقدس: «وَبَنُو بَنِيَامِينَ لَمْ يَطْرُدُوا الْيُوسُفِينَ سَكَّانَ أُورُشَلِيمَ، فَسَكَنَ الْيُوسُفِيُّونَ مَعَ بَنِي بَنِيَامِينَ فِي أُورُشَلِيمَ» (سفر القضاة، الإصحاح الأول).

وعُرفت في العصر الروماني بـ(إيلياء)، واشتهرت بعد الفتح الإسلامي بـ(القدس الشريف) و(بيت المقدس). (راجع: تاريخ الخلفاء الراشدين، للدكتور محمد سهيل طقوش، ١/ ٢٧٠).

لكل ما تقدم، عُرفت فلسطين في التاريخ القديم بأرض كنعان، حتى في الكتاب المقدس، فقد جاء فيه: «ثُمَّ قَالَ يُوسُفُ لِإِخْوَتِهِ وَلَيْبَتِ أَبِيهِ: أَصْعَدُ وَأُخْبِرُ فِرْعَوْنَ وَأَقُولَ لَهُ: إِخْوَتِي وَبَيْتُ أَبِي الَّذِينَ فِي أَرْضِ كَنْعَانَ جَاءُوا إِلَيَّ» (سفر التكوين، الإصحاح السادس والأربعون).. ثم تتابع عليها الغزاة والفاتحون.

وحكم بنو إسرائيل هذه البلاد أقل من قرن من الزمان على أيام نبي الله داود وسليمان عليهما السلام، ثم انقسمت دولتهم بعدها وسقطت.

ولما شَغَبَ اليهود أيام الاحتلال الروماني لفلسطين كثيراً، قصدهم الرومان بحملات قاسية مزقت وجودهم بفلسطين، فتبعثروا في الآفاق مشردين خارجها؛ حتى خلت من وجود ملحوظ لهم قبل الفتح الإسلامي بأكثر من خمسة قرون. (موجز التاريخ الإسلامي، لأحمد معمر العسيري، ١/ ٤٤٨).

• المسجد الأقصى في عهد النبوة وما بعدها :

وقد أُسْرِى برسول الله ﷺ، كما ورد في القرآن الكريم، من المسجد الحرام

إلى مكان المسجد الأقصى المبارك الذى تقادم به الزمن، فربط دابته (البراق) عند حائطه الغربى فعُرف بحائط البراق، وهو المشهور عند اليهود بحائط المبكى؛ حيث يتباكون عنده على ضياع هيكل سليمان الذى دُمر من قبل عدة مرات، فلم يعد يُعرف له مكان ولا أثر، ثم عُرج به ﷺ إلى السماء من هذا الموضع، كما ورد فى الحديث الشريف.

وعندما فتح المسلمون بلاد الشام فى خلافة الفاروق رضي الله عنه، اشترط عليه أهل بيت المقدس ألا يسكنهم فيها يهودى، فاستمر خلؤها من وجود ملحوظ لهم طيلة العصر الإسلامى حتى بداية فصول المأساة المعاصرة فى القرن الماضى.

وقد جدّد الخليفة الأموى عبد الملك بن مروان بناء المسجد الأقصى عند بنائه قبة الصخرة وسوّره على النحو الموجود الآن، ثم تتابعت عليه يد الترميم والتجديد على مر السنين. (الأنس الجليل بتاريخ القدس والخليل، لمجير الدين العليمى، ١/ ٢٧٢).

إجمالاً، فإن فلسطين بلد كنعانى سامى عربى قبل الفتح الإسلامى بأكثر من ٣٠٠٠ سنة، ثم عربى إسلامى منذ الفتح حتى الآن، ونفوذ بنى إسرائيل قبل نشوء الكيان الصهيونى الغاصب انحصر عبر تاريخها فى أقل من قرن من الزمان حكم فيه بنو إسرائيل رعية أغلبها كنعانى؛ وعليه فقد ساد الكنعانيون الساميون والعرب فى أرض فلسطين رعاة ورعية فى أغلب تاريخها المعروف الممتد حتى الآن إلى حوالى خمسة آلاف سنة، وتواجد بنو إسرائيل كما تواجد

غيرهم فى تاريخها وأرضها على فترات ضئيلة متقطعة.

ومع بداية اغتصاب الصهاينة أرض فلسطين منذ بداية القرن الماضى، هبت المقاومة فى ثوبها ومسحتها الإسلامية، لكن سريعاً ما أفرغها العلمانيون من بعدها الإسلامى وأعلنوها قضية عربية عرقية، فتأخرت الحال ولم ينجزوا شيئاً، بل أضاعوا أشياء كثيرة، وهاهى القضية الآن تكاد تُفرغ من بعدها العربى لتتقلص شأنًا فلسطينيًا خالصًا فى مواجهة كيان غاصب يعلن صباح مساء أنه دولة يهودية توراتية، وعليه فالصراع معه عقدى، وهو صراع وجود لا صراع حدود.

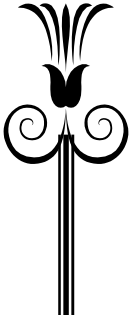
○ أوهام زيدان عن الإله الراقى !!!

يبدو أن زيدان لن ينتهى عن أوهامه وخرافاته.. فى هذه المرة اختار زيدان آلهة قريش فى الجاهلية كى ينسج حولها أوهامه، يقول زيدان عن (اللات) صنم قريش الأعظم: «إنه إله راقٍ، لم يهتم العرب بتجسيده كباقي آلهتهم، بل اكتفوا بالإشارة بحجر أبيض مكعب».. وهو الأمر الذى وضعه زيدان «بالمستوى العالى جدًا بالديانات، خاصة أنه يتصور الإله بدون تجسيد».

وقول زيدان بأنه: «إله راقٍ لأنه غير مجسم تجسيماً كاملاً على هيئة صنم، وإنما هو حجر أبيض مكعب - قول ساذج... يا أيها العبقري، أهذا هو فهمك للإله الراقى؟! أهذه هى أوصاف الإله الراقى عندك يا زيدان؟؟!!! أين عقلك أيها الرجل؟؟!!! إن كلمة رُقِى تُستخدم مع المخلوق وليست مع الإله، إن الإله الحقيقى عظيم بصفاته وكمالاته، عظيم بطلاقة قدرته، إنه الخالق لهذا الكون كله، واحد أحد.

أما كل هذه التصورات عن الإله، سواء تلك التى راقى لك، أو التى لم تعجبك وعبثتها عند العرب، كلها تصورات وهمية عن آلهة مزيفة غير حقيقية.

هلاً قرأت القرآن كلام الخالق؛ حتى تعلم صفات الإله الحقيقى، بعيداً عن الآلهة المزيفة؟!



(٥)

الطعن فى الأنبياء



○ هل نبوءات نبيكم كانت مجرد توقعات واجتهادات عقلية؟

عزیزى...

النبوءات إنما هى من دلائل النبوة ودلائل صدق الأنبياء بأن الله تعالى أرسلهم، وأرسل معهم ما يصلح الناس ويأخذ بهم إلى طريق الهداية إلى مرضات الله.

• بداية: ما معنى النبوءة، وما الفرق بين النبوءة والتوقعات العلمية؟

النبوءة هى إخبار النبى ﷺ عما يقع قبل أن يقع، وهناك فرق بين النبوءة والتوقع العلمى فى العصر الحديث؛ فمثلاً ما يحدث فى الأرصاد الجوية من توقع للطقس ويكون مُصَدِّقًا، فتطير الطائرة وتسير السفن بناءً عليه، وإلى آخر ذلك، فالتوقع مرتبط بالأسباب؛ أى أن الأسباب تؤدى إلى نتائج بسبب قراءة لما يترتب على هذه الأسباب، وهذا شىء طيب تقوم به العقول، ولكن النبوءة تكون إخبارًا من الخالق وتكون ضد الأسباب، فقراءة الأسباب لا تؤدى إلى معرفتها مسبقًا.

نبوءات النبى ﷺ قرابة المئتين، فهى نبوءات كثيرة ومتعددة، وقد صنفها العلماء فى دراسات متخصصة؛ فمنها نبوءات تحققت فى عهد سيدنا محمد ﷺ، ومنها نبوءات تحققت فى عهد الصحابة والتابعين، ومنها ما يتحقق فى عصرنا الذى نعيشه، وسوف نبين ذلك، وأيضًا نبوءات عن علامات الساعة.

• نماذج من نبوءات النبي ﷺ :

في غزوة بدر عند المقارنة بين ميزاني القوة وقراءة الأسباب كانت الغلبة والنصر والعاقبة لكفار قريش؛ إذ كان عددهم ثلاثة أضعاف عدد المسلمين، وكانت قريش تملك كل الامتيازات في جيشها مع هؤلاء العُزْل من المسلمين الذين لا يملك أكثرهم عتادًا ولا خبرةً وهم قلة مستضعفة، حتى القرآن وصفهم بذلك ﴿وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ﴾ [آل عمران: ١٢٣].

فالأَسباب هنا لا تؤدي إلى هذه النتيجة التي تنبأ بها رسول الله ﷺ من عند الله، وهذا ما ورد أن رسول الله ﷺ لما ورد بدرًا أو مأ بيده؛ أي أشار بيده إلى الأرض، وقال: «هَذَا مَصْرَعُ فَلَانٍ، وَهَذَا مَصْرَعُ فَلَانٍ» (رواه مسلم).

وقد تحقق كل ما أشار إليه وتنبأ به رسول الله ﷺ، مع أن ميزان القوة بحكم الأسباب ومنطق العقل كان يؤدي إلى عكس هذا.

فالنبوءة إذن إخبار من الخالق بأمور فوق العقل وبأمور فوق الأسباب، وهذا هو الفرق بين النبوءة والتوقع، وبين النبوءة وقراءة الأحداث والأسباب والاجتهاد، ونحو ذلك.

• أهمية النبوءات للمؤمن:

وإذا سرنا مع نبوءات النبي ﷺ نجد أن هذه النبوءات إنما هي بمثابة تنبيه للمؤمن كي يظل في كفة الخير وأهله، وكي يظل في مرضات الله تعالى،

وكى لا يتأثر بهذه المفاجآت التى تحدث أو بغلبة الباطل أحياناً أو بعلو الباطل أحياناً، بل إنه يكون حريصاً على مرضات الله تعالى، وألا يهتز أمام المفاجآت ويكون منه الثبات.

النبوءة تهيئ المؤمن لاستقبال الأحداث واستقبال المفاجآت واستقبال الكوارث حتى التى تكون خطيرة على المجتمع حتى لا يهتز، فهذا جانب، أما الجانب الآخر فهى بُشريات، فهناك نبوءات تحذيرية، وهنالك نبوءات فيها البُشرى للمؤمن، وفيها البُشرى للذى يلتزم بهدى الله تعالى ويستجيب لآيات الله ﷻ، ويتأسى بسنة سيدنا النبى ﷺ.

○ ألا تتعارض نبوءات نبيكم مع كون الله مختصاً بعلم الغيب، ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن]؟

عزیزی...

• نعم.. الله تعالى مختص بعلم الغيب.. ﴿عَلِمُ الْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا﴾ [الجن]، وإذا أكملت الآيات علمت أن الله تعالى هو الذي استثنى، قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَرْتَضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَإِنَّهُ يَسْلُكُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا﴾ [الجن].

فالرسل لهم خصوصية لتأييد الله لهم، فالذي يعلم الغيب هو الذي أعطى هذا الإذن، فهذا العلم مردّه إلى الله أيضًا، وليس باجتهاد بشر، وليس بحصول عقل من إنسان.

ونبوءات سيدنا النبي ﷺ - كما صنفها العلماء - منها ما تحقق في عهده، وقد بينّا ذلك، ومنها ما تحقق في عصر التابعين ومن بعدهم، ومنها ما تحقق في عصرنا الذي نعيشه الآن، نحن نرى هذه النبوءات بأعيننا.

• نبوءات في حياتنا المعاصرة:

من ذلك: ما أخبر به النبي ﷺ عما سيصيب هذه الأمة من داء الأثرة والتناوش في الدنيا والتباغض والبغى والتحاسد؛ حيث قال: «فَوَاللَّهِ مَا الْفَقْرَ أَخْشَىٰ عَلَيْكُمْ، وَلَكِنِّي أَخْشَىٰ أَنْ تُبْسَطَ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَىٰ مَنْ قَبْلَكُمْ،

فَتَنَافَسُوهَا كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتَهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكْتَهُمْ» (متفق عليه).. وهذه هى أسباب
الفرقة التى نراها فى المسلمين الآن بسبب الدنيا وما حل بهم من أثرها.

• وفى هذا المعنى أيضًا ما روى عن على بن أبى طالب رضي الله عنه أنه قال: «إِنَّا
لَجُلُوسٌ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ إِذْ طَلَعَ عَلَيْنَا مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ - وكلنا
يعلم مصعبًا، وتاريخ مصعب فى الغنى والترف والأبهة معروف، فهو أترف
شباب أهل مكة - مَا عَلَيْهِ إِلَّا بُرْدَةٌ لَهُ مَرْقُوعَةٌ بِفَرَو» (رواه أبو يعلى).

والمتدبر بعقله هنا حين تكون الرقعة من نفس الثوب فيكون أهون فى
الأمر من أن تكون مرقوعة بقماش غريب عن الثوب، فهذا دلالة على الفقر
والعوز والشدة إلى آخر ذلك... فَلَمَّا رَأَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَكَى لِلَّذِى كَانَ فِيهِ مِنَ
النِّعْمَةِ وَالَّذِى هُوَ الْيَوْمَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «كَيْفَ بِكُمْ إِذَا عَدَا أَحَدُكُمْ
فِي حُلَّةٍ، وَرَاحَ فِي حُلَّةٍ وَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ صَحْفَةٌ وَرُفِعَتْ أُخْرَى، وَسَتَرْتُمْ
بُيُوتَكُمْ كَمَا تُسْتَرُّ الْكَعْبَةُ؟!» (رواه الترمذى)، هذه مظاهر النعيم وزيادة الترف،
يعنى الستائر التى فوق الحوائط، والحلة هى هيئة من اللبس متكاملة؛ أى زى
متكامل، والصفحة أيضًا طعام للغداء وطعام للسهرة إلى آخر ذلك..

قالت الصحابة: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَحْنُ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِنَّا الْيَوْمَ نَتَقَرَّغُ لِلْعِبَادَةِ
وَنُكْفَى الْمَوْتَةَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَأَنْتُمْ الْيَوْمَ خَيْرٌ مِنْكُمْ يَوْمَئِذٍ» (رواه
الترمذى)، لماذا؟ لأنكم تنافستم فى الدنيا وانشغلتم بها عن الطاعة وعن تقوى
الله ﷻ.

فالمشكلة إذن أن يكون الترف هو المقصد فى حياة الأمة، فهذه مفسدة عظيمة، يعنى حين تتحول الوسيلة إلى غاية، هذه مفسدة لأى أمة، ومعلوم أن الترف من أقوى العوامل على أية أمة، فقد يؤدى إلى إهلاكها: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَوْمًا أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَرْنَاهَا تَدْمِيرًا ۝﴾ [الإسراء]، أقرب الناس إلى المعصية هم أهل الترف العالى جداً.

ومن هنا نرى أن نبوءات النبى ﷺ قد تحققت، فها نحن بأعيننا نرى هذا الترف الزائد والتلهى به عن طاعة الله ﷻ، وأصبحت الأولوية الأولى فى حياة الأعم الأغلب من الناس هى وسائل الترف، وكيف يتحصلون عليها، وصارت فى مؤخرة المؤخرات تقوى الله والصلاة والزكاة والصيام وإعانة الفقراء ونحو ذلك، إلا من رحم ربه، وتحققت نبوءة نبينا الهادى، فهذه شواهد حق ودلائل صدق على صدق نبوة نبينا ﷺ، فأين منه العقلاء؟ وأين منه المنصفون؟

○ هل امتدت نبوءات نبيكم إلى زمن التابعين ومن بعدهم، فقد يكون من السهل عليه أن يتنبأ بما يعايشه فى زمنه أو بعده بقليل؟

عزیزى...

نعم، هناك نبوءات تحققت فى عصر التابعين، وشاهدها من بقى من الصحابة.

• نبوءة أويس القرنى:

فقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه، عن أويس القرنى، وكان من أهل اليمن وكان باراً بأمه، حيث قال النبى ﷺ: «إِنَّ رَجُلًا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَنِ يُقَالُ لَهُ أُوَيْسٌ لَا يَدْعُ بِالْيَمَنِ غَيْرَ أُمٍّ لَهُ: قَدْ كَانَ بِهِ بَيَاضٌ فَدَعَا اللَّهَ فَأَذْهَبَهُ عَنْهُ إِلَّا مَوْضِعَ الدِّينَارِ أَوْ الدَّرْهَمِ، فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ فَلْيَسْتَغْفِرْ لَكُمْ» (رواه مسلم).

وكان سيدنا عمر رضي الله عنه يسأل أمداد اليمن وأفواج الحبيج فى كل عام: هل فيكم أويس؟ ويعطى الأوصاف التى بينها رسول الله ﷺ عن هذا الرجل: أنه كان به بياض فشفاه الله منه إلا موضع درهم، وأنه بارٌّ بأمه، وأنه رجلٌ فقير ليس له باليمن لا تجارة ولا أرض ولا شىء من دنيا الناس إلا هذه الأم المسكينة التى تركها هناك، حتى جاء العام الذى التقى فيه سيدنا عمر أويساً وسأله أن يستغفر له، ودُهِش سيدنا أويس لأنه لم ير سيدنا محمداً ﷺ، فقد كان من التابعين الذين رأوا الصحابة، فقال له عمر: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ هو الذى أوصانا بذلك.

ومن لطائف القول فى ذلك أن سيدنا عمر لما أراد أن يعتنى به وبشخصه وقال له: أين تريد أن تذهب بعد الحج؟ قال له أن أذهب إلى الكوفة، قال: ألا أكتب إلى عاملها (أى: أميرها) كى يعتنى بك؟ قال: لا، ولكن اجعلنى فى غرباء الناس، هكذا أهل الإخلاص يكون أمرهم على الاستخفاء، الشاهد فى هذا أنه قد تحققت نبوءة نبينا الهادى ﷺ بشأن أويس فى زمن التابعين.

• نبوءات النبى ﷺ عبر الزمن:

وهناك الكثير من النبوءات التى تحققت فى عصر التابعين، وهنالك امتداد للنبوءات على مر الزمان، وهناك نبوءات تتحقق فى عصرنا الذى نعيشه، كما سبق وأن بينّا، وهناك نبوءات لم تتحقق بعد، وهى من علامات الساعة التى أخبر بها حبیبنا النبى ﷺ.

والشاهد هنا هو أنه على المؤمن العاقل أن يتبين أن الأسباب لا يمكن أن تُفضى إلى هذه الحقائق وإلى هذه الوقائع، وهذه ليست نبوءة واحدة ولا نبوءتين ولا عشر نبوءات، إنما قرابة المئتين من النبوءات النبوية شاهد حق وصدق لهذا النبى أنه نبى مرسل من ربه، وهو نبى حقًّا، وأن القرآن حق، وأن السنة حق، وأن الدين حق.

وهذه شواهد حق وبراهين صدق لأصحاب العقول المنصفة، أما ما يفتره الخصوم من الأكاذيب لا تصلح حجة، والتهم لا تصلح أن تكون دليلاً، إنما الدليل يكون بحقائق الأمور، هذه هى عظمة ذلك النبى الخاتم..

○ إذا كان الله يدافع عن نبيكم كما تقولون ، فلماذا تتكرر الإساءات له ؟!

ولماذا تردون على هذه الإساءات ؟!

• الرد العلمى على الإساءة المتكررة لرسول الله ﷺ :

عزیزی...

هذه الردود العلمية على محاولات الإساءة والافتراء والتضليل من الآخر في حق سيدنا رسول الله ﷺ؛ لبيان الحقائق ولبیان قدر هذا النبی الكريم، ونحن نحب الخير لهذا الذى يفترى علينا، بأن يرجع إلى صوابه وإلى الحق، فالحق أحق أن يتبع، نريد أن نقف مع العقلاء؛ لأن العقلاء على الكوكب الأرضى كله حريصون على معرفة المعلومة الحقيقية بعيداً عن صناعة الزيف وبعيداً عن الضلال الذى أصبح يُنسج بخبرة عالية ومكر بالغ من مؤسسات ومن هيئات أصبحت متخصصة في هذا الزمان في صناعة الزيف.

• لا ندافع ولا نهاجم:

لهذا نحن نفتح هذا الملف لا لندافع؛ فنبينا ﷺ ليست به منقصة حتى نُدافع عنه، ونحن أيضاً لا نهاجم أحداً؛ لأن نبينا من بعثه الله ليُتمم مكارم الأخلاق ووصفه ربه بأنه على خلق عظيم، علّمنا حُسن الخُلُق، لا ندافع ولا نهاجم، إذاً فماذا نصنع؟ نُبين الحقائق كما علّمنا ربنا في القرآن الرّدّ الجميل بحكمة، فالذى يملك الحق والحجة لا يحتاج إلى أن يفعل، ولا يحتاج إلى الهجوم، ولا يحتاج إلى أن يدخل في دائرة الزيف والباطل ليحافظ على الحق.

• يا عزيزى.. متى بدأ الهجوم على نبيينا الهادى ﷺ؟

لو تدبّر العقلاء، وتدبّر علماء التاريخ حياة سيدنا رسول الله ﷺ منذ النشأة ومراحل الصبا والشباب، وكيف كان حاله بين أهله، لوقفنا على جملة من الحقائق بحال النبي ﷺ قبل البعثة.

ف نجد أن النبي ﷺ قبل البعثة كان محبوباً بين أهل مكة، وكان يُلقب بالصادق الأمين بين قومه، كانوا يحفظون ودائعهم وأموالهم عنده ﷺ، كانوا يحتكمون إليه إذا ما نشبت بينهم خلافات أو صراعات، كما حدث في إعادة بناء الكعبة واختلافهم على من يضع الحجر الأسود، فاحتكموا إلى رسول الله ﷺ.

رسول الله ﷺ كان حديثه عذبا على كل لسان، كان محمود السيرة بين القوم، فلما أوحى الله إلى النبي وكلفه بالرسالة ظلت الدعوة سرّاً ثلاث سنوات، ثم أمر الله نبيه بأن يجرى بالدعوة: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾ (٩٤) [الحجر]، من هنا ومن هذه اللحظة بدأت المواجهة.

• لماذا كل هذا العداء للنبي ﷺ؟

لم تكن المواجهة لشخص رسول الله ﷺ بقدر ما كانت للدعوة التى حملها رسول الله ﷺ، لماذا؟

لأنه جاء بعكس ما هم عليه، فهم يحبون الخمر، ويحبون الربا، ويحبون الجوارى، ويحبون العبيد، والإسلام يريد للإنسان الكرامة والحرية، الإسلام

يتعاطف مع الفقراء، فجاء بالزكاة، وجاء بالصدقة، وجاء ليُعيد التوازن، توازن الحقوق المادية المختلفة والمختلة فى هذا المجتمع، فبدأ أصحاب المصالح فى هذا المجتمع يواجهون رسول الله ﷺ، ومن هنا بدأت الحرب من هذه اللحظة، وكان النبى فى أمان ربه وضمانه وحفظه، قال تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾ [الحجر].

وهنا سؤال مستحق :

ما معنى قول الله ﷻ: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾، ونسمع إلى وقتنا هذا الآن من يستهزئ ومن يحاول أن يستهزئ، هو يحاول، لكن لا تفلح هذه المحاولات، ولن تنال من سيدنا النبى، ولا ينجح فى مقصده، بل تتحقق بهذه الإساءات عكس ما أراد، فحينما انتشرت بعض هذه الإساءات فى الآونة الأخيرة كان بسببها أن استيقظت الأمة لتُعيد علاقتها بسنة رسول الله وبحب سيدنا رسول الله، وأيقظت الآخر أن يقرأ عن حقيقة ذلك النبى، فلما عرفه حقاً آمن به، أو على الأقل أنصفه، أو ازداد له احتراماً وتقديراً.

فهذه الحرب عادت عليهم ولم تنل من رسول الله ﷺ من قريب أو من بعيد، وهذا هو المعنى الممتد لقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ﴾.

• تعدد وسائل المشركين لصد النبى عن دعوته :

نبينا الهادى ﷺ لما أمره ربه أن يصدع بما أمره به من الجهر بالدعوة إلى الله ﷻ، تبدلت أحوال أهل مكة، فبعد أن كان مشهوراً بينهم معروفاً

بالصادق الأمين، ويحفظون عنده الودائع، ويحكمون إليه فيما نشب بينهم من خلافات وصراعات، تحولت العلاقة إلى صور أخرى، صورة العداء تارة، وصورة الإغراء تارة أخرى، وأخذت أشكالاً مختلفة، فبدؤوا معه أولاً بالتشكيك، ثم بالتشويش، ثم بالمساومة وبالإغراء، جاء الذين لهم فكر في السيطرة على عقول الناس وقالوا: نعرض عليه، إن كان له قصد الملك ملكناه، وإن كان قصده مآلاً جعلناه أكثرنا مآلاً، وإن كان الذي به شيء من الجن عالجناه، نريد أن نرى حقيقة هذا الرجل.. وفي ظنهم أنهم يدافعون عن مجدهم وعن قبيلتهم وعن مصالحهم.

• درس الثبات في مواجهة الباطل:

رسول الله ﷺ يعلمنا ألا ننفع.. ألا نفقد صوابنا أمام الباطل أبداً، وحين يحاول الباطل أن يتخذ ثوب الحكمة وثوب العقل، ينبغي أن يكون حامل لواء الحق أكثر حكمةً، وذكاءً وعقلاً، وأن يملك الحجة.

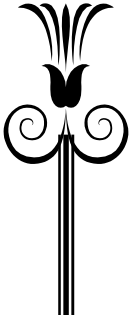
لما أرسلوا إلى النبي ﷺ عتبة بن ربيعة، وقال له قولته المشهورة وعرضوا عليه ما ذكرنا.. فما زاد النبي ﷺ إلا أن قال له كلاماً ينبغي أن نتعلمه منه.. قال له: «أقد فرغت يا أبا الوليد؟!». قال: نعم.. قال له النبي ﷺ: اسمع مني.. انظر إلى قيم هذا الحوار.. سمع من الآخر حتى أتم كلامه مع أنه لا يوافق على حرف من هذا الكلام، ثم قال له: أفرغت؟! قال: نعم، قال اسمع مني.. ما قال له النبي ﷺ كلاماً عادياً، ولكنه استعان بكلام الخالق سبحانه.

لأن كلام الخالق ﷺ فيه قوة الهداية فهو محمّلٌ بالهدايات الربانية، له سرٌّ فى القلوب والعقول، فبدأ رسول الله ﷺ يقرأ عليه آيات من القرآن، من سورة فُصِّلَتْ، ثم قال له ﷺ: «سمعتَ يا أبا الوليد؟» قال: سمعتُ... وبعدها انصرف عُتْبَةُ إلى قومه قائلاً لهم: «والله، لقد سمعتُ قولاً ما سمعتُ مثله قط.. والله، ما هو بالشَّعر ولا السحر ولا الكهانة». وهذه نصرة لرسول الله ﷺ، جاءت عن طريق الحوار العقلى، ثم انتهى إلى الحوار الإيمانى بالقرآن، والمعنى أن هذه الحيلة من المشركين لم تُفلح، وكانت عندهم خطة شيطانية بديلة وهى التعجيز، فسألوه: إذا كنت نبياً حقاً، فلتأتنا بخبر كيت.. وكيت.. كما أخبرهم علماء وأحبار اليهود لما ذهبوا إليهم يطلبون الحجة التى يواجهون بها محمداً ﷺ، فقالوا لهم: سلوه عن الروح؟ وسلوه عن فتية فى أول الدهر؟ وسلوه عن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها؟

وذهبوا وسألوا رسول الله ﷺ، وقال النبى ﷺ: غداً الإجابة، ولم يستثنِ؛ أى لم يقل: إن شاء الله، وتأخر الوحي عن الغد الذى وعدهم به رسول الله ﷺ، وشاعت أقوال بين أهل مكة أنه ليس نبياً، حتى جاء الوحي ليؤكد لهم أن الأمر ليس من عند محمد؛ لأنه لو كان الأمر من عنده لرد وقتما يريد، فالأمر ليس من عند نفسه ولا من عقله، وإنما الأمر هو من وحى الله سبحانه، وجاء الوحي بالإجابات اليقينية التى تقطع كل شك، فأخبرهم عن أهل الكهف بأنهم فتية فى أول الدهر آمنوا بربهم... إلخ، وأخبرهم عن الرجل الذى بلغ مشارق الأرض

ومغاربها أنه ذو القرنين، وأن الله مكن له في الأرض وآتاه من كل شيء سبباً،
وعن الروح ﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا
قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]، وانتصر الحق بوحى الله ﷻ.

فليكن لنا أسوة في رسول الله ﷺ ونحن في الحروب الفكرية المعاصرة.. ألا
ننفع، وألا نواجه سباً بسب أو شتماً بستم، وألا نُستفز، بل يكون منا الثبات،
والتمكن من الحجة بالدليل العقلي والدليل العلمى، والتضرع إلى الله تعالى.



(٦)

الطعن في السنة والرواة



○ لماذا لا نكتفى بالقرآن عن السنة، وقد اختلط فيها الصحيح بالموضوع

بالضعيف بالمنكر؟

• عزیزی... إن القول بالاكْتفاء بالقرآن الكريم دون الحاجة إلى السنة النبوية ناشئ عن قلة علم أو إساءة مقصودة من الخصوم، وهذا ما تنبأ به النبي ﷺ إذ قال: «لَا أَلْفَيْنَ أَحَدَكُمْ مُتَّكِئًا عَلَى أَرِيكَتِهِ يَأْتِيهِ الْأَمْرُ مِنْ أَمْرِي بِمَا أَمَرْتُ بِهِ أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ فَيَقُولُ لَا نَذْرِي مَا وَجَدْنَا فِي كِتَابِ اللَّهِ اتَّبَعْنَاهُ» (رواه أبو داود، وأحمد).

• عزیزی... القرآن الكريم هو الذي أمرنا أن نأخذ بالسنة، فاتباع السنة أمر قرآني:

- ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ

الْعِقَابِ ﴿٧﴾ [الحشر].

- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِيَ الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَزَعْتُمْ فِي

شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ

تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ [النساء].

- ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا

يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ [النساء].

- ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ ۖ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ

حَفِظًا ۚ﴾ (النساء).

فهذه آيات صريحة واضحة قاطعة في الأمر باتباع الرسول فيما يقول ويفعل من أمور الدين، وفيما يشرح ويبين به نصوص القرآن، وبأن نطيع الرسول كما نطيع القرآن، وبأن نجعل من كلامه ﷺ بياناً لما استغلق علينا من كلامه تعالى.

• السنة مبينة للقرآن:

والسنة النبوية لها دور أساسي في بيان القرآن، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ

الذِّكْرَ لَتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (النحل).

والبيان نوعان:

أ- **البيان بالقول:** مثال ذلك تفسير النبي ﷺ الظلم بالشرك في قوله

تعالى: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَٰئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (٨٢)

[الأنعام].. وكما فسر النبي ﷺ الحساب اليسير بالعرض على الله تعالى في قوله

تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَتَبَهُ بِإِيمَانِهِ ۖ فَسَوْفَ يَحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ (٨) [الانشقاق].

ب- **البيان بالفعل:** كما في الصلاة، في قوله ﷺ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّيْ»

(رواه البخاري).. وكما في الحج، قوله ﷺ: «خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ» (رواه مسلم).

- كما أن السنة استقلت بذكر بعض التشريعات التي لم ترد في القرآن؛ كما في

تحريم الجمع بين المرأة وعمتها أو خالتها.

- ولولا السنة ما كُنَّا سنعرف عدد ركعات الصلاة وما يُقال فيها، وكيفية أدائها، والزكاة ونصابها، والحج ومناسكه، وغير ذلك من فروض ديننا التى وردت إجمالاً فى كتاب الله، فعرفناها عبر السنة المطهرة.. الشارحة.. المفصلة.. والموضحة لكتاب ربنا، الذى قال عن نبيه ورسوله ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم].

○ لقد تساهل الصحابة في رواية السنة بالمعنى مما أدى إلى تحريفها، فلم

الأخذ بها؟

عزیزی.. إليك هذه الحقائق التي تنفي هذه التهمة عن الصحابة:

١- النبي ﷺ حض أصحابه على أمانة التبليغ وعلى الرواية عنه باللفظ:

- «نَصَرَ اللَّهُ أَمْرًا سَمِعَ مَقَالَتِي فَوَعَاها وَحَفِظَهَا وَبَلَّغَهَا، فَرُبَّ حَامِلٍ فِيهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ» (رواه الترمذی).

- عن البراء بن عازب قال: قال النبي ﷺ: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ، فَتَوَضَّأْ وَضُوءَكَ لِلصَّلَاةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الْأَيْمَنِ، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مِتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ، فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ».

قال البراء: فَرَدَّدْتُهَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا بَلَغْتُ: اللَّهُمَّ آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، قُلْتُ: وَرَسُولِكَ، قَالَ ﷺ: لَا، وَنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ» (متفق عليه).

٢- حرص الصحابة ﷺ على رواية الحديث باللفظ:

روى عن عمر رضي الله عنه أنه كان يقول: «مَنْ سَمِعَ حَدِيثًا فَحَدَّثَ بِهِ كَمَا سَمِعَ، فَقَدْ سَلِمَ» (رواه الخطيب في الكفاية، وابن رجب في جامع بيان العلم وفضله)، وروى عن

على ﷺ قال: «تَذَاكُرُوا الْحَدِيثَ، فَإِنَّ مُذَاكَرَةَ الْحَدِيثِ تُهَيِّجُ الْحَدِيثَ» (رواه الحاكم).

٣- قدرة الصحابة على الحفظ؛ حيث إن انتقال العلم عند العرب كان يعتمد على الرواية الشفوية.

٤- حب الصحابة للنبي وتضحياتهم فداء له ﷺ، مما يستحيل معه تصور تراخيهم أو إهمالهم لرواية كلامه بما تقتضيه الأمانة من جانب وما يفرض عليهم حبهم له ﷺ.

٥- النبي ﷺ أوتى جوامع الكلم وكان كلامه قليلاً، وكان يكرر كلامه، ويتكلم بتؤدة، وكلامه يعبر عن حقائق، وكل ذلك يعين على حفظ كلامه ﷺ بسهولة ويسر.

٦- ما وقع من رواية الحديث بالمعنى استثناء وليس الأصل، ووضع لها العلماء شروطاً شديدة يؤمن معها تغير المعنى، ما هى:

- أن يكون الراوى عالماً باللغة ولهجات العرب وقواعد المعنى والبيان.
- ألا يكون الحديث مما يتعبد بلفظه مثل: (التشهد، والشهادة، والإقامة، والدعاء... إلخ).

- أن يضطر الراوى إلى ذلك.

- أن يبين الراوى ذلك (بمعنى أن يقول: إن هذا هو معنى قول النبي ﷺ).

- أن يكون عالماً بما يحيل المعنى وما لا يحيله.

٧- أسباب اختلاف بعض الألفاظ فى الأحاديث ليس مرده الرواية بالمعنى، وإنما من أسباب أن النبى ﷺ كان يلقى الأحاديث بما يقتضيه الحال والسياق الذى قيل فيه، تمامًا مثل ورود القصة فى القرآن بأكثر من صيغة فى أكثر من موضع.

أيضًا ما كان من الإخبار عن فعل النبى ﷺ بلفظ الصحابى كان محمل تنوع، فكل واحد يروى بلفظه ما يراه.

٨- شهادة الخصوم بعلم الحديث ودقته.. ومن ذلك على سبيل المثال ما قاله المستشرق «مرجليوث»: (وليفخر المسلمون بعلم حديثهم ما شاؤوا).

○ (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة). هذا حديث قاله رسولكم.. إذن أمريكا على حق وأنتم على باطل.. هذا كلام نبيكم الذي تؤمنون به!!! طبعاً ستقول لى الحديث ضعيف.. لا، الحديث رواه مسلم، ولا تستطيع إنكاره.

عزیزی...

أولاً: الحديث لا أنكره وهو صحيح وأخرجه مسلم في صحيحه عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

ثانياً: ولكن هنا قضية مهمة يا عزیزی.. عدم علمك بقواعد اللغة العربية وقواعد المعنى، جعلك تتسرع في الفهم.. يا عزیزی لن أخترع لك إجابة، بل إن المتأمل لأقوال شراح حديث: «لَا يَزَالُ أَهْلُ الْغَرْبِ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ» (رواه مسلم).. يجد أنهم قد ذكروا - من ضمن أقوالهم في شرح الحديث - أن (أهل الغرب) تكون بمعنى:

١ - أهل الجلد والشدة. ٢ - المخصوصون بالجهاد.

٣ - أهل العلم. ٤ - الغربية.

وكلمة (الغرب)، جاءت في قولهم: «أَتَاهُ سَهْمٌ غَرْبٌ»، إِذَا لَمْ يُدْرَ مَنْ رَمَاهُ بِهِ.. أى: أنه سهم غريب لا يدري من رماه.. (انظر: لسان العرب: غ رب).

لذا فكلمة (الغرب) تأتي بمعنى الغُرْبَة، وهى: «الْبُعْدُ عَنِ الْوَطَنِ، يُقَالُ: غَرَبَتِ الدَّارُ.. وَمِنْ هَذَا الْبَابِ: غُرُوبُ الشَّمْسِ، كَأَنَّهُ بُعِدَهَا عَنِ

وَجْهِ الْأَرْضِ».. (انظر: لسان العرب: غ ر ب).

• ونستخلص من ذلك أن قوله ﷺ (أهل الغرب) يعنى: أهل الغربية؛ وهم النادرون بين الناس.. أى: الذين يتمسكون بالحق وهم قلة، فهم غرباء بين الناس.

ويؤيد ذلك قوله ﷺ فى حديث مماثل: «وَلَا تَزَالُ عِصَابَةُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ عَلَى مَنْ نَاوَأَهُمْ، إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ» (رواه مسلم).. أى: أن هؤلاء ظاهرون على الحق؛ أى: أنهم غالبون وقاهرون لعدوهم، وهم على الحق حتى تقوم القيامة.

وكذلك قوله ﷺ: «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ» (رواه مسلم).

أى: أن هؤلاء الغرباء أيضًا هم أهل الحق الذين بهم بدأ الإسلام وبهم سينتهى، فهم - وإن قل عددهم - على الحق رغم كثرة الأعداء الذين يحيطون بهم من كل حذب وصوب، فهم أهل الجلد والشدة وهم الصابرون المجاهدون.

ونخلص من هذا إلى القول بوجود ارتباط بين الحديثين، فالغرباء من هم (أهل الغرب) على الحق، وهم أهل الصبر وأهل الجلد المتمسكون بهدى الدين فى زمن شيوع الفكر المادى... والله ربى أجل وأعلم.

○ جاء عن نبيكم أنه قال: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وكان إبليس يعبد الله مع الملائكة أول أمره، فمن المؤكد أنه قالها مرات كثيرة، فكيف يكون مصيره الخلود فى النار رغم قوله لا إله إلا الله؟

عزیزى...

العبرة بالخواتيم... وخاتمة إبليس كانت التمرد والتعالى والتكبر وتعظيم الـ (أنا).. أمام الإله الخالق.. ولم يستفد إبليس بالفرصة حين نبهه الله أن التعظيم هنا ليس للمخلوق ولا للمادة التى خلقه الله منها.. وإنما التعظيم للخالق بتعظيم أمره.. وعدم التمرد عليه: ﴿قَالَ يَتْلِيَإِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر]، لكن إبليس تمرد وتكبر ﴿قَالَ لَمْ أَكُنْ لَأَسْجُدْ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ، مِنْ صَلَاصَلِّ مِنْ حَمَلٍ مَسْنُونٍ﴾ [الحجر].. فاستحق الطرد واللعن.. ومعنى حديث النبى ﷺ الذى ذكرته هو: أن من قالها ومات عليها؛ أى ختم له بها..

ومن حديث النبى أيضاً قوله: «مَنْ كَانَ آخِرُ كَلَامِهِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ» (رواه أبو داود، وأحمد).. حيث الحكم فى أى مسألة يكون بمجموع النصوص (قرآن وسنة) التى وردت فى الموضوع للإحاطة بكل جوانبه وسياق كل نص ودلالته..

اللهم فقهنا وعلمنا الحق والصواب.

○ الزعم بأن نسبة صحيح الجامع إلى البخارى بصورته الحالية غير صحيحة!!

عزیزى ...

إن كتاب الجامع الصحيح بصورته النهائية تؤكد كل الشواهد والأدلة أنه من تأليف البخارى وليس من تأليف غيره.

• لكن ما المسألة.. ومن أين جاء اللبس؟

• البخارى يتبع منهجاً علمياً تشير إليه المناهج الحديثة الآن:

نحن الآن فى المجمع اللغوية، فى الأقسام العلمية المختلفة، حتى على المستوى الفردى حين نؤلف كتاباً فى قضية جديدة، نعدُّ ما يمكن أن يسمى بالنسخة التجريبية، ثم بعد ذلك أعرض هذه النسخة على الأستاذ أحمد والأستاذ على والأساتذة الأفاضل فى هذا التخصص؛ كى أرى ميزان هذا الإنتاج علمياً، كلُّ فى مجاله، ثم نعقد جلسة نقاشية ثم نستدرك هذه المسائل، ثم نخرج بها بعد ذلك على الناس، الكتاب منى، والتأليف منى، والاستدراك منى، وكل شىء منى، لكن العرض على علماء التخصص هذه سمة علمية يأخذ بها العلم الحديث، وهذا ما صنعه البخارى بعدما هدَّب كتابه ونقحه، فقد عرضه على الأئمة الأجلاء: أحمد بن حنبل، يحيى بن معين، وغيرهما، فاستحسنوه وشهدوا له بالصحة.

والإمام البخارى نفسه أكد أنه أتم صحيحه قبل موته وهذبه أكثر من مرة،

أوصانا علماءنا السابقون - رحمهم الله - أن الإنسان حين يؤلف كتاباً عليه أن يترك هذا الكتاب أو هذا المؤلف بعيداً عنه أسبوعاً.. شهراً، ثم يعود إليه مرة أخرى مجدداً لينقح ويدقق، وهذا أمر قد استفاده العلماء من البخارى ومن سلف الأمة.

وهذه كانت سمة من السمات العلمية المبكرة عند سلف الأمة، وكانت عند الإمام البخاري، فيقول: صنفت جميع كتبي ثلاث مرات، يعنى راجعها ودققها مرة ومرتين وثلاث مرات.

فكيف يقول أهل الافتراء والهوى، بأن كتابه لم يكتمل في صورته النهائية إلا بعد موته؟! وقد أقرَّ صاحب الشأن بأنه راجع ذلك المصنف ثلاث مرات في حياته.

بالإضافة إلى ذلك أنه قد اشتهر بين أهل العلم أن البخارى لم يمت إلا بعد أن حدّث بصحيحه كثيراً من تلامذته، يعنى كان يُدرّس هذه الأحاديث وهذا الصحيح، وأنهم تسابقوا في كتابة أصله حتى وصل إلينا كما تركه.

وليس أدل على تنقيحه وتهذيبه له من قوله: جمعت كتابي هذا من ستائة ألف حديث، فكان أى حديث تثور عنه شبهة ولو ضئيلة للغاية كان يتركه، أو حتى درجة الصحة غير مكتملة بالمعايير التى كان يأخذ بها، ما كان يكتبه فى صحيحه الجامع.

• ترتيب أبواب الكتاب يشهد بعظمة الكتاب:

وإذا نظرنا إلى طريقة ترتيب أبواب الكتاب وفصوله لتأكد لنا أن الغرض

الأساسى من تصنيف الجامع الصحيح هو انتخاب جملة من الأحاديث التى أجمع عليها المحدثون فى فروع الإسلام المختلفة، وكذلك استنباط المسائل الفقهية واستخراج النكت العلمية الحكيمة واللطائف؛ لذا كان لهذا الترتيب حكمة..

فالإمام البخارى بدأ كتابه بقوله: كيف بدأ الوحى؟ وهذه مسألة مهمة فى العقيدة وفى التلقى عند الأمة.. بعد ذلك كيف قامت الشرائع والرسالات وأساس الإيمان.. ثم بعد ذلك ابتداء بالصلاة وبوبها، وهكذا.. وأنت تجد الأئمة السابقين مثلاً يقدمون باباً ما على آخر، أولاً أبواب الإيمان، ثم تأتى أبواب العبادات، ثم تأتى أبواب الأخلاق، وهذا من أجل أن تكون دليلاً للأمة.

الذين أثاروا هذا التساؤل لم ينتبهوا إلى المقاصد الدقيقة والفوائد الجمّة التى ضمنها الإمام البخارى فى كتابه، فتوهموا وظنوا أنه ترك الكتاب بلا تبييض أو هذه كانت مسودة، والحق أنه دقق وراجع ونقح.

والإنسان لا ييؤب المسائل إلا بعد الانتهاء منها والانتهاء من صحتها وتدقيقها.. إلى آخر ذلك، كل ذلك يشهد له، والأئمة السابقون ما قال أحد منهم من أهل علم الحديث بشىء من هذا، بل كل منهم يثنى على هذا الإمام وعلى هذا الكتاب، فمن أين أتى هؤلاء بهذه الفرية؟!!

يعنى أناس ينسبون التهم هؤلاء العظماء ولا دليل لهم، فلم أسمع لهذا أو

لذلك - مع احترامى للجميع - دليلاً علمياً، ولم أسمع حجة عقلية، ولم أسمع شيئاً من ذلك، إنما هى شبهات من كلام الدخلاء والهواجس والوساوس وفعل الهوى وقلة العلم.

وكل هذا لا يصلح أن يكون حجة ولا يصلح أن يكون دليلاً.

وما يعقلها إلا العالمون..

وسبحان الله الخلاق العظيم..

والله ربى أجل وأعلم..

○ هل كان البخارى يهتم فقط بالإسناد دون المتن؟

عزیزى...

بداية وقبل أى شىء، فإننا لو نظرنا إلى تعريف علم الحديث - وعلم الحديث يعنى السند والمتن معاً - لوجدنا أن علماء الحديث قد عرفوه بأنه: قواعد وقوانين يُعرف بها حال السند والمتن من حيث القبول والرد. وهذا يعنى أن اهتمام العلماء كان منصباً على السند والمتن معاً، لا سيما وأن موضوعهما واحد، وهو قول النبى ﷺ، وهذا أمر مجمع عليه من قبل علماء الحديث.

• فآين إذا نظرة المحدثين للسند دون المتن؟

إن موضوع علم الحديث هو السند والمتن معاً، وثمرته معرفة الحديث الصحيح من غيره، ولم نرَ أحداً من أهل الحديث قال: إنه علم بأحوال السند فقط، وثمرته معرفة السند الصحيح فقط.

ولهذا نرى أن علماء الحديث وضعوا قاعدة واتفقوا عليها، وهى أنه قد يصح السند ولا يصح المتن؛ لشذوذ أو علة، وقد يصح المتن ولا يصح السند؛ لورود دلائل على صحة المتن من طرق أخرى.

نأتى للإمام البخارى، فالقول بأنه كان يهتم بالسند فقط - سلسلة الرواة - ولا يهتم بالمتن؛ أى النص المنقول عن سيدنا محمد ﷺ فى الكلام، فهذا ليس

صحيحًا، ونحن سوف نأخذ معيار العلم فى ذلك، فالإمام البخارى اهتم بالإسناد والمتن معًا، وليس أدل على ذلك من أن البخارى وغيره من المحدثين اهتموا بالمتن لدرجة أنهم وضعوا علامات تبين الوضع فى الأحاديث، مثل مخالفة العقل السليم والمشاهدة والحس مع عدم إمكان تأويله تأويلًا محتملاً، كما ردُّوا من الأحاديث ما يخالف القرآن أو السنة الصحيحة أو التاريخ مع تعذر دور التوثيق، وهكذا مما هو مذكور فى كتب أصول الحديث.

يعنى لم يكن الواحد منهم كحاطب ليل، وإنما كان هناك وعى وتعقل وإدراك.

وإذا تعارض معنى الحديث مع معنى آية من الآيات ما كانوا يأخذون ذلك الحديث، فكان الأمر يتم بعلم، هذا بالإضافة إلى أن البخارى اشترط أن يخرج الحديث المجمع على صحته عمن نقلوه عن الصحابى المشهور من غير اختلاف بين الثقات فى الإسناد، وأن يكون السند متصلًا غير مقطوع، وأن يكون الراوى ثقة صادقًا غير مضلل.

• شروط الراوى:

وهذا يعنى - باختصار - أنهم كان عندهم شرطان للراوى: شرط الكفاءة، وهو أن يكون حافظًا ماهرًا لا ينسى.. إلى آخر ذلك.. وشرط الأمانة، وهو أن يكون أمينًا لا يكذب، متصفًا بالعدالة والضبط، سليم الذهن، قليل الوهم، سليم الاعتقاد..

یعنی كانت لهم ضوابط، وكانت لهم معايير، فاشترطوا في الإسناد،
الاتصال بنقل العدول... إلخ.

كما اشترطوا في المتن أن يكون خاليًا من الشذوذ والعلة، إلى آخر ما
اشترطوه..

فالذين يقولون الآن بهذه الفرية، بماذا يدللون عليها؟

• مزاعم حول حديث الذبابة:

يثيرون الشبهات حول حديث الذبابة:

ونقول لهم: نحن نرضى معيار العلم، فهلا سألتهم في المسائل العلمية أهل
العلم ورجعتم إليهم فيها، إن لمسة مفتاح على الكمبيوتر، وتدخل إلى شبكة
المعلومات الدولية (الإنترنت)، وتكتب موقع الإعجاز العلمي للهيئة العالمية
للقرآن والسنة/ رابطة العالم الإسلامي، تجد فيها مئات العلماء من تخصصات
مختلفة، منهم أطباء ومنهم متخصصون في العلوم والأحياء والطبيعة والكيمياء..
إلى آخر ذلك، ومنها أبحاث لغير المسلمين، ونحن نشيد بهذه الحقيقة.

جاء بعضهم وقال لبعض مقدمي البرامج: لو أتيتُ بذبابة، ووضعْتُها في
مياه وقلت لك: هل من الممكن أن تشرب هذا؟ فأنا أتحدّك أن تفعل!!

نقول له: يا عزیزی هذه الأمور تعود إلى نفس الإنسان، من الممكن أن
يشربها ومن الممكن ألا يشربها ولا حرج عليه.

ثم ما هو رأيك في السم الذي في الثعبان؟ يأخذ منه العلماء ترياقًا ويكون سببًا في الشفاء، العلم استخرج من هذا ترياقًا ودواءً يشفى من هذه الأمراض.

• عودوا للعلم:

يا عزیزی... عودوا إلى العلم، نحن في عصر العلم، ودائمًا القرآن ينصر الدليل العلمي، وسيدنا رسول الله ينصر الدليل العلمي، وينصر الخبرة العلمية في كل أحاديثه.. عودوا إلى العلم.. وبالرجوع إلى العلم ستجدون شواهد كثيرة، العلم يشهد لسنة رسول الله أنها حق وأنها صدق.

فكون نفس الإنسان تقبل ذلك أو لا تقبله، هو حر في ذلك وليس ملزمًا أن يأخذ بذلك، لكن النبي يشير إشارة خفية إلى شيء من حقائق العلم، فأهل العلم يدخلون المعمل ويخرجون بالنتائج لنا، فإذا بها متوافقة مع حديث سيدنا رسول الله ﷺ.

العلم يشهد لهذه السنة؛ لذلك أقول للذي قال ذلك: أنا سأضع لك بعض السم في زجاجة وهيا اشرب منه، فهل يقبل أن يشرب من ذلك؟!

يجب أن يكون عندنا تفكير علمي، ويجب ألا يكون الهوى هو الحكم. والإنسان لا يجعل من نفسه أنه هو العاقل، ولا يجعل من نفسه معيارًا للعلم، وإذا كان الناس يتحدثون بالهوى هكذا، فهل هذا معيار للعلم؟!

عودوا إلى أهل الذكر.. أليس منكم رجل رشيد؟!

كذلك من الأمور الواضحة التى نراها جميعاً عملية التطعيم واللقاحات وغيرها.. وما هى إلا أنواع من البكتيريا التى تدخل الجسم لتقاوم نفس المرض الذى تسببه هذه البكتيريا.

فعلى هؤلاء أن يقدموا أدلتهم العلمية بورقتهم البحثية المزعومة ونحن نقبل العلم، لكن إذا كان الكلام عن هوى ولا دليل عليه من العلم فهو هواجس ووساوس.

○ البخاری لم یکن عربیاً ، فکیف یجید الحدیث ویجید صناعة الكلمة وهو لا یفهم معناها جيداً؟

عزیزی...

بكل هدوء وباليقين التام، نود أن نبين الحقائق الآتية:

• إن اختلاف الجنسية واللغة للإمام البخاری، وزعم أنه لا يتقن اللغة العربية لأنها ليست لغته، ادعاء باطل فكيف تكون له هذه الريادة في جمع الحديث وهو لا يتقن العربية؟! والعربية - كما نعلم - برع فيها أناس كثيرون وليسوا عرباً.. لكن ما المسألة؟

لما كان الفتح الإسلامي اتجه المسلمون الجدد الذين دخلوا في دين الله أفواجاً لتعلم لغة الإسلام، لغة القرآن.

ولما كان القرآن الكريم يحثهم على أن يتعلموا، تعلموا، وكل شيء بالتعلم، ففي حاضرتنا هناك من يتعلم أكثر من لغة، فهناك من يتقن سبع لغات في حياتنا المعاصرة ويتحدث بها كأهلها وبطلاقة، وهناك من يُبعث - على كبر سنه - بعثات علمية في إنجلترا للدكتوراه، ويتقن الإنجليزية ويؤلف بها ونحو ذلك، وهذا لا تستغربه العقول المنصفة، والدليل على ذلك: ماذا تقولون في إمام العربية الذي قعد قواعد النحو ووضع الكتاب العمدة في ذلك، وإذا ذكر «الكتاب»، ذكر سيبويه، فماذا تقولون في هذا وهو غير عربي؟! «الكتاب»

إن ما تقولونه هو كلام لا يقبله العقل، ولا يقبله العلم، ولا الواقع الذي نعيشه.

• وقد ثبت أن البخارى كان له باع طويل في اللغة العربية، أتقنها وأحسن فيها، والشواهد والحوارات التي كانت تحدث خير دليل على هذا الأمر، من ذلك ما روى عنه أنه قال لرجل سأله أن يعلمه الحديث قال: يا بني لا تدخل في أمر إلا بعد معرفة حدوده والوقوف على مقاديره، فقال له: عرفني حدود ما قصدت له ومقادير ما سألتك عنه، قال الإمام البخارى: اعلم أن الرجل لا يصير محدثاً كاملاً في حديثه إلا بعد أن يتيقن ويتقن معرفة الكتابة واللغة والصرف والنحو.

من الذى قال ذلك؟.. إنه البخارى نفسه.

إنه يرشد من يريد أن يشتغل بعلم الحديث وجمع الأحاديث أن يتقن علوم اللغة العربية أولاً، ويضاف إلى ذلك أن والده كان من المحدثين أنفسهم، يعنى تربى في بيئة علمية، في بيئة لغوية، تربى في الأحضان اللغوية والمعرفية التي تهيئه لهذه المهمة.

• البخارى طلب العلم فى سن مبكرة:

أولاً: ابتدأ الإمام البخارى في طلبه للعلم وهو في سن مبكرة جداً، وكانت همته في ذلك عالية، ومما يؤكد ذلك ما جاء عن أبى حاتم الوراقى النحوى، حيث قال: قلت لأبى عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى: كيف كان بدء أمرك

فی طلب الحديث، قال: ألهمت حفظ الحديث، وأنا فی الكتاب، قال: كم أتى عليك إذ ذاك من السنین؛ قال: عشر سنین.

قال: ثم خرجت من الكتاب بعد العشر سنین، فجعلت أختلف إلى الداخلی وغيره، ورحل البخاری للمحدثین فی البلاد العربیة، العراق والشام والحجاز ومصر، فزاد تمكنه من العربیة، بسبب وجوده فی بیئة عربیة، وهذا یعنی الممارسة العملية.

كذلك أن تعيش حياة اللغة بین أهل اللغة وتنتقل فی هذه البیئات العربیة ما بین الشام وما بین الحجاز وما بین العراق ومصر.. إلى آخر ذلك، كل ذلك يدل على تمكن الرجل من اللغة العربیة.

ثانیاً: شهد له أهل العربیة وعلماؤها، والشاهد الثقة هنا هم أصحاب هذا الفن، والذین كانوا معاصرين له.

ثالثاً: لم یُتهم هذه التهمة فی العصر الأول، بل أثنى علیه الناس وتلمذوا على یدیه.

إذن الدلیل العلمی هنا يشهد للإمام، والعربیة تشهد للإمام، فعلى أولئك أن یراجعوا أنفسهم.

○ الزعم بأن البخارى بحكم كونه فارسياً كان يضع أحاديث فى تمجيد

العرق الفارسى!!

عزیزى...

دائماً وأبداً أؤكد أن التهم والافتراءات لا تصلح دليلاً، ويحسن بنا أن نعود إلى أهل الذكر، كما أمرنا القرآن فى كل ما يثار ضد المسلمين، وضد النبى، وضد السنة النبوية، وضد أئمة السنة النبوية، وحينئذ سنجد أن زعمهم بأن البخارى كان فارسياً، ولذلك كان ينتصر للفارسية ويضع بعض الأحاديث - هو محض افتراء يكذبه العلم والحقائق والتاريخ.

• الإمام البخارى لم يكن فارسياً :

أولاً: بداية وقبل أى شىء، نشير إلى أن الإمام البخارى لم يكن فارسياً أصلاً، وإنما هو من بخارى من بلاد ما وراء النهر، وعليه فالقول بأن البخارى كان يضع الأحاديث انتقاماً من الإسلام قول غير صحيح نقلاً وعقلاً، وهو أمر يثير الضحك، فلماذا ينتقم البخارى من انتصار الإسلام على إمبراطورية الفرس التى لا ينتمى إليها؟!

• الشعوب أسلمت مختارة :

الأمر الثانى: أن الإسلام لم يقضِ على إمبراطوريات، وإنما أسلم أهلها مختارين، ولهم أموالهم وديارهم، ولا زالت بلاد فارس التى ذكروها لأهلها بشرائها وخيراتها، وحكامها منهم، ومن المعلوم أن هذه البلاد قد عانى أهلها كثيراً

من ظلم حكامها، فلما سمعوا بعدالة الإسلام وعدالة حكامه، لم يقفوا حجر عثرة أمام حركة الفتح الإسلامى، بل رحبوا بالمسلمين وقدموا لهم ألواناً من الدعم حتى يتمكنوا من إتمام فتح تلك البلاد.

• البخارى روى أحاديث فى مدح العرب:

الأمر الثالث: أليس من المعقول أنه لو كان البخارى يضع الأحاديث لهدم الإسلام انتقاماً لقضائه على إمبراطورية الفرس؛ كان سيضع الأحاديث فى مدح الفرس وذم العرب؟!

والأمر ليس كما يتصور هؤلاء، فالبخارى كان يروى الأحاديث كما جاءت عن الرسول ﷺ، ولا يضع شيئاً من عند نفسه، والناظر فى صحيح البخارى يجد أنه روى أحاديث فى مدح العرب، فذكر باباً لمناقب قریش، جاء فيه: «إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ فِي قُرَيْشٍ لَا يُعَادِيهِمْ أَحَدٌ، إِلَّا كَبَّهُ اللَّهُ عَلَى وَجْهِهِ، مَا أَقَامُوا الدِّينَ» (رواه البخارى).

• البخارى أمير المحدثين:

الأمر الرابع: أن الإمام البخارى هو أمير المؤمنين فى الحديث، واعترف علماء الحديث له بذلك قديماً وحديثاً، ولم يقل أحد بهذه الفرية من علماء الحديث.

• البخارى له أسلاف من علماء الحديث:

الأمر الخامس: أن السنة لاقت من العناية والتدوين قبل البخارى شيئاً كثيراً، حتى جاء الإمام البخارى فجمع كتابه صحيح الجامع، والعلماء دائماً

يستفيدون بمن قبلهم، فالعلم حلقة متصلة من جهود السابقين إضافة لما يبذله العلماء الذين أتوا بعدهم، ورسول الله ﷺ علمنا ذلك بأنه هو نفسه لبنة من لبنات البناء الكامل.

ومن هنا كثرت المؤلفات في السنة، وتعددت بين جمع وتدوين وتصنيف، وقد كُتب جانب غير قليل من السنة في عهد النبي وبعد مماته ﷺ قبل عهد البخاري، ومن هنا نجد مؤلفات كثيرة كتبت من الأئمة قبل البخاري وقد جمعها البخاري.

من هنا يتبين لنا فساد القول بأن البخاري من الوضاعين للأحاديث!! ثم هل جاء البخاري بحديث ليس له سند؟!!

بالعكس كل الأحاديث التي جاءت عن فلان.. عن فلان.. عن فلان.. السلسلة تامة وزهنية حتى تنتهي إلى سيدنا رسول الله ﷺ، وكل واحد جاء بذكره البخاري معلوم عند أهل الجرح والتعديل، معلوم وزنه وقدر صدقه وقدر أمانته إلى آخر هذه الأمور...

الأمر السادس: الأحاديث التي جاءت في صحيح البخاري تتعاضد ولا تتنافى أبداً أو تتعارض مع آية من كتاب الله.

والقول بأن أحاديثه تتنافى أو تتعارض مع كتاب الله يُعدُّ افتراءً بعيد المدى لا تنهض له حجة وليس له أى سند ولا دليل.. وهو من قبيل الهواجس، لكن على قدر قيمتك، على قدر ما يُوجَّه إليك من نقض، ودائماً

الإسلام يعلمنا، والنبى يعلمنا، والقرآن يعلمنا أن الإسلام لا يخشى النقد،
وأن الله قد تولى حفظ هذا القرآن، وتولى حفظ السنة التى تبين هذا القرآن.

وما يعقلها إلا العالمون..

وسبحان الله الخلاق العظيم..

والله ربى أجل وأعلم..

○ كيف تأخذون دينكم من البخارى، وقد كان جبرياً فى اعتقاده؟

عزیزى...

بداية أريد أن أخبرك بأن عقيدة الجبر تنافى الإسلام تماماً؛ إذ كيف يجبر الله عباده على الأعمال ثم يحاسبهم عليها ويعذبهم بها.. القول بالجبر يتنافى مع ما شرعه الإسلام من العقوبات والزواج على المذنبين.

الذى يرى القول بالجبر عليه ألا يغضب إذا اعتدى عليه أو على عرضه أو على ماله؛ فإن من فعل به ذلك سوف يقول له: إني كنت مجبراً على ما فعلت، فلا تلمنى، هل يصدق هذا الكلام عاقل؟!

ثم نأتى لقولك بأن البخارى كان جبرياً، لننظر إلى ما قاله الإمام البخارى فى هذا الأمر:

• كلام البخارى ليس فيه دلالة على الجبر:

الإمام البخارى قال فى هذا الأمر ما قاله أئمة أهل السنة، فقد قال فى تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات]، ما خلقت أهل السعادة من الفريقين إلا ليوحدوني، وقال بعضهم: خلقهم ليفعلوا، ففعل بعضٌ وترك بعضٌ، وليس فيه حجة لأهل القدر، فكيف يكون الإمام البخارى جبرياً، ويرد عليهم فى صحيحه، فيقول: وليس فيه حجة لأهل القدر؟!

• مرویات البخاری تؤكد إيمانه بالقدر:

لقد خصص الإمام البخاری كتابًا كاملاً في صحيحه بعنوان القدر، روى فيه أحاديث تفيد إيمانه بالقدر، منها ما رواه عن علي رضي الله عنه، قال: كُنَّا جُلُوسًا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَمَعَهُ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، وَقَالَ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ» فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: أَلَا نَتَكَلَّى يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: لَا، اْعْمَلُوا فِكُلِّ مُيَسَّرٍ. ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (٥) ﴿الْآيَةَ﴾ (متفق عليه).

وهذا الحديث الذي أورده الإمام البخاری في صحيحه يتعارض تماماً مع عقيدة الجبرية الذين لا يؤمنون بعمل، وهذا الحديث يرد عليهم، فالنبي ﷺ قال بعد هذا الحديث لما قالوا له: أَلَا نَتَكَلَّى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قال: لَا اْعْمَلُوا فِكُلِّ مُيَسَّرٍ، ثم قرأ قول الله ﷻ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى﴾ (٥) ﴿وَصَدَقَ بِالْحَقِّ﴾ (٦) ﴿فَسَيَسِّرُهُ لِّلْيُسْرَى﴾ (٧) ﴿وَأَمَّا مَنْ يَخُلْ وَاسْتَفْتَى﴾ (٨) ﴿وَكَذَبَ بِالْحَقِّ﴾ (٩) ﴿فَسَيَسِّرُهُ لِّلْعُسْرَى﴾ (١٠) ﴿[الليل].

إذن هذه هي الأسباب، والأخذ بها هو الذي يصل بالإنسان إلى النتائج.

• مثال توضيحي:

إذن كتابة الله لأعمال الناس كتابة طلاقة علم وقدرة وليست كتابة إلزام وجبر، وكنا دائماً نضرب مثلاً بالأستاذ حين يُقيّم تلاميذه قبل الاختبار والامتحان، فيقول هذا ممتاز وهذا جيد جداً وهذا جيد وهذا راسب، وتأتي النتيجة وفقاً لما قدر الأستاذ.

كذلك البشرية الآن فى مجال علم الأرصاد والأفلاك ونحو ذلك، يأخذون بتوقعاتهم واستطلاعاتهم، فما بالك بالخالق ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [المُلْك].

هذه هى حقيقة المسألة، فالإمام البخارى برىء من هذا الافتراء، أما الذين يزعمون هذا الزعم، فعليهم أن يراجعوا أنفسهم بدلاً من هذا التعسف وهذا التكلف بمنطق العاهات المزمنة، وإلصاق التهم الفارغة بإمام له قدره ومكانته.

• البخارى كفيه من أئمة السنة:

والحقيقة أن الإمام البخارى فى هذا الباب - باب القدر - كفيه من أهل السنة، ولو كان على غير منهج أهل السنة فى القدر لما روى هذه الأحاديث ولتغاضى عنها وأهملها.

لقد كان الإمام البخارى إماماً من أئمة أهل السنة الذين نقلت عن طريقهم السنة النبوية، وهو أصح كتاب بعد كتاب الله ﷻ، فكيف يكون إماماً لأهل السنة ويقر بالجبر، فى حين أن أهل السنة ينفون ذلك؟!!

○ لسنا أول من ينقد البخارى، فلم تُنكرون علينا نقده؟!

عزیزی...

هذا كلام مخالف لحقيقة الأمر، والحق أن نُقَّاد الحديث تدارسوا كتاب صحيح البخارى حديثاً حديثاً، لكن حينما نقدوا الكتاب نظروا إلى المنهج الذى وضعه الإمام البخارى: المعايير.. الضوابط.. الأسس التى يقوم عليها اختيار الحديث وقبوله ليكون فى الجامع الصحيح.

ولنضرب على ذلك مثلاً، وهو أن يأتى طالب يُعدُّ رسالة دكتوراه أو نحو ذلك؛ فيقول: أنا فى رسالتى سوف أتبع المنهج التالى: ١، ٢، ٣، ٤، ١٠... إلخ، وبعد أن يتم إعدادها يراجع وينظر: هل وافق القواعد التى وضعها أم لا؟ والذين انتقدوا البخارى لما قارنوا بين المنهج الذى التزمه والأحاديث التى وضعها فى صحيحه، سألوا أنفسهم: هل هذه الأحاديث صحيحة؟ قالوا: نعم.

هل وافقت ذلك المنهج؟

قالوا: نعم.. وافقت إلا أربعة أحاديث، وهم تكلموا ليس فى ضعفها ولا فى صحتها، لكن فى موافقتها للمنهج، ولو أن الرجل كان معهم ربما يكون له وجهة نظر، وربما كان دليله أقوى من دليلهم، وهذه وجهة نظر ليست للنيل من صحيح البخارى، ولكن هى تقييم لذلك الكتاب، أنه وافق المنهج الذى وضعه

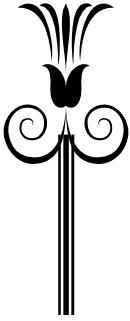
والمعايير والضوابط التى وضعها لاختيار هذه الأحاديث، ولكن جاءت أربعة أحاديث فقط، من أربعة آلاف يعنى بنسبة واحد فى الألف.

وهذه تزكية لذلك الرجل ولهذا العلم.

وما يعقلها إلا العالمون..

وما يذكر إلا أولو الأبواب..

فاعتبروا يا أولى الأبصار..



(٧)

الطعن فى الصحابة



○ لماذا تُقدَّسون للصحابة؟

عزیزی... نحن لا نقدِّس أحدًا من البشر، لكنها الثقة والتبجيل لقدرهم...
ومن أهم أسباب ثقتنا وتبجيلنا للصحابة أن الصحابة كلهم عُدول،
(والعدل: من له ملكة تحمله على ملازمة التقوى والمروءة، والمراد بالتقوى:
اجتناب الأعمال السيئة؛ من شرك أو فسق أو بدعة، والمراد بالمروءة: التحلى
بمحاسن الأخلاق)، وقد شهد الله لهم، وكذلك شهد لهم رسول الله ﷺ.

أ- تعديل الله لهم وإخباره عن طهارتهم في القرآن الكريم:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي
قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح].

﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا
أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة].

﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ
وَرِضْوَانًا وَيَصْرُوهَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ [٨] وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ
قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى
أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شَحْنَفَ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [٩]
[الحشر]، وغير ذلك من الآيات.

وليس بعد تعديل الله ومدحه لهم حاجة إلى تعديل أحد من الخلق، أو مدحه لهم.

ب - تعديل الرسول للصحابة ثابت بالأحاديث الصحيحة.

وردت عن النبي ﷺ عدة أحاديث يثنى فيها على الصحابة، منها:

- ١ - «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يُلُونَهُمْ» (متفق عليه).
- ٢ - «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَذْرَكَ مَدًّا أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ» (متفق عليه).
- ٣ - «النُّجُومُ أَمَنَةٌ لِلسَّمَاءِ، فَإِذَا ذَهَبَتِ النُّجُومُ أَتَى السَّمَاءَ مَا تُوعَدُ، وَأَنَا أَمَنَةٌ لِأَصْحَابِي، فَإِذَا ذَهَبْتُ أَتَى أَصْحَابِي مَا يُوعَدُونَ، وَأَصْحَابِي أَمَنَةٌ لِأُمَّتِي، فَإِذَا ذَهَبَ أَصْحَابِي أَتَى أُمَّتِي مَا يُوعَدُونَ» (رواه مسلم).

○ كيف يمكن قبول دين نقله لنا مجموعة من الناس مطعون فيهم بنص القرآن الذي نقلوه لنا؟

عزیزی...

• التكوين الإيماني للصحابة:

لقد استغرق الصحابة فترة من الزمن في التكوين الإيماني والتربية على آداب الإيـمان وفـضائله، تحت عين الوحي وتنبيهات القرآن، وإرشاد النبي ﷺ؛ يعني لم يكونوا في هذه الصورة التامة المكتملة بين عشية وضحاها.

بل التربية تستغرق زمناً وتحتاج إلى وقت، وهذا هو التدرج في التربية، فالله ﷻ يعرض في القرآن رحلة التكوين الإيماني للصحابي ليظهر لنا الصحابي قبل الإيـمان وبعد الإيـمان، كيف صنع معه القرآن؟ كيف صنع معه الإسلام؟ ومن هذه الجولة الواسعة جداً بين هذا وذاك يظهر أثر القرآن والسنة في التكوين الإيماني لمن آمن.

فالقرآن يريد أن يعلمنا درسَ التدرج في التربية، وأن البشر ليسوا بآلات، بلمسة مفتاح تنقلب لك الصورة.. ليست هناك عصا سحرية تغير بها سلوكيات البشر وآدابهم وأخلاقهم، إنما أنت تحتاج إلى وقت حتى تُؤسس وتُبنى، ويصبح السلوك عادة بعد ذلك..

فربنا من رحمته أحب أن نتعلم سنة التدرج في التربية، هذا أمر.. والأمر الثاني: وهو أن يظهر لنا أثر الإيـمان في الإنسان، الإنسان قبل أن يؤمن والإنسان

بعد أن يؤمن، والقرآن الكريم وضح ذلك حين يتحدث عن الإنسان بدون إيمان فيكون له الضياع ويكون له الهلاك، في مقابل الإنسان مع الإيمان تتأتى له الأوصاف الطيبة ويصبح من المؤمنين الصالحين، فهذا أساس ينبغي أن يكون في ذهن الإنسان العاقل حتى يكون منصفًا.

• تعليم القرآن للصحابة:

ففى بعض الآيات التى جاء بها انتقاص من الصحابة كما تزعم، مثل: قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْجَةً أَوْفَوْا أَنفُسُهُمْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا﴾ [الجمعة: ١١]، وكان هذا الأمر وقع فى بدء زمن الهجرة، ولم يكن الصحابة يعلمون بهذه الآداب، فالقرآن يوجههم ويرشدهم، فالقرآن يؤسس لهذه الآداب وينشئها، وحين يفعل ذلك ينبغي ألا نقلب الحقائق ونقول: إن القرآن قد عابهم، بل هو توجيه وإرشاد وتربية.

• سرعة استجابة الصحابة:

ويُحمد للصحابة أنهم قد استجابوا سريعًا لهدى الله ﷻ، إذن ما جاء من القرآن كان توجيهًا للصحابة لا يُلامون عليه؛ لأنه فى مرحلة التعليم أنا أحتاج إلى التوجيه من المدرس الذى يعلمني، وأنا أحتاج إلى الإرشاد وإلى التربية من أمي وأبي.

فكانت هذه المرحلة هى مرحلة التوجيه والإرشاد والبناء الأخلاقى وبناء الآداب الإيمانية، وكان الصحابة أسرع إلى الاستجابة لهدى الله تعالى.

إذن كان منهم الاستجابة للتوجيه والإرشاد، فهذا يُحمد للصحابة، وليس هذا من باب القدر والذم فيهم، بل هو فى الحقيقة من باب الشاء والمدح لهم، لنعلم نحن كيف يمكن أن نعالج السلوكيات البشرية ونرقى بأخلاق الناس، ونحو ذلك..

• أمثلة من توجيه القرآن للصحابة:

ومن الآيات التى جاءت فى هذا السياق أيضًا، قوله تعالى: ﴿لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمْ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمُ مُدْبِرِينَ﴾ [التوبة].

فهذه الأمور كانت من المسائل التى تمَّ فيها التوجيه للصحابة، وهم كانوا يجتهدون فى الأمور غير المحددة؛ فينظرون إلى الأصلح لهم ويقومون به، وربما يجتهد الإنسان فيخالف الصواب.

ولهم أجر فى الاجتهاد، فاجتهدوا فى ذلك ولكنهم لا ينوون الإساءة، ولم يقصدوا الذم ولا المخالفة، وكل ما جاء من آيات فى شأن لوم صحابة سيدنا رسول الله ﷺ ينبغى أن يُنظر إليه وفق هذه القاعدة الطيبة التى بينها: أنهم كانوا فى مرحلة التوجيه ومرحلة الإرشاد ومرحلة التعليم للأخلاق الإيمانية والآداب الإيمانية، وكانت منهم الاستجابة.

وأقول لك شيئاً مهماً: إذا كان ما حدث من بعض الصحابة يوم أحد وحُين مثلاً هو أشد ما تحتجُّ به على الطعن فى عدالتهم، فلا يصح منك هذا..

لماذا؟ لأنه بعد عتاب الله لهم يوم أُحُد، قال: ﴿وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
حَلِيمٌ﴾ [آل عمران].

فالله ﷻ وهو يعلمهم عفا عنهم، فَلِمَ نَحْوِلُ الأمر من مَزِيَّةٍ إلى عيب
وقدح وفرية على صحابة سيدنا رسول الله ﷺ؟! وفي عتاب الله للمؤمنين يوم
حُنَيْنِ امتَنَّ الله عليهم في قوله: ﴿ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ
وَأَنْزَلَ جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ [التوبة].
إذن هم مع اجتهداهم، ولو أخطؤوا في اجتهداهم فالله ﷻ يؤهلهم،
والذى يعمل هو الذى يتعرض للاجتهاد، وقد يخطئ في اجتهداه، وهذا لا يُلام
عليه، بل يُشكر له؛ ولذلك عفا الله عنهم، وأنزل عليهم السكينة، وأيدهم
بجنود لم يروها.

○ كيف تثق بما نقله الصحابة من الدين وهم غير معصومين؛ ومن ثمّ فهم غير عدول ومطعون فيهم؟؟

عزیزی...

بداية هذا التساؤل بُنى على دليل فاسد، فالعصمة من خصائص الأنبياء، وليست شرطاً لعدالة الرواة (رواة الأحاديث) من الصحابة أو غيرهم، فعصمة الأنبياء هذه خصوصية للأنبياء الذين يُبَلِّغُونَ الوحي عن الله ﷻ، أما بالنسبة للصحابة فإنهم تربّوا على منطق الاكتساب وليس على منطق الوحي، لكن الرسول ﷺ ربّاه الوحي وكانت هذه المعجزة من الله ﷻ.

لذلك كانت العصمة لأنبياء الله ﷻ، أما الصحابة فهم تلقّوا بمنطق الاكتساب ومنطق التعلم؛ لذلك لم يجعلهم الله ﷻ معصومين؛ ولكن هم عدول، لماذا هم عدول؟ لأن الله اصطفاهم لهذه الأمة؛ لأن الله شهد لهم وأثنى عليهم، وكذلك رسول الله ﷺ أثنى عليهم وشهد لهم بهذه العدالة في نصوص كثيرة.

• هل العدالة تتعلق بالعصمة؟

العدالة ليست متعلقة بالعصمة أبداً، إنما العصمة - كما ذكرنا - هي خصوصية من خصائص الأنبياء، ويقول الإمام الشافعي في ذلك كلاماً طيباً: «لو كان العدل من لا ذنب له لم نجد عدلاً، ولو كان كل مذنب عدلاً لم نجد مجروحاً، ولكن العدل من اجتنب الكبائر؛ وكانت محاسنه أكثر من مساوئه»؛ لأن

كل ابن آدم خطاء، والعصمة للأنبياء فقط، ولو كان كل مذهب عدلاً لم نجد إنساناً مجروحاً في علم الجرح والتعديل، ولكن العدل من اجتناب الكبائر وكانت محاسنه أكثر من مساوئه؛ يعنى العصمة ليست للصحابة، لكن العدالة موجودة.

ويفسرهما الإمام الشافعى بهذا التفسير الذى يرتضيه العقل ويرتضيه النقل أيضاً، إلى آخر الأئمة الذين ارتضوا هذا التعريف، وعليه فإن وقف عدالة الصحابة على عصمتهم هو درب من الخيال والمبالغة والتشدد؛ وذلك لأن عدالتهم ثابتة عقلاً ونصاً..

ثابتة عقلاً؛ لأن الله ﷻ اصطفاهم للتبليغ ونقل الرسالة عن النبى ﷺ.

وثابتة نصاً؛ لقوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ

بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَتَزَرَّهُ فَاستَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سَوَابِهِ يَعْجَبُ الزُّرَّاعُ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارُ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢١﴾﴾ [الفتح].

فإذا كان الله ﷻ قد أعلن رضاه عنهم فكيف لا نقبل منهم؟! واللافت للانتباه هنا هو سبق رضا الله عنهم قبل رضاهم عن الله، وفي هذا دلالة على أن المسألة هنا اصطفاء، وتدبر معى كيف قدم الله ﷻ ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ [البينة: ٨]

قبل ﴿وَرَضُوا عَنْهُ﴾ [البينة: ٨].

وقد جاء في القرآن أن الله ﷻ رضى عنهم: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح]، وقال: ﴿رَجُلًا صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ﴾ [الأحزاب: ٢٣].

وقال ﷺ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» (متفق عليه).

إذاً هذه تزكية من الله ﷻ ورسوله ﷺ، وهذا يؤكد أن عدالتهم ثابتة، وهى لا تتعلق أبداً بالعصمة؛ لأن العصمة خاصة بالأنبياء، والصحابة لهم خصوصية في هذا المجال..

والخلاصة أن العصمة من مستلزمات النبوة، وأن عدالة الصحابة ضرورة دينية؛ لأنهم حَمَلَةُ الرسالة بعد النبي ﷺ، ولا يجوز عقلاً أن يجعل الله تعالى رسالته في أيدي من يتوقع منهم تحريف أو تبديل أو كذب.

وقد أثبت الله تعالى عدالة الصحابة في القرآن، وأثبتها النبي ﷺ في السنة، وهياً الله ﷻ لهم من المقومات والمزايا ما يضمن لهم العدالة والصحة والسلامة، وخلط المغرضون بين العصمة والعدالة، وجعلوا العصمة شرطاً في قبول الرواية؛ ليهدموا الدين من أساسه، وتنقطع بذلك أخبار الأنبياء من تشريع ووحى بموتهم، ويتنفى المطلوب بإرسالهم، وهذا عبث غير مقبول عقلاً ولا نقلاً.

○ كيف تقبل عدالة الصحابة الذين كانوا أعراباً، وقد أخبر قرآنكم عن نفاق الأعراب وشدة كفرهم؟

عزیزى..

الوصول فى منهج العقلاء ومنهج العلماء إلى تصور صادق وحقيقى وعلمى فى مسألة ما يكون بجمع كل النصوص الواردة فى الموضوع الواحد، فهذه الآية تتحدث عن طبيعة الأعراب قبل أن يؤمنوا، وقبل أن يُسلموا، أما من أسلم منهم فالإيمان قد غيرهم وبدلهم، وهذه قاعدة عظيمة جداً بيّنها القرآن الكريم.

الإنسان حين يُترك لهواه ولعقله ولنزواته ولشهواته تتأتى له الأوصاف السيئة: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِفِي خُسْرٍ﴾ [العصر]، و﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾ [العلق]، إلى آخره..

لكن حين يؤمن ويتحلى بالإيمان يصبح من ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ [الأنفال: ٢]، تتغير صورهم ويصبح من المحسنين ومن المتقين، فالأعراب أيضاً قبل الإيمان والإسلام، ومن لم يتحلّ منهم بالإيمان، يصدق عليه هذا الوصف.

لكن القرآن الكريم هو الذى قال: ﴿وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنْفِقُ قُرْبَةً عِنْدَ اللَّهِ وَصَلَوَاتِ الرَّسُولِ أَلَا إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ

سَيَدْخُلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩﴾ [التوبة].

إذن الإيمان غيرهم، والإيمان بداهم، والإيمان جعلهم في هذه المنزلة
الإيمانية العظيمة، فلا تنظر إلى الأعراب قبل الإيمان، لكن انظر إلى من آمن.

• وهنا سؤال: من هو الصحابي؟

والجواب: هو الذى رأى النبى وآمن به، ومات على هذا.

وهذا يُخرج الأعراب الذين لم يؤمنوا، فالذين أشركوا والذين ظلوا على
نفاقهم ليسوا من الصحابة، إنما الصحابي من رأى رسول الله ومن آمن به، ومن
مات على ذلك، وهذا يدخل ضمن من شهد الله لهم وزكاهم وقضى لهم
بالعدالة، وكذلك رسول الله ﷺ.

ومن ذلك حادثة الأعرابي الذى بال فى المسجد، فرغم اعتراض الصحابة
عليه إلا أن النبى تركه حتى انتهى، ثم أعلمه خطأه، فلا تحاسب قبل أن تُعلم،
هذه مرحلة التوجيه والإرشاد والتربية والتركية من رسول الله ﷺ للصحابة
ولكل من آمن، وفي مرحلة التربية الأعرابي استجاب أم لا؟

لقد استجاب.. إذن تأدب بأدب الإيمان الذى أرشده إليه النبى ﷺ، وهذا
يُحمد له أنه حين وُجّه استجاب، وقال: سمعًا وطاعة، فينبغى أن توضع الأمور
في نصابها.

أيضًا المسألة التى جاءت في عدم استئذان الأعراب على رسول الله ﷺ،

في قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنَ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾﴾ [الحجرات]، وهى الآية التى نزلت فى بنى تميم، نزلت قبل إسلامهم تنبيهاً لهم ولغيرهم على الآداب الواجبة فى حق النبى ﷺ.

إذن مرحلة التوجيه ومرحلة التربية، ومرحلة التزكية ومرحلة الإرشاد والتكوين الأخلاقى والإيمانى لصحابة النبى ﷺ لا يُحتجُّ بها على عدم عدالتهم، بل إنهم عدول؛ لأنهم استجابوا وحدث لهم هذا التكوين الإيمانى من الله ﷻ ومن رسول الله ﷺ.

فالقضية هنا أن الإسلام يؤدِّب بالأحداث ويربِّى بالأحداث، فعندما كان يحدث خطأ، كان ينتزل الحكم سواء فى القرآن أو فى سنة رسول الله ﷺ يردُّ المخطئ، ويبين له خطأه، ويبين له عقوبة هذا الخطأ.

وبخاصة أنه أقدم على هذا وهو يتصرف حسب الثقافة الجاهلية القديمة، يعنى ما دخل أمراً ولا تصرفاً على أنه خطأ وأنه مخالف، بل اتبع ما كان يتبعه فى ثقافته البدوية وفى ثقافته التى تعلمها بين قومه، فجاء الإسلام وجاء النبى ﷺ وجاء القرآن ليصنعهم صناعة إيمانية جديدة، واستجابوا، ويحمد لهم هذا.

○ زعم أن الصحابة كانوا لا يُحسنون شيئاً من أمور الحياة سوى الجهاد ومجاعة النساء، فأى فضيلة لهم وليس لهم أى ابتكار؟!

عزيزى...

تعال بنا لننظر إلى حياة الصحابة رضي الله عنهم، وهل فعلاً لم يكونوا يحسنون إلا الجهاد ومجاعة النساء؟

إننا إذا أبصرنا بعين الإنصاف نرى أن الأمة الإسلامية منذ قيامها قدمت أروع الأمثلة فى العمل والإبداع والابتكار، وحققت حضارة عظيمة غيّرت بها وجه جزيرة العرب بين المجتمعات، وذلك على مختلف مستويات الدولة الإسلامية الناشئة، سياسياً وعسكرياً واقتصادياً واجتماعياً، فلم يكن الصحابة رضي الله عنهم قابعين فى مساجدهم يتعبدون ويأتون النساء كما يقول البعض، وإنما كانوا يضربون فى الأرض يتتغون من فضل الله كما أمرهم ربهم ونبيهم.

إن الصورة العملية فى حياة الصحابة تُبين كيف كانوا - وهم الممثلون الأوائل للدين الإسلامى - نماذج للعمل والإنتاج، ولم يكونوا رهباناً متنسّكين فاصلين بين حقيقة الدين والدنيا.

• ومن النماذج الفريدة فى ذلك :

(١) عبد الرحمن بن عوف (رجل الاقتصاد والأعمال) :

أما عبد الرحمن بن عوف فقصته معروفة فى الدلالة على الاعتماد على النفس والعزيمة القوية، والجد والاجتهاد فى العمل والإتقان فيه:

فعن أنسٍ رضي الله عنه، قال: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَأَخَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ، فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ، فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ، دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ، فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ، فَرَأَاهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ أَيَّامٍ وَعَلَيْهِ وَضُرٌّ مِنْ صُفْرَةٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَهَيْمُ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ، قَالَ: «فَمَا سُقَّتَ فِيهَا؟» فَقَالَ: وَزَنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَوَلَمْ وَلَوْ بِشَاةٍ» (رواه البخارى).

فهذا نموذج فريد في الاعتماد على النفس وإتقان العمل، فلم يكن مثالا للسلبية واللامبالاة، وإنما تميز في التجارة والعمل والكسب، وصار مثالا لرجل الأعمال البارع الذى يتفوق فى عمله ويحقق نجاحا كبيرا فيه.

(٢) رُفِيدَةُ الْأِسْلَمِيَّةِ (طَبِيبَةُ الْإِسْلَامِ) :

هى امرأة من قبيلة أسلم، وقد اشتهرت فى تضميد الجروح؛ لذا كانت تصحب جيوش المسلمين المقاتلين ضد المشركين لتعالج الجرحى.

فقد تواتر أنه أُقيم لها خيمة خاصة وبارزة فى مسجد النبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لتكون مستشفى لعلاج المرضى والمصابين بالجروح؛ لذا تعتبر خيمة رفيده الأسلمية - على الرغم من بدائيتها - أول مستشفى فى الإسلام، وقد ذاع صيتها بين معاصريها فى فن الجراحة، لهذا السبب اختارها الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لعلاج سعد بن معاذ عندما أُصيب برمية قوية فى معركة الخندق (السيرة النبوية لابن هشام).

وهكذا كانت الصحابة رفاة الأسلمفة من النماز الفرفدة فى العمل والإفباففة والتأفر فى عصفها، فكانت معروفة بمهارتها فى الطب والعقاقفر، والأأوفة وتصنفعها، والجروح وتضمفدها، والكسور وتففرها.

(٣) زفء بن ثابت (طالب العلم) :

قأء الصفاة والتابعون أمثلة فرفدة أفضا فى الففة العلمفة فى الإسلام، وحرصوا على تعلم العلم وتعلفمه الناس، ولم تقتصر جهودهم على نوع ءون آخر من العلوم، وفكفى أن نأكر هنا الصفاى الفلل زفء بن ثابت، الذى اجتهد وتعلم اللغة العفرفة فى سبعة عشر فوما فقط، من الآن فسطفع أن ففعلم لغة وففقفها فى مثل هذه المءة القصرفة؟!

(٤) صفاى ففب النظافة والتفمل :

كان للصفاة أفضا مواقف مففرءة فى النظافة والفمال، وقد حرصوا على فمال المظهر والجوهر، لقد علموا أن المسلم ففب أن فضم إلى نظافة باطنه نظافة جسءه وفمال ملبسه، فمن فعل ذلك ففهم أهءاف الإسلام وطبق تعالفمه وتخلق بأخلاقه، فرسول الله ﷺ فقول: «لَا فءْءُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فف قَلْبِهِ مِءْءَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»، قَالَ رَجُلٌ: إِنَّ الرَّجُلَ ففبُّ أَنْ فكونَ ثَوْبُهُ حَسَنًا وَنَعْلُهُ حَسَنَةً، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ ففمِلُّ ففبُّ الْفَمَالِ، الْكِبَرُ بَطَرُ الْحَقِّ، وَغَمَطُ النَّاسِ» (رواه مسلم).

(٥) الفباب بن المنأر (الخبرة العسكرفة) :

لعل من أشهر المواقف الفف فصور لنا هذه البفئة الإباءفة الفف صنفعها

النبي ﷺ، وتجاوب معها الصحابة وأظهروا مهاراتهم وقدراتهم الإبداعية موقف يوم بدر:

فبعد أن جمع ﷺ معلومات دقيقة عن قوات قريش سار مسرعاً ومعه أصحابه إلى بدر ليسبقوا المشركين إلى ماء بدر، وليحولوا بينهم وبين الاستيلاء عليه، فنزل عند أدنى ماء من مياه بدر، وهنا قام الحباب بن المنذر، وقال: يا رسول الله، أرأيت هذا المنزل، أمتزلاً أنزلكه الله ليس لنا أن نتقدمه ولا نتأخر عنه، أم هو الرأى والحرب والمكيدة؟ قال: «بل هو الرأى والحرب والمكيدة»، قال: يا رسول الله، فإن هذا ليس بمنزل، فانفض يا رسول الله بالناس حتى تأتى أدنى ماء من القوم - أى جيش المشركين - فنزله ونغور - نخرب - ما وراءه من الآبار، ثم بنى عليه حوضاً فتملؤه ماء، ثم نقاتل القوم، فنشرب ولا يشربون، فأخذ النبي ﷺ برأيه ونهض بالجيش حتى أقرب ماء من العدو فنزل عليه، ثم صنعوا الحياض وغوروا ما عداها من الآبار.

(٦) سلمان الفارسي (الابتكار والأفكار الجديدة):

لما تجمع أصحاب الأحزاب لقتال المسلمين بالمدينة، جمع رسول الله ﷺ أصحابه ليستشيرهم في كيفية الدفاع عن المدينة وصد الأعداء، فأشار الصحابي الجليل سلمان الفارسي رضي الله عنه بحفر الخندق، حيث قال: يا رسول الله، إنا كنا بأرض فارس إذا حُوصِرنا خندقنا علينا، فوافق الرسول ﷺ وصحبه الكرام على هذه الخطة الحكيمة التي لم تكن معروفة لدى العرب، فكانت

من أسباب صد الأحزاب وفشلهم.

(٧) عمر بن الخطاب (فن السياسة وإدارة الأمور) :

لقد بلغ الفاروق عمر رضي الله عنه من العبقرية والإبداع ما جعل تفكيره لا ينحصر فقط في واقعه الحاضر، وكيفية حل مشكلاته، ولكنه أيضًا يفكر في المستقبل وكيفية حفظ حقوق الأجيال القادمة.

وما أروع قول عمر رضي الله عنه : «لولا آخر المسلمين، ما فتحت قرية إلا قسمتها بين أهلها، كما قسم النبي صلى الله عليه وسلم خير»، قال ابن الأثير: «لأنه إذا قسّم البلاد المفتوحة على الغانمين بقي من لم يحضر الغنيمة ومن يجيء بعد من المسلمين بغير شيء منها، فلذلك تركها لتكون بينهم جميعهم» (النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير).

(٨) خالد بن الوليد (فن القيادة والفكر الحربى) :

لما استشهد قادة جيش مؤتة حمل خالد الراية، وما معه إلا بقية ثلاثة آلاف، ويحيط به من العدو مئتا ألف، وليس في الدنيا قائد يستطيع أن يُنقذ هذه القبضة من الرجال من وسط هذا اللُج، إلا أن يأتي بأعجوبة، وقد أتى بها خالد، واستطاع أن يخرج من لُجّة البحر من غير أن يبتلّ، وأن ينسحب من وسط اللهب من غير أن يحترق، وأن يسجّل للذكاء العربى الذى هذّب الإسلام هذه المنقبة في تاريخ الحروب (رجال من التاريخ، على الطنطاوى).

فما إن دخل الليل على المتحاربين وتوقف القتال، حتى أعاد خالد تنظيم

قواته القليلة، فجعل مقدمته ساقته، وساقته مقدمته، وميمنته ميسرته، وميسرته ميمنته؛ فأنكر الأعداء ما كانوا يعرفون من رايات المسلمين وهيئتهم، وقالوا: قد جاءهم مدد؛ فرعبوا، وكان هدف خالد مناوشتهم وإلحاق الخسائر بهم، ثم الانصراف بمن معه (فقه السيرة للغزالي، والرحيق المختوم).

(٩) قصة صحابية (الإتقان في الصنعة) :

عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن امرأة جاءت إلى رسول الله ﷺ ببردة منسوجة، قالت: يا رسول الله، إنني نسجت هذه بيدي أكسوكها، فأخذها النبي ﷺ محتاجاً إليها، فخرج إلينا وإنها إزاره، فقال رجل من القوم: يا رسول الله، اكسنيها. فقال: «نعم». فجلس النبي ﷺ في المجلس، ثم رجع، فطواها ثم أرسل بها إليه، فقال له القوم: ما أحسنت، سألتها إياه، لقد علمت أنه لا يرُد سائلاً، فقال الرجل: والله ما سألته إلا لتكون كفى يوم أموت، قال سهل: فكانت كفته (رواه البخاري).

فهذا نموذج عملي على دقة الصناعة والتفرد فيها والصبر على إجادتها وإخراجها في أفضل حالة، وانتشار الصناعات اليدوية في صدر الإسلام.

(١٠) حسان بن ثابت (فن الإعلام) :

كان الصحابي الشاعر حسان بن ثابت الصوت الإعلامي للإسلام والمسلمين في زمن كان للشعر فيه كلمة مسموعة، فكان ينافح عن النبي ﷺ ويرد عنه هجاء المشركين، وسر براعته في ذلك أنه كان عالماً بأنساب قريش،

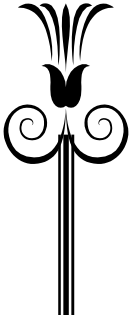
خيرًا بمثالب القوم وعبوبهم.

فقد قال رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «يَا حَسَّانُ، اهْجُ الْمَشْرِكِينَ، فَإِنَّ جِبْرِيلَ مَعَكَ، أَوْ إِنَّ رُوحَ الْقُدُسِ مَعَكَ» (رواه البخارى).

• الخلاصة:

إن النماذج العملية من حياة الصحابة والتابعين فى مختلف مجالات الحضارة الإنسانية - أكثر من أن تُحصى، وحسبنا منها تلك الإشارات، فهذه النماذج الفريدة والشخصيات العظيمة كابن عوف، ورفيدة الأسلمية، وزيد بن ثابت، والحباب بن المنذر، وغيرهم - قد ضربوا أروع الأمثلة على هذا النبوغ الفريد والإرادة العظيمة، وقد أوضحنا أن هذه الأمة كانت فى نشأتها الأولى أمة ذات هِمَّة، تسعى بكل استطاعتها فى العلم والعمل، وأخذت بكل سبيل فى إحراز التقدم والرقى، ومن ثَمَّ كانت لها حضارتها المتميزة عبر قرون طويلة من الزمن..

تلك هى أمة المسلمين الحقيقية التى علَّمت الإنسانية معنى العزيمة والإرادة فى كافة مجالات الحضارة، فلم ينفصل لديهم جانب الدين عن جانب الدنيا، ولا انعزل عندهم الدين عن الدنيا، فقدموا نماذج فريدة فى كل مجالات الحياة..



(٨)

الطعن فى التراث



○ تراثكم الإسلامی سبب تخلفكم المعاصر، فلماذا تتمسكون به وتقصدونه؟

عزیزی..

أولاً: ينبغي أن نضبط مصطلح التراث والمقصود به، فالقرآن والسنة الثابتة لسيدنا رسول الله ﷺ لا يمكن أن نعتبرهما من التراث، فالتراث هو الفكر البشري، وهو الفهم البشري لهذه النصوص، ونحن لا نقدر التراث على حسب دعواهم، فالمقدس عندنا - نحن المسلمين - هو القرآن والسنة الصحيحة الثابتة عن سيدنا رسول الله ﷺ، وكلاهما وحى من عند الله تعالى، والقرآن الكريم هو الذى أمرنا أن نأخذ بالسنة النبوية: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

• تاريخ الأمم لا يختزل:

أما بشأن التراث، فتاريخ هذه الأمة وتراثها إنما تشهد له الحضارات الأخرى، ولا يمكن أن يُختزل تاريخ الأمة في مشهد استثنائي متوتر بسبب هجوم الآخر عليه، وبسبب أن المنطقة العربية والإسلامية تقع تحت تأثير حرب فكرية الآن: من شبهات وافتراءات، وهجوم وفوضى هدامة، والربيع الصهيوني التدميري، إنهم يشوهون العظمة بمنطق العاهات المزمنة.

إن تراث هذه الأمة حتى القرن الخامس الهجرى وبداية القرن السادس الهجرى كان شاهداً على الحضارة والعظمة، وكان على من يريد أن يتعلم العلم

ساعتها أن يتعلم اللغة العربية؛ لأنها لغة العلم، وهذا شهود حضارى رائع، وأفادت أوروبا من هذا التراث فى أنه أسّس لحضارتها، ولا يزال إلى اليوم ابن سينا يُدرّس فى جامعاتها، والرازى وابن هيثم والفارابى وابن رشد، إلى آخر هذه المنظومة من هؤلاء الأعلام الأفذاذ فى تاريخ أمتنا وتراثنا.

• ما سبب تخلف المسلمين المعاصر؟

أما تخلف المسلمين عن ركب الحضارة اليوم، فليس ذلك بسبب تراثهم العظيم، المشهود له بالرقى والتقدم، وإنما ذلك لأن منحنى الأمم يهبط ويصعد بسبب الاستعمار وبسبب أمور كثيرة جاءت علينا، فنحن فى فترة استثنائية من التراجع؛ لأننا تركنا قرآن ربنا، ولم تستمر منظومة البناء والتراكم العلمى حتى يستمر مركزنا العلمى مرتفعاً شاهقاً له المقدمة بين الأمم.. فنحن تأخرنا بسبب أننا تركنا القرآن والسنة، وتركنا هذا التراث العظيم الذى أفادت منه أوروبا.

ثانياً؛ تراثنا تراث بشرى، ليس عصياً على النقد، فتراث كل أمة له وعليه، ومسألة النقد والإصلاح فى الفكر الإسلامى إنما هى مبدأ قرآنى متجدد: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩]، فالأقوم والأصلح والأفضل والأحسن إنما هو مطلب متجدد فى حياة الأمم.

• فرق بين النقد والهدم:

والفرق واضح بين النقد والهدم، فالنقد أن تنظر إلى الشئ فتظهر المحاسن التى يمكن أن تكون صالحة لعصرك، وأن تبني عليها حضارتك، وأن

تأخذ منها ما يفيد، وتبين ما كان مناسباً أو ملائماً لعصرك، وما كان من فكر لا يناسب عصرك فتتركه؛ لأنه كان لزمانه، لكنه شاهد على أهل زمانه وعلى سياق زمانه، وما نحو ذلك.

إذن هذا التراث العظيم قابل للنقد، لكن هناك فرق بين النقد والهدم، وفرق بين النقد والسَّب، فرق بين النقد والشتيم، فرق بين النقد والتدليس، الذين يدلّسون وينقلون النصوص عن غير مصدرها ومبتورة عن سياقاتها.

• مصادر زائفة:

ولشدّيد الأسف حين تعقبت أحدهم فى النصوص التى يأتى بها، وجدته لا يأتى بها من المصدر أو المرجع الإسلامى نفسه، ولكن يأتى بها من الذين يهاجمون بها الإسلام فى القنوات الفضائية؛ أى فى غير سياقها، وبها تدليس خطير جدًّا جدًّا حتى يموّه على الناس هذه الأكاذيب وهذه الافتراءات.

• دعوة إلى الإنصاف:

ولذلك نحن ندعوهم أن يراجعوا أنفسهم فى إطار الحقائق، وأن يكون الفكر مبنياً على قواعد الفكر وقواعد العلم، الفكر لا يكون بمعزل عن العلوم التى أسسها المسلمون، فالمسلمون هم الذين أقاموا هذا النقد الذاتى وهذا الإصلاح.

مَن الذى أقام علم الجرح والتعديل؟ من الذى أقام علم الحديث دراية وعلم الحديث رواية؟ أليس المسلمون هم الذين أقاموا هذه العلوم؟ أليس

المسلمون هم الذين فنّدوا الإسرائيليات فى التفسير وعيّنوا هذه الإسرائيليات ووضحوها؟

وهكذا عملية النقد للذات عملية مستمرة؛ لأن محاسبة النفس ومراجعة الذات إنما هى مبدأ إسلامى معروف، فالقرآن هو الذى علمنا ذلك: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنَقُوا اللَّهَ وَلَتَنْظُرَ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَأَنَقُوا اللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨]، هذا منهج حياة، يعنى النقد ومحاسبة النفس ومراجعة الذات منهج حياة عند المؤمن. فعملية الاستدراك والنقد المتكرر والإصلاح مبدأ إسلامى وحقيقة قرآنية، لكن دائماً نكرر ونؤكد: هناك فرق بين الهدم والنقد، ثم الهزائم النفسية التى تبدى عند هؤلاء، بمعنى أن الإنسان حين يعجز عن مواجهة مسؤوليته فى حياته المعاصرة، مسؤوليتنا الآن وليست مسؤولية أهل التراث ولا على العلماء الأسلاف، أننا ليس لنا موقع على الخريطة العلمية العالمية، وليس لنا حضور فى الإنتاج الحضارى والمحافل العلمية إلى آخر ذلك.

فنأتى حين نعجز عن ذلك نرد الأمر إلى التراث ونهرب من المسؤولية، ونعلّق شماعة تخلفنا وتقصيرنا وكل هذه الأمور على التراث، وهذا ما يسميه علماء النفس بالهزائم النفسية، والحق أحق أن يُتبع، ولا تبخسوا الناس أشياءهم، فأرجو أن يراجع هؤلاء أنفسهم.

○ لماذا الانزعاج من نقد التراث، أليس صناعة بشرية؟!

عزیزی.. نحن نسلّم لك بأن تاريخنا تاريخ بشر... ليس ملائكيًا، وليس مقدسًا ولا عصيًا على النقد، لكن فرق كبير بين النقد والهدم.

والعلماء المتخصصون يقررون أن سلبيات تراثنا هي استثناءات... وإلا فهذا التراث هو الذى علم أوروبا في قرون جهالاتهم في العصور الوسطى.

والقرآن علمنا أن النقد والاستدراك والإصلاح مطلب متجدد في حياة الأمة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ [الإسراء: ٩].. والفكر البشرى موضع نقد حتى على مستوى الإنتاج الشخصى.

ولكن من الذى يملك حق النقد؟!... إنهم أهل الذكر، قال الله تعالى:

﴿فَسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل].

الدُّخلاء... فيهم تكمن المشكلة!!!! فهم يُفسدون من حيث أرادوا

الإصلاح...

• يُؤخذ العلم عن أهله :

روى الإمام ابن عبد البر عن مالك بن أنس أنه قال: إِنْ هَذَا الْعِلْمَ دِينٌ فَانْظُرُوا عَمَّنْ تَأْخُذُونَ دِينَكُمْ، لَقَدْ أَدْرَكْتُ سَبْعِينَ مِمَّنْ يُحَدِّثُ قَالَ فَلَانٌ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عِنْدَ هَذِهِ الْأَسَاطِينِ، وَأَشَارَ إِلَى مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَمَا أَخَذْتُ عَنْهُمْ شَيْئًا، وَأَنْ أَحَدَهُمْ لَوْ أَؤْتِمَنَ عَلَى بَيْتِ الْمَالِ لَكَانَ أَمِينًا؛ لِأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا مِنْ

أَهْلُ هَذَا الشَّانِ، وَقَدِمَ عَلَيْنَا ابْنُ شِهَابٍ فَكُنَّا نَزْدَحِمُ عَلَى بَابِهِ. (التمهيد لما فى الموطأ من المعانى والأسانيد).

• سؤال مستحق: مَنْ الذى يكتب (الروشتة)؟

أليس الطبيب هو أحق الناس بكتابة تذكرة الدواء «الروشتة»؟!

أليس إسناد كتابة «روشتة» الدواء لغير الطبيب مهلكة؟!

• وما حقيقة النقد؟

النقد تقييم للعمل سلبيًا وإيجابيًا... أما ما يُطرح الآن فهو ليس نقدًا.. إنه محاولة للهدم؛ لأنه يصدر عن غير أهل الاختصاص، ولأنهم يحاولون التشويه تحت مسمى التجديد والتطوير والتحديث.

إن تاريخ أمة الإسلام هو الذى علم الدنيا النقد بمنهج علمى من خلال علم الجرح والتعديل ودراسة الحديث رواية ودراية... إلخ.

فَرَّقُ بين النقد والشتائم والسُّباب... فهذه لا تصلح أن تكون حجة أو دليلاً، إنها ليست فكرًا.

إنها الهزائم النفسية... القدمات أدوا دورهم فى زمنهم، أما نحن المعاصرين فقد أصابنا الجمود والعجز... وليس لنا موقع على الخريطة العلمية العالمية... فعَلَّقْنَا فشلنا على شاعة القدمات.

ويا أيها الذكى الفطن، الدين تم وكَمُل من لحظة نزول قوله تعالى فى حجة

الوداع: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾

[المائدة: ٣].

المشكلة عندنا فى الدنيا.. الدنيا هى الناقصة.. فهلاً أكملتها بالتحديث
والتطوير فى العلوم التطبيقية (طب، هندسة، فلك، زراعة... إلخ).

وما يعقلها إلا العالمون..

وما يذكر إلا أولو الأبواب..

فاعتبروا يا أولى الأبصار..

الفهرس

١ مقدمة

(١) الإيمان والعلم

- لماذا أنت مؤمن؟ وكيف أتحوّل إلى الإيمان مثلك؟ ١١
- حديثكم عن الفطرة ألا يتناقض مع العلم الحديث؟ ١٧
- ما الحاجة إلى الدين في عصر العلم؟ ١٩
- لماذا لا يتم إقصاء الدين بعيداً عن العلم، حتى نتقدم؟ ٢٤
- إن معظم العلماء ملحدون، فهل العلم يؤدي إلى الإلحاد؟ ٣٤
- هل يمكن أن تنشأ الأخلاق، وتوجد منظومة أخلاقية داخل مجتمع إلحادي؟ ٣٨
- ماذا يفرق الاستنساخ في العلم الحديث عن الخلق من العدم، فماذا ترك العلم للخالق في زعمكم؟! ٤٣
- هل ماء زمزم الذي نعتقد فيه الشفاء، قد أثبتت الأبحاث العلمية سميّته؟! ٤٥

(٢) صفات الخالق وأفعاله

- كيف ندلل عقلياً على وجود الخالق؟ ٥١
- هل يستطيع الله أن يخلق صخرة لا يمكنه رفعها؟ ٥٥
- هل خروج آدم من الجنة عقوبة أم ابتلاء؟ ٥٦
- هل الإله يحتاج إلى خلقه؟ ٥٨
- إذا كان إلهكم هو الحنان المنان البر الرحيم، فلماذا انصرفت مشيئته إلى ألا يهدي بعض الناس؟! ٦١
- لماذا يحاسبنا الله وقد كتب كل شيء؟ ٦٦

- الإله أمر بالشورى، فلماذا لا يكون الإله قدوة ويشاورنا، لماذا يفرض علينا الأمور، ولا رأى لنا، ثم يحاسبنا؟! ٧٠
- إذا كان إلهكم عادلاً وحكيماً، فلماذا يتلى عباده بالأمراض؟ ٧٢
- لماذا لا ينصُر الله المظلومين؟ ٧٦
- لماذا خلق الله الشر؟ ألا يتناقض ذلك مع أنه لا يأمر بالفحشاء (الشر)؟ ٨٠
- هل الله يغوى خلقه لفعل الشر؟! ٨٣

(٣) الطعن في الدين والإسلام

- إذا كان الدين مصدره واحد، هو الخالق كما تزعمون، فلماذا تختلف الشرائع وتتعدد الأحكام بين الأديان؟ ٨٩
- هل الدين صناعة بشرية؟ ٩٢
- لماذا لم يكن الإسلام أول الرسالات من بداية الخلق إلى نهايته؟ ٩٤
- ما ذنب من لم تصله الدعوة والقرآن؟ ٩٧
- هل الإسلام يخشى النقد؟ ٩٩
- هل الإسلام دين يلغى العقل ويخضعه للنصوص الدينية في القرآن والسنة؟ ١٠٠
- ما حقيقة الدين؟! ١٠٣
- الدين ليس علماً، فلماذا تجعلونه حكماً على العلم؟! ١٢٦
- لماذا العبادات؟ وما الفائدة التي تعود على الفرد والمجتمع من الصيام؟ ١٢٩
- كيف تؤمن بدين يدعو للخضوع والخنوع للطغاة، فلم ترد في القرآن كلمة الثورة؟ ١٣٤
- هل الإسلام يُهدر حق الإنسان في حريته الفكرية والدينية؟! وهل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في الإسلام ينافي الحرية الشخصية؟! ١٣٧
- لماذا تنكرون علينا حرية التفكير وحرية الإبداع، وتزعمون أن دينكم ليس جامداً ولا متحجراً وأنه دعا إلى حرية الفكر؟ ١٤٢

- لماذا يُقَيَّد الإسلام حرية الإنسان ويكبت شهواته؟ ١٤٩
- هل المرأة نصف رجل في الميراث؟! ١٥٥
- ألا يُعَدُّ ذبح الحيوانات منافياً للرحمة؟ ١٥٨
- لماذا تدعون على اليهود بالهلاك والفناء، فهلاً دعوتهم لهم بالهداية؟ ١٦٢
- كيف تعاقبون أهل الكتاب على عدم اعتناقهم لدينكم بدفعهم الجزية، ألا يتعارض ذلك مع الرحمة والتسامح وتكریم الإنسان؟! ١٦٦
- الإسلام أمان الأسرى وأراق دماءهم، فلماذا تعترضون على وصفه بالبربرية والهمجية؟ ١٦٩
- أليس التاريخ الإسلامى مليئاً بالدموية والإرهاب؟ ١٧٢
- هل الإرهاب صناعة دينية؟! ١٧٨
- هل شقينا بالإسلام؟! ١٨٢
- لماذا الربط بين التخلف والإرهاب والإسلام؟ ١٨٦
- أليس الشباب العربى المسلم فى مهبط رياح الحروب الفكرية والاقتصادية؟ ١٩٢
- لماذا كل هذا العداء ضد الإسلام والمسلمين؟ ١٩٥

(٤) الطعن فى القرآن

- لماذا لا يُفَسَّر القرآن بالسريانية؟ ٢٠١
- لماذا التناقض فى عدد أيام خلق السماوات والأرض فى القرآن؟! ٢٠٤
- جاء فى قرآنكم: ﴿وَهُوَ الَّذِى فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ (٨٤) [الزخرف]، أتعبدون إلهين؟ إله فى الأرض، وإله فى السماء؟ ٢٠٦
- أين وعد ربكم للمؤمنين بالحياة الطيبة؟ ﴿مَنْ عَمِلْ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً﴾، والطيبون هم التعساء فى العالم.. والواقع يشهد أن الحياة الطيبة والتقدم العلمى للكافرين؟! ٢٠٧

- كيف تقولون: إن ربكم كرم الإنسان، ثم إنه يشبه من لم يؤمنوا به بالأنعام؟! ٢١٣
- هل وصف الإنسان في القرآن بأنه أعجمى يعد تحقيرًا من شأنه؟ ٢١٥
- كيف يتفق قولكم عن الكعبة: ﴿وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ مع حادث سقوط الرافعة الذى راح ضحيته أكثر من مئة شخص، فهؤلاء الذين ماتوا قد دخلوا البيت الحرام ولم يأمّنوا؟! ٢١٦
- هل يُعقل أن يُمدّكم ربكم في معركة بدر بخمسة آلاف من الملائكة كما تزعمون، ولا يُقتل من الكفار إلا سبعون رجلاً؟! ٢١٨
- كيف يقرّ القرآن في موضع أن إبراهيم هو أول من أسلم، ويثبت في موضع آخر أن موسى هو أول من آمن، ثم يخبر في موضع ثالث أن سحرة فرعون هم أول من آمنوا، أليس هذا تناقضًا؟! ٢١٩
- جاء في القرآن: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠]، كيف يتفق هذا مع خلق الجنّ من نار والملائكة من نور؟ ٢٢١
- بم تفسر تناقض القرآن حول تبديل كلمات الله؟! ٢٢٤
- لماذا المخاطبة بصيغة المذكر لنساء النبي؟! ٢٢٥
- مزاعم وأوهام حول الحور العين؟! ٢٢٦
- أوهام زيدان حول حادثة الفيل .. متى ينتهى زيدان عن خرافاته؟! ٢٢٩
- أوهام زيدان عن المسجد الأقصى، لصالح مَنْ تُدّلس يا زيدان؟! ٢٣٤
- أوهام زيدان عن الإله الراقى!!! ٢٣٨

(٥) الطعن فى الأنبياء

- هل نبوءات نبيكم كانت مجرد توقعات واجتهادات عقلية؟ ٢٤١
- ألا تتعارض نبوءات نبيكم مع كون الله مختصًا بعلم الغيب؟ ٢٤٤
- هل امتدت نبوءات نبيكم إلى زمن التابعين ومن بعدهم، فقد يكون من السهل عليه أن يتنبأ بما يعايشه في زمنه أو بعده بقليل؟ ٢٤٧

- إذا كان الله يدافع عن نبيكم كما تقولون، فلماذا تتكرر الإساءات له؟! ٢٤٩

(٦) الطعن في السنة والرواية

- لماذا لا نكتفى بالقرآن عن السنة، وقد اختلط فيها الصحيح بالموضوع بالضعيف بالمنكر؟ ٢٥٧
- لقد تساهل الصحابة في رواية السنة بالمعنى مما أدى إلى تحريفها، فلم الأخذ بها؟ ... ٢٦٠
- (لا يزال أهل الغرب ظاهرين على الحق حتى تقوم الساعة). هذا حديث قاله رسولكم.. إذن أمريكا على حق وأنتم على باطل ٢٦٣
- جاء عن نبيكم أنه قال: من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، وكان إبليس يعبد الله مع الملائكة أول أمره، فمن المؤكد أنه قالها مرات كثيرة، فكيف يكون مصيره الخلود في النار رغم قوله لا إله إلا الله؟ ٢٦٥
- الزعم بأن نسبة صحيح الجامع إلى البخاري بصورته الحالية غير صحيحة!! ٢٦٦
- هل كان البخاري يهتم فقط بالإسناد دون المتن؟ ٢٧٠
- البخاري لم يكن عربياً، فكيف يجيد الحديث ويجيد صناعة الكلمة وهو لا يفهم معناها جيداً؟!!!!! ٢٧٥
- الزعم بأن البخاري بحكم كونه فارسياً كان يضع أحاديث في تمجيد العرق الفارسي!! ٢٧٨
- كيف تأخذون دينكم من البخاري، وقد كان جبرياً في اعتقاده؟ ٢٨٢
- لسنا أول من ينقد البخاري، فلم تنكروا علينا نقده؟! ٢٨٥

(٧) الطعن في الصحابة

- لماذا تُقدِّسون الصحابة؟! ٢٨٧
- كيف يمكن قبول دين نقله لنا مجموعة من الناس مطعون فيهم بنص القرآن الذي نقلوه لنا؟ ٢٩١

- كيف نثق بما نقله الصحابة من الدين وهم غير معصومين؟ ٢٩٥
- كيف نقبل عدالة الصحابة الذين كانوا أعراباً، وقد أخبر قرآنكم عن نفاق الأعراب
وشدة كفرهم؟ ٢٩٨
- زعم أن الصحابة كانوا لا يُحسنون شيئاً من أمور الحياة سوى الجهاد ومجاعة
النساء، فأى فضيلة لهم وليس لهم أى ابتكار؟! ٣٠١

(٨) الطعن فى التراث

- تراثكم الإسلامى سبب تخلفكم المعاصر، فلماذا تتمسكون به وتقدسونه؟ ٣١١
- لماذا الانزعاج من نقد التراث، أليس صناعة بشرية؟! ٣١٥
- الفهرس ٣١٩